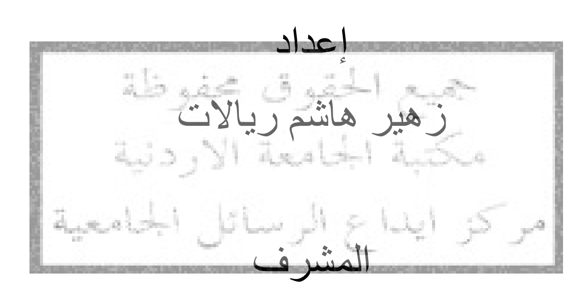
الشهاب الخفاجي ومنهجه في التفسير

إعداد



زهير هاشم ريالات

المشرف

الدكتور مصطفى المشني

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

حزيران ٢٠٠٤

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (الشهاب الخفاجي ومنهجه في التفسير)، وأجيزت بتاريخ ١٩/ ٥/ ٢٠٠٤ م :

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور مصطفى المشني مشرفًا أستاذ التفسير المشارك	-----
الدكتور أحمد نوفل عضوًا أستاذ التفسير المشارك	-----
الدكتور أحمد شكري عضوًا أستاذ التفسير المشارك	-----
الدكتور زياد الدغامين عضوًا أستاذ التفسير المشارك (جامعة آل البيت)	-----

الإهـداء

إلى رمز البذل والعطاء... إلى الذي انتظر طويلاً هذا اليوم...
إلى أبي

إلى نسمة الروح الشذية التي تفيض بالحنان...
إلى أمي

إلى الذي رعى هذه الرسالة منذ أن كانت فكرة...
فلما حان جني الثمرة...
لبى نداء ربه...

إلى أستاذي الدكتور فريد السلمان رحمه الله

شكر وتقدير

{رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين}

أرى لزامًا عليَّ أن أسجل شكري وعظيم امتناني إلى أستاذي الفاضل المربي الدكتور مصطفى المشني الذي شرفني بقبول إشرافه على هذه الرسالة ولما أسبغه علي من التوجيهات الفياضة والنصائح النافعة واللفتات الكريمة فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى أساتذتي الأجلاء الذين تفضلوا بقراءة هذه الرسالة لمناقشتها وتقويمها وإغنائها بآرائهم السديدة.

وأشكر أيضًا أخي العزيز المثنى عبدالفتاح الذي كان له الفضل في توجيهي لاختيار هذا البحث، والذي لم يأل جهدًا في نصحي وتوجيهي أثناء كتابتي له.

ولا أنسى أسرتي التي وفرت لي الجو المناسب لإخراج هذا العمل وخاصة أخي محمد الذي ساعدني أثناء مراجعة تجارب الطبع لهذه الرسالة.

ولمركز إنجاز والقائمين عليه الذين كان لهم الفضل في إخراج الرسالة وطباعتها بهذا الشكل الأنيق.

فلهم مني جميعًا العرفان والامتنان ولكل من أسدى إليَّ عونًا وسهل لي صعبًا في سبيل إنجاز هذه الرسالة.

فهرس المحتويات

الشهاب الخفاجي ومنهجه في التفسير
إعداد
زهير هاشم ريالات
المشرف
الدكتور مصطفى المشني

ملخص

تناولت هذه الدراسة منهج الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي المسماة «عناية القاضي وكفاية الراضي»، وقد مهدت لهذه الدراسة بالتعريف بتفسير البيضاوي، ومؤلفه، وما أثاره هذا التفسير من نشاط علمي.

ثم تناولت عصر الشهاب من الناحية السياسية والاجتماعية والعلمية، وحياته والمكانة العلمية التي تبوأها، وما تركه من آثار ومصنفات، ثم حاولت أن أعطي تعريفًا «بالحاشية» وأبين طريقته فيها، ومصادره التي اعتمد عليها في أثناء كتابته لها، وأوضح منهجه الذي سار عليه للوصول إلى هدفه، وأيّ الاتجاهات التفسيرية سلك، ثم ختمت دراستي بتقويم هذا الكتاب، وبيان ما له وما عليه.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها:

١- الكشف عن تكامل منهج الشهاب في التفسير، فهو يستند أساسًا على المأثور، ويرى عدم جواز التفسير بالرأي مع وجود المأثور، ولكن هذا لا يمنع من النظر والاستنباط واستخراج ما في الآية من نكات، فتكامل التفسير بالمنقول والمعقول.

٢- أظهرت هذه الدراسة عناية الشهاب بعلوم العربية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وشواهد شعرية، فقد أدرك الشهاب ما لهذه العلوم من أهمية في فهم كتاب الله، ومن هنا كان اهتمامه بالعربية، حتى أصبح من الممكن تصنيف هذا الكتاب ضمن الاتجاه اللغوي البياني في التفسير.

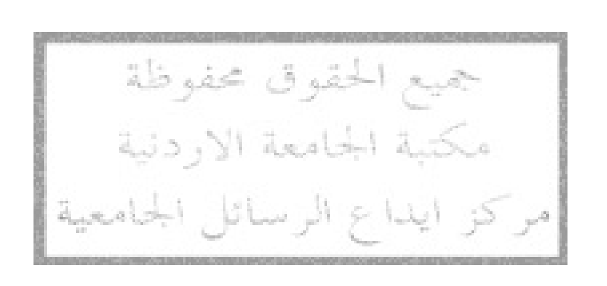
الجامعة الأردنية

نموذج التفويض

أنا زهير هاشم ريالات، أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

التوقيع:

التاريخ:



المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن الله تعالى أرسل رسوله محمدًا × بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وأنزل عليه كتابًا **{يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}** [المائدة: ١٦]، وجعله معجزة باهرة شاهدة على صدق دعوته.

فلما أدى النبي × أمانة تبليغ هذا القرآن وتبيانه للناس، اختاره الله إلى جواره، فقام بحمل الأمانة من بعده أصحابه رضوان الله عليهم، فكانوا -بحق- عصابة الإيمان، وعسكر القرآن، فحفظ الله على أيديهم هذا الكتاب العظيم.

ولقد أدرك علماء الأمة الذين جاؤوا بعدهم مكانة هذا الكتاب وأهمية دراسته وفهمه، فبذلوا الوسع والطاقة في خدمته، وشمروا عن سواعد الجد، فأضحوا من علمه يغترفون، وللبحث عن كنوزه وجواهره يغوصون، نسأله سبحانه أن يجزيهم خير الجزاء على ما قدموه، وأن يجمعنا معهم في جنته إنه هو السميع المجيب.

ولما كان هذا هو حال علمائنا، كان حريًّا بنا أن نقف مع كل ما صنفوه وقفة الدارس الباحث، كي نربط الماضي بالحاضر، ولنصوغ فكرًا معاصرًا متصلاً بالجذور، وليس هذا من الجمود، بل هو خطوة مهمة لا بد منها في عملية التجديد الذي نريد، وكما يقول الشيخ أمين الخولي رحمه الله[1]: «أول التجديد قتل القديم فهمًا».

ومنذ أن بدأت بطلب العلم الشرعي، كان عندي رغبة في الحصول على أكبر قدر من العلم يمكنني من فهم آيات القرآن الكريم، ومن ثَمّ كان اتجاهي إلى دراسة أحد تفاسير كتاب الله عز

---

(١) الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، ط١، ١٩٦١م، ص ١٢٨ .

وجل؛ لمعرفة المنهجية التي سار عليها صاحب هذا التفسير؛ خدمة للدارسين والمتخصصين والمهتمين بهذا العلم الشريف، بالإضافة إلى الفائدة العلمية التي سأجنيها من قراءته.

وباستعراض ما يمكن دراسته، وقع اختياري على كتاب لم يحظَ بعدُ بالدراسة التي تبرز ما فيه من علوم ومعارف، وهو «عناية القاضي وكفاية الراضي» لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، فأحببت أن أكتب في المنهجية التي سار عليها الشهاب في كتابه، وجعلت عنوان هذه الدراسة: «الشهاب الخفاجي ومنهجه في التفسير».

مشكلة الدراسة وأهميتها:

تناولت هذه الدراسة منهج الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي المسماة «عناية القاضي وكفاية الراضي».

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع للأسباب التالية:

١- أهمية دراسة مناهج المفسرين باعتبارها القواعد التي اتبعها كل مفسر في تفسيره.

٢- هذه «الحاشية» من أهم الحواشي التي كتبت على تفسير البيضاوي، ففيها استطاع الشهاب أن يوفي كل آية حقها في الكلام عنها في شتى النواحي واستخراج ما يمكن استخراجه من الآية القرآنية من أحكام تتعلق بالعقيدة والفقه والبَلاغة واللغة والنحو وغير ذلك؛ فبرزت فيها شخصية الشهاب كمفسر، وهذا ما تميزت به هذه «الحاشية» عن غيرها من الحواشي.

٣- هذه «الحاشية» رغم الأهمية التي تتمتع بها إلا أنها لم تلق العناية اللائقة بها، وهي لا تزال بحاجة إلى الكشف والبيان والتعريف، وهذه الدراسة تحقق ذلك.

٤- محاولة إظهار واحد من أعلام المسلمين الذين بذلوا جهودهم في التصنيف والتأليف، خدمة للعلوم الإسلامية عامة، ولكتاب الله خاصة.

٥- دراسة تراث هذا العَلَمِ الذي عاش في عصر الدولة العثمانية، الذي ظلمه كثير من الباحثين، ووصفوه بالتقليد وعدم التجديد، دون أن يقوموا بالتثبت في الحكم على عصر امتد

لعدة قرون، فكان لا بد – قبل الحكم على تراث هذا العصر – من دراسته بدقة وعمق للوصول إلى الحكم السديد.

الدراسات السابقة:

حسب اطلاعي لم أجد دراسة متكاملة حول هذا الموضوع، لكن هناك بعض الدراسات التي تطرقت إلى بعض جوانبه، ومن هذه الدراسات:

١- البيان عند الشهاب الخفاجي في كتابه «عناية القاضي وكفاية الراضي» للدكتور فريد النكلاوي: وهذا الكتاب يقع في جزأين، تكلم الدكتور النكلاوي في الجزء الأول عن التشبيه في «حاشية الشهاب»، بعد أن مهد لذلك بترجمة موجزة للشهاب، وفكرة عامة عن منهجه في «حاشيته»، وأما الجزء الثاني فقد خصصه للحديث عن المجاز المرسل عند الشهاب، وقد أفدت من هذه الدراسة في أخذ فكرة عامة عن منهج الشهاب من ناحية، ومنهجه في القضايا البلاغية بشكل خاص من ناحية أخرى.

٢- الشهاب الخفاجي نحوياً لحاتم القضاة (رسالة ماجستير): وهذه الدراسة تكلمت عن النحو عند الشهاب في جميع كتبه وليس في «حاشيته» فقط، ولكن التركيز كان عليها، ولعل سبب ذلك هو أن هذه «الحاشية» من أوفر كتبه حظاً في بحث المسائل النحوية –كما ذكر الدارس في التمهيد–، وكانت استفادتي من هذه الدراسة عند حديثي عن منهج الشهاب في القضايا النحوية.

ولئن كانت الدراسة الأولى متخصصة في البلاغة، والثانية في النحو، فإن هذه الدراسة تأتي جامعة لميادين مختلفة؛ فهي تتكلم عن منهجه بشكل عام، مع تعريف شامل بعصر الشهاب وحياته وآثاره.

هيكل الخطة:

اقتضى البحث في هذا الموضوع تقسيمه إلى تمهيد وستة فصول وخاتمة، فجاء كما يلي:

تمهيد: تعريف بتفسير البيضاوي.

الفصل الأول: الشهاب الخفاجي – عصره وحياته وآثاره.

المبحث الأول: عصره.

المبحث الثاني: حياته.

المبحث الثالث: آثاره.

الفصل الثاني: مدخل إلى «حاشية الشهاب».

المبحث الأول: تعريف عام «بالحاشية».

المبحث الثاني: طريقته العامة في «الحاشية».

المبحث الثالث: مصادر الشهاب وموارده في «الحاشية».

الفصل الثالث: منهجه في شرح كلام البيضاوي.

الفصل الرابع: اهتمامه بالتفسير بالمأثور والرأي واتجاهه في الجمع بينهما.

المبحث الأول: منهجه في التفسير بالمأثور.

المبحث الثاني: منهجه في التفسير بالرأي.

الفصل الخامس: عنايته بعلوم العربية.

المبحث الأول: اللغة.

المبحث الثاني: النحو.

المبحث الثالث: الصرف.

المبحث الرابع: البلاغة.

المبحث الخامس: الشواهد الشعرية.

الفصل السادس: تقويم «الحاشية»

المبحث الأول: مقارنة بين الشهاب والبيضاوي.

المبحث الثاني: القيمة العلمية «لحاشية الشهاب».

المبحث الثالث: مزايا «الحاشية».

المبحث الرابع: المآخذ عليها.

خاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

منهجية البحث في هذه الرسالة تقوم على:

١- المنهج الإستقرائي: وهذا يتطلب استقراءً للمادة العلمية التي ستخضع للدراسة.

٢- المنهج التحليلي: حيث قمت بدراسة هذه الجزئيات وتحليلها وجمع الظواهر المتشابهة، ثم استخلاص النتائج والأحكام.

وفي الختام أحمد الله عز وجل على نعمه المتوالية العظيمة، وآلائه المتتابعة الجسيمة، وأشكره سبحانه على تيسيره وتوفيقه، فله الحمد في الأولى والآخرة.

اللهم اجعل هذا العمل خالصًا لك وحدك، لا حظ فيه لسواك، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

تعريف بتفسير البيضاوي

أولا: ترجمة الإمام البيضاوي:

اسمه ونسبه:

هو العلامة المفسر الفقيه الأصولي النحوي المتكلم الأديب قاضي القضاة ناصر الدين أبو الخير – وقيل: أبو سعيد – عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي الشافعي(1).

ولادته ونشأته ونشاطه العلمي:

(1) انظر ترجمته في: ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط2، 1977م، (309/13)؛ السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي وشركاه، ط1، 1383هـ – 1964 م، (157/8)؛ الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، طبقات الشافعية، دار الكتب العلمية، 1422هـ– 2001م، (136/1)؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1979، (392/5)؛ الداودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، (248/1)؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1399هـ– 1979م، (50/2)؛ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، 1414هـ–1994م، (197/1–202)؛ الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر، د. ت، (3/1)؛ دائرة المعارف الإسلامية، تعريب أحمد الشنتناوي ومحمد ثابت الفندي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، مصر، 1933 – 1975م (418/4–419)؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط10، 1992م، (110/4)؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (6 /97)؛ الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (296/1)؛ الدهان، شوقي، منهج البيضاوي في تفسير القرآن الكريم (رسالة ماجستير) جامعة عين شمس، 1989م، ص7–131؛ الزحيلي، محمد، القاضي البيضاوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1420هـ – 1999م، ص 17–78.

ولد في مدينة البيضاء بفارس، ولم تذكر المصادر سنة ولادته [١]، ورحل به أبوه وهو صغير إلى شيراز، وقد نشأ منذ صغره يطلب المعرفة في شتى نواحيها، والعلم في مختلف فروعه، حتى صار إمامًا في الدين، وعالمًا له قدره ومكانته، فمكنه ذلك أن يتقلد منصبي القضاء والإفتاء في شيراز، ثم رحل إلى تبريز، فاستقر بها، وألف مؤلفاته، وصنف مصنفاته، وقدم شروحه إلى أن توفي بها، بعد رحلة مفعمة بالعلم والعطاء [٢].

وفاته:

اتفق المؤرخون على أن البيضاوي توفي في مدينة تبريز ودفن بها، لكنهم اختلفوا في تاريخ وفاته على عدة أقوال، وقد ذهب اكثر المؤرخين وعلماء التراجم والرجال إلى أنه توفي سنة (٦٨٥) هـ، وهو ما اقتصر عليه أكثر المعاصرين [٣].

أقوال العلماء فيه:

قال ابن كثير [٤]: «هو القاضي الإمام العلامة ناصر الدين عبد الله بن عمر، الشيرازي قاضيها وعالمها، وعالم أذربيجان وتلك النواحي».

وقال السيوطي[٥]: «كان إمامًا علامة، عارفًا بالفقه والأصلين والعربية والمنطق، نظارًا صالحًا، متعبدًا، شافعيًّا».

ويقول الشهاب الخفاجي عنه [٦]: «كان إمامًا في فقه الشافعي رحمه الله تعالى والتفسير

---

(١) رجح الأستاذ شوقي الدهان أن مولده كان في بداية القرن السابع الهجري أو قبل بدايته بقليل. انظر: منهج البيضاوي في تفسير القرآن الكريم ص ٥١.

(٢) الدهان، منهج البيضاوي ص ٥٢؛ الزحيلي، القاضي البيضاوي ص ٣٩.

(٣) الزحيلي، المصدر السابق، ص ٦٦.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية (٣٠٩/١٣).

(٥) السيوطي، بغية الوعاة (٥٠/٢).

(٦) الخفاجي، حاشية الشهاب (٣/١).

والأصلين والعربية والمنطق نظارًا زاهدًا متعبدًا».

وقال محي الدين شيخ زاده [(١)]: «الشيخ الإمام علم الهدى علامة الورى، الذي أطبق علماء الأمة على علو شأنه، ورفعة منزلته ومقداره».

مصنفاته:

ألف البيضاوي مجموعة من المصنفات في العقيدة والتفسير والفقه وأصوله، وأهمها[(٢)]:

١ - «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»: ويسمى «تفسير البيضاوي»، وهو التفسير الذي ذاع في الأمصار، واشتهر البيضاوي به أثناء حياته، وتلقاه العلماء شرقًا وغربًا بالقبول والشرح والحواشي، وهذه الدراسة تتناول منهج الخفاجي في «حاشيته على هذا التفسير».

٢ - «منهاج الوصول إلى علم الأصول»: وهو المختصر المشهور في أصول الفقه.

٣ - «طوالع الأنوار»: وهذا الكتاب في العقيدة.

وهذه الكتب الثلاثة من أشهر الكتب وأكثرها تداولاً بين أهل العلم - كما قال الدكتور الذهبي رحمه الله - [(٣)].

ثانيًا: تعريف بتفسير البيضاوي:

ألف القاضي البيضاوي تفسيره بعد أن استقر في تبريز، وكان هذا في أواخر عمره،

---

(١) شيخ زاده، محي الدين محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي، حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي، ضبطه وصححه وخرج آياته محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، (١/ ٧).

(٢) انظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ١٥٧)؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب (٥/ ٣٩٢)؛ حاجي خليفة، كشف الظنون (١/ ١٩٧).

(٣) د. الذهبي، المصدر السابق (١/٢٩٧).

وأطلق على هذا التفسير اسم «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» أي أنه يريد أن يقدم للدارس في «تفسيره» بعض أنوار القرآن، الذي هو تنزيل من الله، وأن يضع بين يديه بعض أسرار تأويل القرآن.

وتفسير البيضاوي من أشهر مصنفاته، وحاز مرتبة السبق، وتبوأ المنزلة العليا في زمانه وبعد وفاته [١].

وقد «أسدى به القاضي يدًا بيضاء للباحثين والدارسين، قرب منهم المستعصي، وجمع لهم المتفرق وضبط لهم تحرير غير المحرر... فأحله الناس منذ بروزه واشتهاره في النصف الثاني من القرن السابع محل الاعتماد والإقبال، وعكفوا عليه عكوفهم على المرجع الأصيل للتفسير»[٢].

وأما أهم المصادر التي اعتمد عليها البيضاوي في تفسيره فهي [٣]:

١- تفسير «الكشاف» للإمام الزمخشري: كان «الكشاف» أساس «تفسير البيضاوي»، وقد أتقن البيضاوي اختصار تفسير الزمخشري، وأخذ معظم ما فيه من لطائف ونكات بيانية، وسلم مما فيه من اعتزاليات، ولم يتدسَّسْ إليه منها إلا القليل النادر.

٢- «مفاتيح الغيب» للإمام الرازي: أخذ البيضاوي من «تفسير الرازي» بعض ما فيه من تحليلات عقلية وكلامية.

٣ - «جامع التفاسير» للإمام الراغب الأصفهاني، وكتاب «المفردات» للراغب أيضًا، أخذ منه البيضاوي ما يتعلق باشتقاق ألفاظ القرآن وتصريفها.

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، ص ٤٢٦-٤٢٧.

(٢) ابن عاشور، محمد الفاضل، التفسير ورجاله، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ١٩٩٨م، ص ١٠٨.

(٣) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون (١٩٧/١)؛ الخفاجي، حاشية الشهاب (١٧/١)؛ د. الذهبي، التفسير والمفسرون (٢٩٧/١-٢٩٨)؛ الدهان، منهج البيضاوي ص ١٥١-١٦٤؛ الخالدي، تعريف الدارسين ص ٤٣٠.

«وضم البيضاوي لذلك بعض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين، كما أنه أعمل فيه عقله، فضمنه نكتًا بارعةً ولطائف رائعة، واستنباطات دقيقة، كل هذا في أسلوب رائع موجز، وعبارة تدق أحيانًا وتخفى إلا على ذي بصيرة ثاقبة، وفطنة نيرة»(١).

وأما عن المنهج الذي سار عليه الإمام البيضاوي في «أنوار التنزيل» فيقول الفاضل ابن عاشور (٢): «وكان المنهج المتبع في تصنيف البيضاوي، والأسلوب المحتذى في تحريره: هما المنهج والأسلوب اللذان جرى عليهما مصطلح التآليف العلمية في عامة الفنون من أول القرن السابع الهجري، من حيث الاختصار، ودقة التعبير، والتزام المصطلح العلمي، والإشارة إلى ما يتفرع عن التعبير من معان يكتفى بحضورها في الذهن عن ذكرها، ثم تؤخذ مباني لما يأتي به التعبير بعدها».

ويقول أيضًا (٣): «وحلل البيضاوي في «تفسيره» ما جمع من أفكار المتقدمين، وبحثها ونقدها واستخرج منها أحكامها، واستظهارات شخصية، وأبدع في كثير من الأحكام والاستظهارات مما استقل به وانفرد بتحقيقه، وربما جمع الأوجه المتعددة والاحتمالات المختلفة فرتبها بحسب الرجحان، وأشار إلى ما هو المعتمد منها، وما هو ضعيف أو مردود، وسبك تلك الأنظار البعيدة والتحارير العالية سبكًا دقيقًا رقيقًا، بناءً على تنقيح العبارة وضبطها وتهذيبها واختصارها الاختصار المحكم القابل للبسط والإيضاح، على ما هي الطريقة المختارة المسلوكة يومئذ في تحرير العلوم، وهي المشتهرة عند العلماء بـــ (الطريقة الأعجمية).

ويمكن أن نجمل منهج البيضاوي في التفسير بالنقاط التالية (٤):

---

(١) د. الذهبي، المصدر السابق (٢٩٨/١).

(٢) ابن عاشور، التفسير ورجاله ص ١١٣.

(٣) ابن عاشور، المصدر السابق ص ١٠٧.

(٤) انظر: د. الذهبي، التفسير والمفسرون (٢٩٨/١-٣٠٠)؛ ابن عاشور، التفسير ورجاله ص ١١٦؛ الخالدي، تعريف الدارسين ص ٤٣٠، وانظر – للزيادة – «منهج البيضاوي في تفسير القرآن الكريم» لشوقي الدهان ص ١٦٥ وما بعدها، فقد أطال

١- الإمام البيضاوي يعتمد على الحديث النبوي في تفسيره وإن كان لا يَتَحَرَّى التي يذكرها في درجة الأحاديث؛ ولذلك وقع فيما وقع فيه صاحب «الكشاف» من ذكره في نهاية كل سورة حديثًا في فضلها وما لقارئها من الثواب، وهذه الأحاديث موضوعة باتفاق أهل الحديث.

٢ - كان البيضاوي أثناء «تفسيره» يذكر بعض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين.

٣ - أعمل البيضاوي عقله في «تفسيره»، فضمنه نكتًا بارعة، ولطائف رائعة، واستنباطات دقيقة.

٤ - البيضاوي رحمه الله يهتم بذكر القراءات، ولا تمر عليه قراءة وردت في لفظ قرآني إلا ويذكرها ويتعرض لها بالتوضيح والبيان والتوجيه، ولكنه لا يلتزم الصحيح، فقد يذكر القراءة الصحيحة، وقد يذكر القراءة الشاذة.

٥ - الإمام البيضاوي له اهتمام واضح باللغة والنحو والإعراب، ولكنه لم يتناول النص القرآني بالإعراب لفظة لفظة، وجملة جملة، بل كان يتناول بعض الجمل والكلمات بالتوجيه والإعراب إذا دعت ضرورة إلى ذلك، سواء كانت الضرورة لغوية أو تخص القراءات أو تساعد على بيان التفسير.

٦ - البيضاوي رحمه الله يتعرض عند آيات الأحكام لبعض المسائل الفقهية، بدون توسع منه في ذلك، ويلاحظ عليه أيضًا أنه يرجح مذهبه - مذهب الإمام الشافعي - وإذا قال حكمًا ورد في مذهب من المذاهب الأخرى أتبعه بقوله: «وعندنا يكون الحكم كذا».

٧ - البيضاوي مقل جدًّا في ذكر الإسرائيليات، وهو يصدر الرواية بقوله: «روي» أو «قيل»؛ إشعارًا منه بضعفها.

الباحث وأجاد في الكلام عن منهج البيضاوي في التفسير وذكر الكثير من الأمثلة التي توضح ذلك.

٨ – الإمام البيضاوي إذا عرض للآيات الكونية، فإنه لا يتركها بدون أن يخوض في مباحث الكون والطبيعة، ولعل هذه الظاهرة سرت إليه من طريق «التفسير الكبير» للفخر الرازي الذي استمد منه كما قلنا.

ونختم تعريفنا «بتفسير البيضاوي» بذكر بعض أقوال العلماء في هذا التفسير، وهذه الأقوال تدل على مدى المكانة السامقة التي اعتلاها هذا التفسير في نفوس المسلمين عامة، والدارسين خاصة، فما من عالم أو مؤرخ أو متناول لهذا التفسير إلا وأثنى عليه، وأظهر مكانته وأوضح أهميته.

فها هو صاحب كشف الظنون يثني على هذا التفسير بقوله[١]: «وتفسيره هذا كتاب عظيم الشأن غني عن البيان... كما قال مولانا المنشي:

أولو الألباب لم يأتوا   بكشف قناع ما يتلى
ولكن كان للقاضي   يد بيضاء لا تبلى

ولكونه متبحرًا جال في ميدان فرسان الكلام، فأظهر مهارته في العلوم حسبما يليق بالمقام، كشف القناع تارة عن وجوه محاسن الإشارة، وملح الاستعارة، وهتك الأستار أخرى عن أسرار المعقولات بيد الحكمة ولسانها، وترجمان الناطقة وبنانها، فحل ما أشكل على الأنام، وذلل لهم صعب المرام، وأورد في المباحث الدقيقة ما يؤمن به عن الشبه المضلة، وأوضح لهم مناهج الأدلة ...».

ولعل خير من يبين لنا قيمة هذه التفسير ومكانته، من عكف عليه بالدرس والتحشية، وعاش معه، واستخرج كنوزه، وغاص في أعماقه بحثًا عن درره. يقول القونوي في «حاشيته على تفسير البيضاوي»[٢]: «فإنه كتاب احتوى على معان كثيرة الشعوب، متدانية

---

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون (١٩٧/١).

(٢) القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، تحقيق عبدالله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م، (٢٣/١).

الجنوب، مسومة المبادئ والمطالع، مقومة الأعالي والقواطع، واحتوى أيضًا من قواعد البلاغة وأصول الفصاحة أهمها، ومن شعب البلاغة والبراعة وفنون البدائع أدقها وأسناها، ومن قوانين العلوم الأدبية أقواها وأعلاها، فكان من بين التفاسير كالغرة الغراء، والفريدة البيضاء، ومرآة لانفهام وجوه البلاغة والإعجاز، وصحائفه المزايا الحسان والإيجاز، مع عبارة لطيفة أنيقة، وإشارات دقيقة رشيقة، كأنها سحر عجاب، يتحير منه أولو الألباب، فصار في الاشتهار، كالشمس في الهاجرة ونصف النهار، واعتمد عليه أولو الأبصار، من الفحول العظماء في جميع الأقطار والأمصار».

ثالثا: ما أثاره تفسير البيضاوي من نشاط علمي:

إن «تفسير البيضاوي» رحمه الله نبع فياض، وبحر زاخر في المعارف والدرر والعلوم، وقد أثار حوله نشاطًا علميًّا هائلاً، واكتسب مكانة رفيعة منذ ظهوره حتى وقتنا الحاضر، وانتشر بين المسلمين شرقًا وغربًا، ولا يزال مثار اهتمام المفسرين واللغويين على حد سواء.

وبسبب هذه المنزلة العالية التي تبوأها، فقد تناوله العلماء بالتحشية، والتعليق عليه، والاختصار، والتخريج لأحاديثه، وقد زادت هذه المصنفات على الثلاث مئة [(١)]، وهي ذات فائدة كبيرة؛ لأنها كشفت لنا غوامض هذا التفسير، وأبانت ووضحت وحللت وعلقت على القضايا التي هي بحاجة إلى هذا البيان والتوضيح، وباختصار: قربت فهم هذا التفسير للدارسين وطلبة العلم.

---

(١) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون (١٩٨/١-٢٠٢)؛ المناوي، زين الدين عبد الرؤوف، الفتح السماوي بتخريج أحاديث البيضاوي، تحقيق أحمد مجتبى بن نذير عالم السلفي، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ (٥٩/١-٦٢) مقدمة المحقق؛ البغدادي إسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبع وكالة المعارف، ١٣٦٤هـ- ١٩٤٥م، (١٣٨/١-١٤٢)؛ الدهان، منهج البيضاوي ص١٤١-١٥٠؛ الزحيلي، القاضي البيضاوي ص ١٤٠-١٤٤؛ المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، (٣٢٠/٢-٣٤٣).

والمصنفات المتفرعة عن «تفسير البيضاوي» كثيرة جدًّا، فقد عد حاجي خليفة ما يزيد على الأربعين، وعد إسماعيل باشا البغدادي حوالي السبعين، أما «الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط» فقد عد (٣٣٣) حاشية.

وهذا عرض لأهم تلك المصنفات مع تعريف مختصر بها:

أولاً: الحواشي:

من الحواشي المطبوعة التي تناولت التفسير كله من جميع النواحي:

١ - حاشية الشهاب الخفاجي المتوفي سنة (١٠٦٩) هـ: وهذه الرسالة هدفها التعريف بهذه «الحاشية»، وبيان المنهج الذي سلكه الشهاب فيها.

٢ - حاشية محي الدين شيخ زاده المتوفى سنة (٩٥١) هـ: وهي أعظم الحواشي فائدة وأكثرها نفعًا وأسهلها عبارة - كما قال صاحب كشف الظنون[1] -.

٣ - حاشية مصطفى بن إبراهيم المشهور بابن التمجيد المتوفى حوالي (٨٨٠) هـ.

٤ - حاشية إسماعيل بن محمد القونوي المتوفى سنة (١١٩٥) هـ: وهي من الحواشي القيمة التي كتبت على «تفسير البيضاوي»، وقد كتبها بعد أن درَّس «تفسير البيضاوي» بجامع أبي الفتح الغازي السلطان محمد خان - كما قال في المقدمة - [2].

٥ - حاشية عبد الحكيم السيالكوتي المتوفى سنة (١٠٦٧) هـ: والحاشية مشهورة بالتحقيق والتحليل، وصواب النظر، ورشاقة العبارة، والإغراق في الإشارة، حتى اعتبرت عنقاء الدارسين، وآبدة الناظرين - كما يقول الفاضل ابن عاشور - [3].

---

(١) انظر: حاجي خليفة، المصدر السابق (١/ ١٩٨).

(٢) انظر: القونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي (١/ ٢٣).

(٣) انظر: ابن عاشور، التفسير ورجاله ص ١١٦.

٦ – حاشية أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني، المتوفى في حدود سنة (٩٤٠) هـ.

٧ – حاشية جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة (٩١١) هـ: وسماها «نواهد الأبكار وشوارد الأفكار»، وقد حُقق قسم من هذه «الحاشية» في رسالة جامعية، حيث قام الطالب صبحي قصاب بتحقيقها من سورة الأنعام إلى سورة الناس، وقدمها لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية؛ جامعة البعث، سنة (٢٠٠٣) م، بإشراف الدكتور رضوان القضماني، وتقع في في أربعة مجلدات، وأشار إلى أن طالبًا آخر يقوم بتحقيق الجزء الأول من «الحاشية»، ولكنه لم ينجز رسالته بعد[١].

ثانيًا: التعليقات:

ذكرنا أمثلة لحواشي «البيضاوي»، وهناك أيضًا تعليقات تناولت جوانب معينة، وأمورًا محددة من هذا التفسير، ومن هذه التعليقات:

١ – «الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف»: وهذا التعليق كتبه شمس الدين محمد بن يوسف الشامي المتوفى سنة (٩٤٢) هـ، وقد أراد مؤلفه أن يبين فيه ما تبع فيه البيضاوي في «تفسيره» صاحب «الكشاف» [٢].

٢ – «رفع الاختلاف عن كلامي القاضي والكشاف»: كتبه عبد الغني النابلسي المتوفى سنة (١١٤٣) هـ، وهو تعليق كتبه صاحبه لرفع ما تُوُهم من اختلاف وقع في فهم كلام أو عبارات القاضي البيضاوي والعلامة الزمخشري في تفسيريهما[٣].

---

(١) انظر: السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، تحقيق صبحي قصاب، رسالة ماجستير، جامعة البعث، حمص، ٢٠٠٣ م، (١/ ٦) المقدمة.

(٢) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون (١/ ٢٠٢)؛ الدهان، منهج البيضاوي ص ١٤٨.

(٣) انظر: الدهان، المصدر السابق ص ١٤٩.

ثالثا: كتب التخريج:

١ – «الفتح السماوي بتخريج أحاديث البيضاوي»: لعبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة (١٠٣١) هـ.

٢ – «تحفة الراوي في تخريج أحاديث البيضاوي»: لمحمد همات زاده المتوفى سنة (١١٧٥) هـ.

٣ – «إتحاف الأخيار بتخريج ما في تفسير البيضاوي من الأخبار»: لعوض بن محمد بن السقاف الحضرمي الشافعي، ذكره محقق «الفتح السماوي» نقلاً عن المدراسي[1].

٤ – «فيض الباري في تفسير أحاديث تفسير البيضاوي»: لعبد الله بن صبغة المدراسي المتوفى سنة (١٢٨٨) هـ، ذكره محقق «الفتح السماوي»، وقال [2]: «وكتابه – المدراسي – مخطوط بقلم المؤلف، منه نسخة مصورة بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية وهو إلى سورة مريم فقط في ست وثمانين ورقة».

رابعًا: المختصرات:

١ – «مختصر تفسير البيضاوي»: لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بإمام الكاملية المتوفى سنة (٨٧٤) هـ.

---

(١) انظر: المناوي، الفتح السماوي (٦٠/١) مقدمة المحقق.

(٢) انظر: المناوي، المصدر السابق (٦٠/١) مقدمة المحقق.

الفصل الأول

الشهـــاب الخفاجـي

عصره وحياته وآثاره

المبحث الأول

عصره

يتأثر الإنسان بالبيئة التي يعيش فيها، ويتفاعل معها، ويتجاوب مع أحداثها سلبًا وإيجابًا، ومعرفة الظروف والأحوال التي تحيط بشخصية معينة لها أثر كبير في فهم هذه الشخصية؛ فالإنسان مرآة عصره.

والبحث في شخصية ما، يتطلب من الباحث دراسة العصر الذي عاشت فيه هذه الشخصية من مختلف جوانبه سواء السياسية أم الاجتماعية أم العلمية؛ ولذلك نعرض نبذة مختصرة عن عصر الشهاب الخفاجي، لإلقاء الضوء على الظروف التي عاشها، وكان لها أثر كبير في حياته، وتكوينه الثقافي، وإنتاجه العلمي.

وسنتناول – إن شاء الله تعالى – عصر الشهاب من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: الدولة العثمانية ـ نشأتها وتوسعها:

الأتراك العثمانيون من قبيلة قابي، وهي إحدى قبائل الغز التركية التي نشأت في تركستان، وقد خرجوا من موطنهم الأصلي – بزعامة أرطغرل – في أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، باتجاه أرمينيا وآسيا الصغرى فرارًا من وجه الغارات المغولية الأولى، وهناك انضموا إلى السلطان علاء الدين السلجوقي – سلطان قونية – في حربه ضد البيزنطيين؛ فكافأهم بأن منحهم منطقة (إسكي شهر) على حدود الدولة البيزنطية.

وعندما توفي أرطغرل عام (٦٨٨هـ – ١٢٨٨م)؛ تولى ابنه عثمان مكانه، وقد تمكن من الاستيلاء على مدينة (قرة حصار) واتخذها عاصمة له، وإلى عثمان هذا ينتسب العثمانيون.

وبوفاة عثمان عام (٧٢٧هـ - ١٣٢٦م) خلفه ابنه أورخان، الذي هاجم أملاك الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى؛ فاستولى على (بروسة) واتخذها عاصمة له، كما استولى على (انقرة) و (نيقية)، وفي عهد أورخان أنشئ نظام الإنكشارية؛ أي: العسكر الجديد.

في عهد السلطان مراد الأول بن أورخان الذي خلف أباه عام (٧٦٣هـ - ١٣٦٢م) توسع العثمانيون في البلقان، فاستولوا على (أدرنه) و (تراقيا) و (مقدونيا) و (صوفيا) و (الصرب الشرقية)، وجوبه مراد الأول بتحالف بلقاني من الصرب والبلغار، وجرت معركة (قوصوه) عام (٧٩١هـ - ١٣٨٩م) كان النصر فيها حليف العثمانيين، إلا أن السلطان مراد قتل في المعركة.

وعندما تولى ابنه بايزيد الأول السلطة؛ بدأ نشاطه العسكري في الأناضول بالاستيلاء على الإمارات التركية البحرية المطلة على بحر (إيجه)، ثم استولى على إمارة (قرمان) وعاصمتها (قونيه)، وحين هاجم بعض الإمارات التركمانية في أعالي الفرات؛ أرسل إليه تيمورلنك يطالبه بإخلاء هذه الإمارات ويتهدده بالحرب؛ إلا أن بايزيد لم يأبه لذلك وأرسل يدعو تيمورلنك للقتال؛ وهكذا بدأت الحرب بين العثمانيين والمغول، وفي عام (٨٠٤هـ - ١٤٠٢م) وقعت معركة (أنقرة) التي انتهت بانتصار المغول، ووقوع بايزيد في الأسر، أما تيمورلنك فقد استولى على أهم المدن العثمانية في الأناضول ونهبها، وأعاد الأمراء الاتراك غير العثمانيين إلى إماراتهم.

مر العثمانيون بعد معركة (أنقرة) بفترة ركود استمرت حوالي خمسين عامًا؛ حتى تولى العرش السلطان محمد الثاني أو محمد الفاتح أعظم سلاطين الدولة العثمانية، وهو الذي فتح القسطنطينية عام (٨٥٧هـ - ١٤٥٣م) وجعلها عاصمة للدولة العثمانية.

عندما نشأت الدولة الصفوية في إيران، تبنت سياسة نشر المذهب الشيعي؛ فاحتلت العراق عام (٩١٣هـ - ١٥٠٨م) في عهد إسماعيل الصفوي، مما أدى إلى وقوع الاحتكاك

بين الدولتين الصفوية والعثمانية.

لذا زحف السلطان سليم الأول الذي تولى السلطة عام (٩١٨هـ - ١٥١٢م) بجيوشه إلى إيران؛ فهزم الصفويين في معركة (جالديران) عام (٩٢٠هـ - ١٥١٤م) ثم دخل عاصمتهم تبريز، وبعد أن انتهى من الصفويين توجه نحو المماليك، فلم يعد إلى القسطنطينية بعد فتح تبريز، بل جاء بجيشه وعسكر شمال حلب، وجرت هناك معركة (مرج دابق) سنة (٩٢٢هـ - ١٥١٦م) بينه وبين المماليك بقيادة قانصوا الغوري، وانتهت بانتصار العثمانيين، فدخلت بلاد الشام تحت حكمهم، وتولى طومان باي حكم المماليك في مصر، إلا انه لم يستطع المقاومة وانهزم أمام العثمانيين في معركة (الريدانية) عام (٩٢٢هـ - ١٥١٧م)، ودخل جيش سليم الأول القاهرة مع مطلع عام (٩٢٣) هـ.

وهكذا بسطت الدولة العثمانية سيادتها على العالم العربي ما عدا المغرب الأقصى وبعض الأطراف الشرقية والجنوبية من شبه الجزيرة العربية [1].

المطلب الثاني: الحياة السياسية:

ولد الشهاب الخفاجي سنة (٩٧٧هـ - ١٥٦٩م) وتوفي سنة (١٠٦٩هـ - ١٦٥٩م)، وكانت مصر تحت حكم العثمانيين بعد أن أخضعها السلطان سليم سنة (٩٢٣) هـ - كما ذكرنا آنفا -.

وبذلك يكون الشهاب قد ولد في عهد السلطان سليم الثاني بن سليمان (٩٧٤ - ٩٨٢ هـ)، وتوفي في عهد السلطان محمد الرابع بن إبراهيم (١٠٥٨ - ١٠٩٩هـ)، وقد تولى

---

(١) انظر: أرسلان، الأمير شكيب، تاريخ الدولة العثمانية، جمع أصوله وحققه وعلق عليه: حسن السماحي سويدان، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار التربية، دمشق - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ص ٥٥ - ١٤٢؛ الصباغ، ليلى، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دمشق، ١٩٨١-١٩٨٢م، ص ٥٤-٩٤؛ القضاة، أمين، الهزايمة، محمد، محاضرات في التاريخ الإسلامي، دار عمار، ط٣ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ص٢١٩-٢٢١.

الخلافة العثمانية في هذه الفترة تسعة من السلاطين العثمانيين وهم [١]:

١ - السلطان سليم بن سليمان (٩٧٤ - ٩٨٢هـ).

٢ - السلطان مراد بن سليم (٩٨٢ - ١٠٠٣هـ).

٣ - السلطان محمد بن مراد (١٠٠٣ - ١٠١٢هـ).

٤ - السلطان أحمد بن محمد (١٠١٢ - ١٠٢٦هـ).

٥ - السلطان مصطفى بن محمد (١٠٢٦ - ١٠٣٢هـ).

٦ - السلطان عثمان بن أحمد (١٠٢٧ - ١٠٣١هـ) [٢].

٧ - السلطان مراد بن أحمد (١٠٣٢ - ١٠٤٩هـ).

٨ - السلطان إبراهيم بن أحمد (١٠٤٩ - ١٠٥٨هـ).

٩ - السلطان محمد بن إبراهيم (١٠٥٨ - ١٠٩٩هـ).

أما أبرز ملامح الحياة السياسية في تلك الفترة فهي كما يلي:

أولاً: كان العالم الإسلامي منقسمًا من الناحية السياسية إلى عدة دول؛ ففي أقصى الشرق تقوم دويلات هندية إسلامية مثل (حيدر آباد) و (بيجافور)، وفي بلاد العجم (إيران) يحكم الصفويون الشيعة، وأما الدولة العثمانية فقد بسطت سيطرتها على معظم العالم العربي، ولكن على الرغم من هذا التمزق السياسي فإن العالم الإسلامي كان يعيش ضمن تواصل

---

(١) انظر: موسى باشا، عمر، تاريخ الأدب العربي (العصر العثماني)، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، ص ٢٤-٢٥.

(٢) تولى السلطان مصطفى بن محمد سنة (١٠٢٦) هـ، ثم عزل سنة (١٠٢٧) هـ، وتولى السلطان عثمان فقتل سنة (١٠٣١) هـ، ثم تولى مصطفى مرة أخرى وتوفي سنة (١٠٣٢) هـ. انظر: المحبي، محمد الأمين، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مكتبة الخياط، بيروت د.ت، (٣٦٣/٤-٣٦٥).

حضاري، وصلات علمية وثيقة، تجعله يبدو موحدا [١].

ثانيًا: اعتماد التشريع العام في الدولة على الشريعة الإسلامية، وقد اتخذت الدولة العثمانية المذهب الحنفي مذهبًا رسميًّا لها، وقد حددت حقوق فئات المجتمع العثماني وواجباته وأقاليم الإمبراطورية والعلاقات المختلفة فيها بتنظيمات أطلق عليها اسم «القانون»[٢].

ثالثًا: النظم السياسية التي كانت تحكم الدولة هي كما يلي: السلطان وهو على رأس هذه النظم، وإلى جانبه عدد من الوزراء على رأسهم الوزير الاعظم، وإلى جوارهما مؤسسة إدارية غنية بالاختصاصات المختلفة، وبخاصة منها المالية والعسكرية، ومؤسسة دينية لها نظمها ومراتبها واختصاصاتها، وكانت الدولة مقسمة إلى ولايات، والهيئة الحاكمة في تلك الولايات من: (بكلربكي) – ويسميه المحبي المحافظ – و (كتخذا) – نائب الوالي – و (الدفتردار) – القابض على شؤون المالية– و(آغا العسكر) –ويسميه المحبي رئيس الجند – [٣].

رابعًا: انتشار بيع المناصب وتسليمها لغير أهلها، وتفشي الرشوة، وفساد الجيش، وثوراته المتتالية [٤].

خامسًا: تولي بعض السلاطين الضعفاء، واستغلال الجيش الإنكشاري هذا الضعف؛ فأخذ يتمرد على السلاطين، ويسقط سلطانًا ويعين آخر، فخلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين/ السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، خُلِعَ أَو أُجبر على التنازل ما لا يقل عن ستة سلاطين، اثنان منهم قتلاً [٥].

---

(١) الصباغ، ليلى، من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول: محمد الأمين المحبي المؤرخ وكتابه خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م، ص ١٦٨-١٧٠.

(٢) الصباغ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ١١٢.

(٣) الصباغ، من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول ص ١٧٢.

(٤) الصباغ، المصدر السابق ص ١٧٧.

(٥) الصباغ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ١١٨.

المطلب الثالث: الحياة الاجتماعية:

وتتلخص أبرز ملامح الحياة الاجتماعية بالنقاط التالية:

أولاً: كان المجتمع يتكون من طبقات [١]:

١ – الطبقة الحاكمة، وبيدها السلطة السياسية والعسكرية والإدارية.

٢ – والطبقة الثانية مؤلفة من علماء الدين، وهم في معظم الأحيان من العرب الذين نالوا ثقافة أصيلة، تعتمد على دراسة القرآن والحديث والفقه والتاريخ والعلوم المختلفة، أو من الأعاجم المولدين، وهم في ذلك يتابعون الخطط القديمة في الدراسات الإسلامية، وفي هذه الطبقة كنا نجد كبار العلماء والمؤرخين الذين أسهموا في الحياة الدينية والعلمية، واشتركوا في الحياة السياسية، فكان منهم القضاة وشيوخ الإفتاء وكبار المنشئين في الإدارات والدواوين.

٣ – والطبقة الثالثة هي عامة الناس الذين تتألف منهم الدولة العثمانية، وهم مؤلفون من فئات: عربية أو غير عربية.

٤ – أهل الذمة: اتبع العثمانيون معهم مبدأ التسامح، فحفظوا عليهم حياتهم، وصانوا لهم حرية عبادتهم على أن يدفعوا الجزية والخراج، ولم يحاولوا أن يتدخلوا في علاقاتهم فيما بينهم، بل تركوها لرؤسائهم الدينيين، مع تطبيق الأحكام الإسلامية الشرعية الخاصة بعلاقات المسلمين معهم، وبعلاقاتهم مع الدولة، وبعد أن فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية أوجد لأهل الذمة تنظيما مركزًا، فقد أطلق على كل جماعة من أهل الذمة لقب (ملة)، والموظف المسؤول أمام الدولة على إدارة شؤونها (ملة باشي).

---

(١) انظر: موسى باشا، تاريخ الأدب العربي (العصر العثماني) ص ٢٦-٣٠؛ الصباغ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ١٩٢-١٩٥.

ثانيًا: اهتم السلاطين العثمانيون بالشعائر الدينية، فبنوا المساجد الكثيرة جريًا على سنة من تقدمهم من سلاطين المماليك، واهتموا بنقباء الأشراف الذين كان لهم سلطان كبير على السلاطين العثمانيين، واهتموا كذلك في العناية بالحج وصيانة البلاد المقدسة مما كان يصيبها من خراب وتهدم (١).

ثالثًا: بالنسبة للمرأة، يمكن القول بأنها بصفة عامة كانت تعيش «حياة البيت» في إطار الأسرة، منعزلة إلى حد كبير عن الأجواء الخارجية العامة التي يعيشها الرجل، ولكن هذا لا يمنع من القول إنه كان للمرأة إسهام في الحياة الفكرية في تلك المرحلة، تعلماً وتعليماً وتحديثاً وإنتاجاً شعرياً ونثرياً وعملاً في ميدان الطب، وقد ترجم بعض مؤرخي القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي لعدد من النساء الشهيرات في تلك الميادين، فقد ترجم الغزي في «الكواكب السائرة» لاثنتي عشرة امرأة، ورضي الدين الحنبلي في «در الحبب» لثمان وبعضهن مشترك بين الاثنين، كما أن المحبي في القرن الحادي عشر أشار في ثنايا تراجمه إلى عالمات شاعرات، وإلى طبيبة استلمت مشيخة الطب في دار الشفاء المنصوري في مصر بعد وفاة والدها (٢).

رابعًا: شهد هذا العصر انتشار التنجيم، وشاع بين الدراويش المتصوفة تعاطي الأفيون والحشيش، وانتشر أيضًا تدخين التبغ الذي بدأ ظهوره خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وقد ثار حوله جدل بين الفقهاء بين محلل ومحرم، وألفت الرسائل في ذلك، وفي نفس الفترة تقريبًا تأصل شرب القهوة وانتشارها (٣).

المطلب الرابع: الحياة العلمية:

---

(١) موسى باشا، المصدر السابق ص ٣٤.

(٢) انظر: الصباغ، من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول ص ٣٥-٣٦؛ المؤلفة نفسها، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ٢٠٣.

(٣) انظر: موسى باشا، تاريخ الأدب العربي (العصر العثماني) ص٣٢.

لقد وُسِمَت الحياة العلمية في العصر العثماني بسمات التدهور والانحطاط والجمود[١]، وهذا الأمر قد يصدق على فترة أواخر الحكم العثماني، أما المرحلة الأولى من هذا العصر – أي القرون الثلاثة الأولى منه (العاشر والحادي عشر والثاني عشر) – فإن الكثير من الدراسات التي تناولت تلك المرحلة التاريخية أظهرت أن الحضارة الإسلامية في تلك الفترة لم تخب جذوتها بل ظلت فاعلة وسخية العطاء، ولعل عرضنا التالي لأبرز ملامح الحياة العلمية في تلك المرحلة يؤكد ما ذهبنا إليه:

أولاً: إن مرتبة العلم ما فتئت بالنسبة لمجموع المجتمع وللسلطة الحاكمة هي أسمى مرتبة، فإنه ما برح راسخاً في أذهان الناس أن العلماء ورثة الأنبياء، وقد عبر النجم الغزي عن ذلك في مطلع كتابه «الكواكب السائرة» ولخص حديثه ببعض أبيات منها قوله[٢]:

إنما سادة الورى النجباء   ونجوم الهدى هم العلماء
ينقضي الدهر والمكارم   أبد الدهر ما لهم انقضاء
فهم الدائمون معنا وإن ما   توا فوالله إنهم أحياء

كما عبر مؤرخو التراجم عن هذه النظرة بأن خصوا العلماء بالقسط الأوفى من تراجمهم، ونظروا إليهم على أن مرتبتهم تفوق مرتبة الحكام، فالمحبي مثلاً خص العلماء والأدباء بـــ (٩٠) % من تراجمه تقريبًا، والطبقة الحاكمة بـــ (١٠) % (١٢٠ ترجمة تقريبًا من ١٢٨٩)[٣].

ثانيًا: كان تيار العلوم الشرعية هو التيار الأقوى والأنشط في تلك المرحلة [٤]، وكان

---

(١) انظر: بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٤٨م ، ص٤٨٢ ؛ خفاجي، محمد عبد المنعم، الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد حتى العصر الحديث، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م، ص ١٨٢.

(٢) الغزي، نجم الدين محمد بن محمد، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، دار الفكر، (١/ ٤).

(٣) الصباغ، من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول ص ١٤ (الهامش).

(٤) انظر: بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٤٨٢؛ الصباغ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ٢١٢.

من ثمار هذا النشاط مؤلفات عديدة في ميدان العلوم الشرعية، ففي مجال التفسير مثلاً نجد العديد من التفاسير التي ألفت في هذه الفترة ومنها [(١)]: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» لأبي السعود العمادي المتوفى سنة (٩٨٢ هـ - ١٥٧٥ م)، و«السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير» للخطيب الشربيني المتوفى سنة (٩٧٧هـ - ١٥٧٠م)، و«روح البيان» لإسماعيل حقي البروسوي المتوفى سنة (١١٣٧هـ - ١٧١٥م)، و«الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» لسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل المتوفى سنة (١٢٠٤هـ - ١٧٩٠م)، وغيرها.

ثالثًا: رافق تيار العلوم الشرعية تيار العلوم اللغوية، فقد درس الكثير من العلماء اللغة العربية وألفوا فيها، ومن هذه المؤلفات: «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب» لعبدالقادر البغدادي المتوفى سنة (١٠٩٣) هـ وهذا الكتاب عبارة عن شرح لشواهد «شرح الكافية»، ومن المؤلفات أيضا: «تاج العروس من جواهر القاموس» للمرتضى الزبيدي المتوفى سنة (١٢١٣) هـ وهو شرح «للقاموس المحيط».

وقد ظهرت في هذا العصر مصنفات عدة عني أصحابها بتنقية العربية من الألفاظ الدخيلة، ومن المصنفات التي تناولت هذا المجال: «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل والنادر الوحشي القليل» للشهاب الخفاجي المتوفى سنة (١٠٦٩هـ - ١٦٥٩م)، و«قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل» للمحبي المتوفى سنة (١١١١هـ - ١٦٩٩م) [(٢)].

رابعًا: وازى التيارين السابقين وتداخل معهما تيار علمي ثالث كان محوره العلوم

---

(١) زمامة، عبد القادر وآخرون، معجم تفاسير القرآن الكريم، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م، ص ١٦٣، ١٧٥، ٣٠٧، ٤٧٠.

(٢) الصباغ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ٢١٣؛ خفاجي، الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد حتى العصر الحديث ص ١٥٥.

العقلية كالرياضيات والفلك والطب والكيمياء وغيرها، وإن كان التياران الأول والثاني قد غطيا عليه؛ لاهتمام مؤرخي تلك الحقبة بإبراز النابهين في حقول العلوم الشرعية واللغوية، وكثرتهم بالنسبة للمبدعين في هذا المجال، ومن المؤلفات في العلوم العقلية: «تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب» في الطب لداود الانطاكي المتوفى سنة (١٠٠٨هـ - ١٦٠٠م)، و«غاية الإتقان في تدبير بدن الإنسان» في الطب أيضًا، وهو لصالح بن نصر الله ابن سلوم المتوفى سنة (١٠٨١هـ - ١٦٧٥م)، و «الطرق السنية في الآلات الروحانية» لتقي الدين بن معروف المتوفى سنة (٩٩٣هـ - ١٥٨٥م) وهو كتاب في الهندسة الميكانيكية، وقد حققه ونشره الدكتور أحمد يوسف حسن [1].

خامسًا: ازدهار التأليف التاريخي بمدارسه التقليدية وإن كانت مدرسة «التراجم» أقواها، ومن هذه المؤلفات: «مفاكهة الخلان في حوادث الزمان» لابن طولون المتوفى سنة (٩٥٣هـ - ١٥٤٦م)، و«الكواكب السائرة في تراجم أعيان المئة العاشرة» للنجم الغزي المتوفى سنة (١٠٦١هـ - ١٦٥١م)، و«عجائب الآثار في التراجم والأخبار» للجبرتي المتوفى سنة (١٢٣٧هـ - ١٨٢٤م) [2].

سادسًا: بروز حركة أدبية نشيطة، عبر عنها الأستاذ عبد الفتاح الحلو باسم «النهضة الأدبية»[3]، ويظهر من كتب الأدب والتراجم أن البلاد العربية كانت تعج بعديد من الشعراء والناثرين، الذين لم يقوموا حق التقويم بعد، ولقد قام بعض المؤرخين والأدباء بالترجمة لهم، وممن قام بهذه المهمة -مثلاً- الشهاب الخفاجي في كتابيه: «ريحانة الألبا وزهرة الحياة

---

(١) الصباغ، المصدر السابق ص ٢١٣؛ المؤلفة نفسها، من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول ص ٢١-٢٢.

(٢) الصباغ، من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول ص ٢٦؛ خفاجي، الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد حتى العصر الحديث ص ١٥٧.

(٣) انظر: المحبي، محمد الأمين، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق عبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م (٣١/١) مقدمة المحقق.

الدنيا»، و«خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا»، ومن كتب الأدب التي ألفت في تلك الفترة: «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب» للمقري المتوفى سنة (١٠٤١ هـ - ١٦٣٢م)، و«عروس الآداب» و«عنوان البيان» لعبد الله بن شرف الدين الشبراوي المتوفى سنة (١١٧٢هـ - ١٧٣٠م) (١).

سابعًا: نمو تيار التصوف وخضوع حياة الجماهير الدينية لتأثير مشايخ الطرق الصوفية(٢).

ثامنًا: انتشار الجامعات والمدارس ففي الأستانة كان هناك الكثير من المكاتب ودور العلم منها: دار الفنون، ومكتب غلطة سراي، والمكتب العسكري، ومكتب البحرية، وأما المدارس فقد كان في الأستانة وحدها (١٧١) مدرسة، ويبلغ مجموع طلبة هذه المدارس نحوًا من سبعة آلاف طالب(٣).

تاسعًا: وصف كثير من الباحثين والمؤرخين هذه المرحلة بالتقليد وعدم التجديد، وأن تيار العلوم الشرعية مثلاً ظل يعتمد على دراسة علوم السلف من تفسير وحديث وفقه، وأن ظاهرة التحشية وشرح المختصرات واختصار المطولات هي الصفة الغالبة على مؤلفات هذه المرحلة، ولكن قبل الحكم نهائيًا بالتقليد البحث على تلك المؤلفات لا بد من دراستها بدقة وعمق، وموازنتها مع ما مضى، فقد يكون في بعضها تجديد (٤).

وهكذا بعد هذا العرض الموجز لأبرز ملامح الحياة العلمية، خلال المرحلة الأولى من الحكم العثماني للعالم العربي؛ نخلص إلى أن حياة علمية غنية وخصبة كانت موجودة، ومن

---

(١) الصباغ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ٢١٤؛ خفاجي، الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد حتى العصر الحديث ص ١٦٧-١٦٨.

(٢) بركلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٢٨١؛ الصباغ، المصدر السابق ص٢١١.

(٣) انظر: أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٧٠٣-٧٠٤.

(٤) الصباغ، من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول ص١٨.

الخطأ وصفها بالانحطاط والتدهور وبالجمود.

لقد آن الأوان لإعادة تقويم الحضارة الإسلامية في الفترات التي وصفت بالانحطاط والتدهور، وعلى الباحثين والدارسين دخول ميدان الدراسات العلمية العميقة التي تتناول تراث تلك المرحلة، بدون تأثر بأية مقررات سابقة، وأن يعطوها حقها من التحقيق والدراسة والنقد والتقويم.

وإن الدراسة التالية لأحد أعلام الفكر الإسلامي في القرن الحادي عشر الهجري – وهو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي – قد تكون خطوة في هذا الطريق، ومثالاً يثبت كثيرًا مما قلناه في الصفحات السابقة.

المبحث الثاني

حياته

المطلب الأول: اسمه ونسبه ولقبه:

هو أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي [(١)].

والخفاجي: نسبة إلى قبيلة خفاجة [(٢)]، وقد ذكر الشهاب في مقدمة كتابه «الريحانة» انتساب أسرته إلى بني خفاجة، فقال [(٣)]: «هذا وإني كنت قبل أن تُشيب منّي الخطوبُ الذوائبَ... أعدُّ الأدب عنوان صحائف الشمائل، وبيت القصيد في ديوان المآثر والفضائل... وأرتشف من طبعي ما يَنِمُّ عن سر الزجاجة، وأَشْتَفُّ منه ما أسأَرَتْه الجُدودُ من ذؤابة خفاجة، صُبابة مجد لم يكدرها في جام المشارب، ورْدُ الخطوب وازدحام الشوائب».

---

(١) انظر ترجمته في: الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق عبد الفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٩٦٧م، (٣٢٧/٢-٣٤٠)؛ المحبي، خلاصة الأثر (٣٣١/١-٣٤٣)؛ ابن معصوم، علي صدر الدين المدني، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، مكتبة محمد أمين الخانجي، مصر، ١٣٢٤هـ- ١٩٠٥م، ص ٤٢٠-٤٢٧ ؛ ابن الغزي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ديوان الإسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، (٢٢٨/٢-٢٢٩)؛ الإدنه وي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ص ٤١٥ - ٤١٦؛ اللكنوي، عبد الحي اللكنوي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، تحقيق أحمد الزعبي، دار الارقم، بيروت ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ص ٤٢٩-٤٣٠؛ دائرة المعارف الإسلامية (٣٩٦/٨)؛ البستاني، بطرس، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (٥٩٠/١٠)؛ الزركلي، الأعلام (٢٣٨/١-٢٣٩)؛ كحالة، معجم المؤلفين (١٣٨/٢-١٣٩)؛ يوسف إليان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، مكتبة يوسف إليان سركيس وأولاده، القاهرة، ١٩٢٨م، (٨٣٠/١-٨٣١)؛ زمامة، وآخرون، معجم تفاسير القرآن الكريم، ص ٢٨٧-٢٩٧؛ نويهض، عادل، معجم المفسرين، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٩٨٣م، (٧٥/١).

(٢) انظر: دائرة المعارف الإسلامية (٣٩٣/٨)؛ كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، المكتبة الهاشمية، دمشق ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩، (٣٥٠/١-٣٥٢).

(٣) الخفاجي، ريحانة الألبا (٤/١).

والمصري: نسبة إلى مصر التي ولد ونشأ فيها، وعاش معظم حياته، ثم مات بها ودفن فيها.

والحنفي: نسبة إلى مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، وهو مذهب الشهاب الفقهي.

أما لقبه فهو شهاب الدين باتفاق المصادر.

ويلقب أيضا بقاضي القضاة؛ لأنه تولى هذا المنصب مدة من الزمن -كما سيأتي لاحقًا-.

المطلب الثاني: ولادته ونشأته وطلبه للعلم:

ولد الشهاب سنة (٩٧٧هـ - ١٥٦٩م) لأب من خيرة علماء عصره، هو محمد بن عمر الخفاجي المتوفى سنة (١٠١١) هـ [١]، وكانت ولادته في قرية (سرياقوس) قرب القاهرة.

نشأ الشهاب في حجر أبيه، يعلمه ويؤدبه، وعليه تخرج في كثير من الفنون، ثم انطلق إلى رحاب أوسع؛ فدرس النحو وعلوم العربية على خاله أبي بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين الشنواني، المتوفى سنة (١٠١٩) هـ، الملقب بـ (سيبويه زمانه).

ثم درس المعاني والمنطق وبقية علوم الأدب، ونظر كتب المذهبين: الحنفي والشافعي مؤسسًا على الأصلين.

المطلب الثالث: شيوخه:

---

(١) انظر: المحبي، خلاصة الأثر (٧٦/٤).

تحدثنا كتب التراجم عن طائفة من العلماء الذين أخذ عنهم الشهاب، كما يحدثنا الشهاب نفسه في «الريحانة» عن شيوخه [١]، نذكر منهم:

١ – الشمس الرملي [٢]: شمس الدين محمد بن أحمد الرملي المنوفي المصري الأنصاري، مفتي الشافعية في زمانه، المتوفى سنة (١٠٠٤) هـ، قرأ عليه شيئًا من مسلم، وأجازه بذلك، وبجميع مؤلفاته ومروياته، بروايته عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وعن والده.

٢ – نور الدين الزِّيَّادي [٣]: نور الدين علي بن يحيى الزيادي المصري الشافعي، رئيس العلماء بمصر، المتوفى سنة (١٠٢٤) هـ.

٣ – علي بن غانم المقدسي [٤]: نور الدين علي بن محمد علي – المعروف بابن غانم – الخزرجي، المتوفى سنة (١٠٠٤) هـ، قرأ عليه الحديث، وكتب له إجازة بخطه.

٤ – إبراهيم العلقمي [٥]: جمال الدين إبراهيم العلقمي المصري، المتوفى سنة (٩٩٤) هـ، قرأ عليه كتاب «الشفاء» وأجازه به وبغيره.

٥ – أحمد العلقمي [٦]: أحمد بن علي العلقمي، أخذ عنه الأدب والشعر.

٦ – محمد الصالحي الشامي [٧]: شمس الدين محمد الصالحي الهلالي الشامي المتوفى سنة (١٠١٢) هـ، أخذ عنه الأدب والشعر أيضًا.

---

(١) انظر: ريحانة الألبا (٢/٣٢٧-٣٣٠).

(٢) انظر: الخفاجي، المصدر السابق (١/٣٠٠).

(٣) انظر: المحبي، خلاصة الأثر (٣/١٩٥).

(٤) انظر: الخفاجي، ريحانة الألبا (٢/٥٢).

(٥) انظر: الخفاجي، المصدر السابق (٢/٧٧).

(٦) انظر: الخفاجي، المصدر السابق (٢/٧٩).

(٧) انظر: الخفاجي، المصدر السابق (١/٢٧) .

٧ – أحمد العناياتي (1): أحمد بن أحمد بن أبي العنايات العناياتي المتوفى سنة (١٠١٤) هـ، أخذ عنه الأدب والشعر.

٨ – محمد المغربي (2): المعروف بركروك، ودرس عليه علم العروض.

٩ – داود البصير الأنطاكي (3): داود بن عمر البصير الأنطاكي، صاحب «التذكرة» ورأس الأطباء في زمانه، المتوفى سنة (١٠٠٨) هـ.

١٠ – علي بن جار الله (4): علي بن جار الله بن محمد القرشي المخزومي، خطيب ومفتي الحرم المكي، المتوفى سنة (١٠١٠) هـ، أخذ عنه أثناء رحلته مع والده إلى الحرمين الشريفين.

١١ – جمال الدين بن صدر الدين(5): علي بن إسماعيل الإسفرايني العصامي، الشافعي، المتوفى بمكة سنة (١٠٠٧) هـ، أخذ عنه أيضًا أثناء رحلته إلى الحرمين.

١٢ – ابن عبد الغني (6): محمد بن عبد الغني بن ميربادشاه، المعروف بغني زاده، نادرة الروم، وقاضي العسكر، وأشهر موالي الروم في الذكاء والفطنة، والنظم والنثر، المتوفى سنة (١٠٣٦) هـ، أخذ عنه أثناء رحلته إلى القسطنطينية، وكان لا ينفك عن مجلسه – كما يقول المحبي –.

١٣ – مصطفى بن محمد (7): الشهير بعزمي زاده، قاضي العسكر، وأشهر متأخري

---

(١) انظر: الخفاجي، المصدر السابق (١٧/١).

(٢) انظر: الخفاجي، المصدر السابق (٣٥٧/١).

(٣) انظر: الخفاجي، المصدر السابق (١٠٧/١).

(٤) انظر: الخفاجي، المصدر السابق (٤٤٠/١).

(٥) انظر: الخفاجي، المصدر السابق (٤١٧/١).

(٦) انظر: المحبي، خلاصة الأثر (٩/٤).

(٧) انظر: المحبي، المصدر السابق (٣٩٠/٤).

الروم، وأغزرهم مادة في المنطوق والمفهوم، المتوفى سنة (١٠٤٠) هـ.

١٤ – سعد الملة والدين بن حسن [١]: محمد بن حسن جان التبريزي الأصل، القسطنطيني المولد والمنشأ والوفاة، ولد بالروم، واشتغل بالتدريس، ثم اختاره السلطان مراد معلمًا لنفسه، توفي سنة (١٠٠٨) هـ.

١٥ – الحبر داود [٢]: وقد أخذ عنه الشهاب الرياضيات، وقرأ عليه إقليدس وغيره.

المطلب الرابع: تلاميذه:

أخذ عن الشهاب كثير من العلماء، تتلمذوا له، وحملوا عنه، وقد ذكرت منهم كتب التراجم[٣]:

١ – عبد القادر البغدادي [٤]: صاحب «خزانة الأدب»، المتوفى سنة (١٠٩٣) هـ، قرا على الشهاب كثيرًا من التفسير والحديث والآداب، وأجازه بذلك وبمؤلفاته.

٢ – أحمد بن يحيى بن عمر الحموي [٥]: المعروف بـ (العسكري الشافعي)، مفتي الشافعية بحماة، المتوفى سنة (١٠٩٤) هـ.

٣ – فضل الله بن محب الله بن محمد المحبي [٦]: المتوفى سنة (١٠٨٢) هـ، الذي كتب عن الشهاب أصل «الريحانة» الذي سماه: «خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا»[٧]، وهو والد محمد الأمين المحبي صاحب «خلاصة الأثر».

---

(١) انظر: الخفاجي، ريحانة الألبا (٢/٢٧٣).

(٢) انظر: الخفاجي، المصدر السابق (٢/٣٠٠).

(٣) انظر: المحبي، خلاصة الأثر (١/ ٣٣٤).

(٤) انظر: المحبي، المصدر السابق (٢/٤٥١).

(٥) انظر: المحبي، المصدر السابق (١/ ٣٦٧).

(٦) انظر: المحبي، المصدر السابق (٣/٢٧٧).

(٧) انظر ص ٣٩ من هذه الرسالة.

المطلب الخامس: رحلاته لطلب العلم:

اتفق للشهاب في حياته رحلتان، كانت الأولى مع والده إلى الحرمين الشريفين، وقد أفاد من هذه الرحلة علمًا تلقاه عن شيوخ مكة، وأشعاراً سجلها في «الريحانة»، في القسم الذي ذكر فيه فضلاء المغرب والحجاز واليمن.

وأما الثانية فكانت إلى القسطنطينية حيث التقى بعلمائها وفضلائها، وكانت في ذلك الوقت «مشحونة بالفضلاء الأذكياء» – كما يقول الشهاب – (١).

المطلب السادس: توليه القضاء وعزله عنه:

لما وصل الشهاب إلى القسطنطينية ولي القضاء ببلاد (روم إيلي)، ثم ترقى فأصبح قاضي (أسكوب) في عهد السلطان مراد، ثم عينه هذا السلطان قضاء (سلانيك)، فحصل بها مالاً كثيرًا، ثم ولي بعدها قضاء مصر.

وبعدما عزل عنها رحل إلى القسطنطينية مرة أخرى، فمر في طريقه على دمشق، وأقام بها أيامًا، فمدحه فضلاؤها، واحتفى به أهلها وعلماؤها، وقد أشار الشهاب إلى طرف من هذا في «الريحانة»، في القسم الذي عقده لأهل الشام(٢)، وفي طريقه دخل حلب، ثم وصل منها إلى القسطنطينية، وكان إذ ذاك مفتيها المولى يحيى بن زكريا، فأعرض عنه، ويذكر المحبي أن من أسباب هذا الإعراض أمورًا انتقدت على الشهاب أيام قضائه (سلانيك) ومصر، من الجرأة وبعض الطمع، ولعل هذا هو السبب في إنشائه المقامة الرومية التي ذكرها في «الريحانة»(٣)، وفيها تحدث عن أحوال الروم وانقراض علمائها، وانتشار الظلم والعدوان بين أمرائها، وتعرض فيها للمولى المذكور، وكان ذلك سببًا لنفيه إلى مصر.

---

(١) انظر: الخفاجي، ريحانة الألبا (٢/٣٢٩).

(٢) انظر: الخفاجي، المصدر السابق (١/٢١٧-٢٦٧).

(٣) انظر: الخفاجي، المصدر السابق (٢/٣٤١-٣٥٤).

يقول الشهاب[1]: «ولما عدت إليها ثانية بعدما توليت قضاء العساكر بمصر، رأيت تفاقم الأمر وغلبة الجهل، فذكرت ذلك للوزير ظنا بأن النصح يفيد، فإذا هو كما قيل:

هو الوزير ولا أزْرٌ يُشَدُّ به   مثلُ العروض له بحرٌ بلا ماء

فكان ذلك سببًا لعزلي وأمري بالخروج من تلك المدينة، وإظهار العداوة ممن هو في زي العلماء، مع أنه لم يَبْقَ بها أحد يحسن قراءة الفاتحة».

وبهذا يفسر الشهاب سبب عزله، فقد كان ذلك – كما يقول –؛ لأنه انتقد ما صارت إليه حاضرة الخلافة من ظلم وجور وفساد اجتماعي، وجهل سائد، فلم يقبل الوزير نصحه، وأنف من إرشاده، وجزاه على الخير شرًّا، فطرده من الروم، وأظهر العلماء العداوة له، وواضح أنه يعني بهذا المولى يحيى بن زكريا المتقدم.

وبهذا ختم الشهاب تطوافه، وعاد إلى مصر، وأعطي قضاءً يتعيش منه قلَّ أن يتهيأ لمثله من العلماء، فكرّس بقية عُمْره للتدريس والتأليف.

المطلب السابع: وفاته:

«كانت وفاته رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء لثنتي عشرة خلت من شهر رمضان سنة (١٠٦٩ هـ – ١٦٥٩ م)، وقد أناف على التسعين، وكان قد توفي قبله بثلاثة أشهر الفقيه الكبير محمد بن أحمد الشوبري الملقب بـ (الشافعي الصغير)، فقال فيهما أحمد بن محمد الحموي المصري يرثيهما، وكان قرأ عليهما:

مضى الإمامان في فقه وفي أدب   الشوبري والخفاجي زينة العرب
وكنت أبكي لفقد الفقه منفرداً   فصرتُ أبكي لفقد الفقه والأدب»[2]

المطلب الثامن: أقوال العلماء فيه:

---

(١) الخفاجي، المصدر السابق، (٣٣٠/٢).

(٢) المحبي، خلاصة الأثر (٣٤٣/١).

إن من ينظر إلى الكتب التي ترجمت للشهاب، يجد انها قد اجمعت على علو كعبه ورسوخ قدمه في العلم وخاصة العلوم اللغوية.

يقول المحبي عنه [1]: «صاحب التصانيف السائرة، وأحد أفراد الدنيا المجمع على تفوقه وبراعته، وكان في عصره بدر سماء العلم، ونير أفق النثر والنظم، رأس المؤلفين، ورئيس المصنفين، سار ذكره سير المثل، وطلعت أخباره طلوع الشهب في الفلك».

ويؤكد ابن معصوم الكلام نفسه عندما يترجم للشهاب فيقول[2]: «أحد الشهب السيارة، المقتحم من بحر الفضل لجَّه وتياره، وفرع تهدّل من ذؤابة خفاجة، وفرد سلك سبيل البيان ومَهَّد فجاجه».

ويقول عبد القادر البغدادي – تلميذ الشهاب – لأحد المبهورين بسعة علمه [3]: «جميع ما حفظته قطرة من غدير الشهاب، وما استفدت هذه العلوم الأدبية إلا منه».

ونخلص إلى أن ما ذكرته كتب التراجم تؤكد لنا – على الرغم مما فيها من المبالغة التي تميز بها ذلك العصر – أن الشهاب كان في عصره علماً يشار إليه بالبنان، وتؤكد لنا أيضًا على براعته وتفوقه في اللغة والأدب وغيرها من العلوم، حتى قال فيه الإدنه وي[4]: «وكان عالماً في جميع العلوم».

المبحث الثالث

آثاره

(١) المحبي، خلاصة الأثر (١/٣٣١-٣٣٢).

(٢) ابن معصوم، السلافة ص ٤٢٠.

(٣) المحبي، خلاصة الأثر (٢/٤٥٢). وانظر: الخفاجي، ريحانة الألبا (١/٩) مقدمة المحقق.

(٤) الإدنه وي، طبقات المفسرين ص ٤١٥.

ذكرنا أن الشهاب عاد في آخر حياته إلى مصر، فاستقر بها؛ ولقد أفاده هذا الاستقرار، وأفاد الناس، فجلس يؤلف ويصنف ويقري، وكانت حصيلة ذلك مجموعة طيبة من المؤلفات، ذكر الشهاب بعضها في الباب الذي عقده لبيان مؤلفاته في «ريحانة الألبا»[١]، واستوفى بقيتها من ترجم له.

وقد قمت بتقسيم هذه المؤلفات إلى ثلاثة أقسام؛ أما القسم الأول فيشمل كتبه المطبوعة، والقسم الثاني جعلته لمؤلفاته غير المطبوعة، وأما القسم الثالث فخصصته لبيان فصول أوردها بنصها ضمن كتابه «ريحانة الألبا»، وقد ذكرها بعضهم على أنها مؤلفات مستقلة، وهي ليست كذلك.

ولذلك سأتناول - إن شاء الله - هذا المبحث من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: مؤلفاته المطبوعة:

١ - أمالي الشهاب الخفاجي:

«ذكره البغدادي في «خزانة الأدب»[٢]، ولعله يعني «طراز المجالس»»[٣]. فقد وصف الشهاب - في مقدمة «الطراز» - كتابه بأنه عبارة عن أمالي، فقال[٤]: «فهذه بنات فكر زففتها إليك، وأمالي مجالس أمليتها عليك...»، فلعل هذا هو السبب في تسمية البغدادي لـ «طراز المجالس» بهذا الاسم.

٢ - ديوان الأدب:

ذكره في «الريحانة» (٤٩/١)، وذكره المحبي في «الخلاصة» (٣٣٣/١)، ومحقق

---

(١) انظر: الخفاجي، ريحانة الألبا (٣٤٠/٢).

(٢) انظر: البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، (٢٣/١).

(٣) الخفاجي، ريحانة الألبا (١٢/١) مقدمة المحقق. وانظر رقم (٦) من مؤلفات الشهاب المطبوعة.

(٤) الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد، طراز المجالس، المطبعة الوهبية، القاهرة، ١٢٨٤هـ- ١٨٦٧م، ص١.

«الريحانة» (١٥/١) المقدمة.

قال عنه المحبي إنه «ذكر فيه مشاهير الشعراء من العرب العرباء والمولدين»[١].

وقد ذكر بروكلمان أنه طبع في بيروت سنة (١٣١٦) هـ[٢].

٣ - ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا:

ذكره المحبي في «الخلاصة» (٣٣٣/١)، وابن معصوم في «السلافة» (ص٤٢٢)، ويوسف إليان سركيس في «معجم المطبوعات» (ص٨٣١)، ومحقق «الريحانة» (١٦/١) المقدمة، وعبد الجبار عبد الرحمن في «ذخائر التراث» (٤٩٧/١).

وهذا الكتاب يحوي تراجم علماء القرن الحادي عشر الهجري وأدبائه وشعرائه [٣]، وهو نفسه كتاب «خبايا الزوايا» مع شيء من التهذيب والترتيب، ومما يؤكد هذا قول الأستاذ عبد الفتاح الحلو -محقق «الريحانة»-[٤]: «... حتى جاء الشهاب في القرن الحادي عشر، ليكتب أولاً كتابه «خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا»، ثم يهذبه ويرتبه، ويخرجه في ثوبه الجديد باسم «ريحانة الألبا»، ويدل على ذلك أيضًا قول المحبي عندما ترجم للشهاب[٥]: «واجتمع به والدي المرحوم في منصرفه إلى مصر وأخذ عنه وكتب عنه أصل «الريحانة» الذي سماه «خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا».

وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات:

الأولى: بمطبعة بولاق، سنة (١٢٧٣هـ - ١٨٥٦م)، بتصحيح إبراهيم عبد الغفار

---

(١) المحبي، خلاصة الأثر (٣٣٣/١).

(٢) انظر: الخفاجي، ريحانة الألبا (١٥/١) مقدمة المحقق.

(٣) انظر ص ٢٨ من هذه الرسالة.

(٤) الخفاجي، ريحانة الألبا (٣٢/١) مقدمة المحقق.

(٥) المحبي، خلاصة الأثر (٣٣٤/١).

الدسوقي، في (٤٣٩) صفحة.

الثانية: بالمطبعة الوهبية، سنة (١٢٩٤هـ - ١٨٧٧م)، في (٣٢٨) صفحة.

الثالثة: بالمطبعة العثمانية، سنة (١٣٠٦هـ - ١٨٨٨م)، (٤٢٢) صفحة [١].

الرابعة: بمطبعة عيسى البابي الحلبي، سنة (١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م)، بتحقيق عبد الفتاح الحلو في جزأين.

٤ - شرح درة الغواص في أوهام الخواص:

ذكره في «الريحانة» (٢/٣٤٠)، وفي «حاشيته على البيضاوي» (١/ ١٠٩)، وذكره المحبي في «الخلاصة» (١/٣٣٣)، وابن معصوم في «السلافة» (ص٤٢٢)، ويوسف إليان سركيس في «معجم المطبوعات» (ص٨٣١)، ومحقق «الريحانة» (١/١٨) المقدمة، وعبد الجبار عبد الرحمن في «ذخائر التراث» (١/٤٩٨).

و«درة الغواص» لأبي محمد القاسم بن علي الحريري، المتوفى سنة (٥١٦) هـ.

وقد صنع الشهاب كتابه هذا باسم السلطان مراد بن أحمد بن محمد بن مراد العثماني، وأوضح في مقدمته جهده في التنقيب عن «الدرة»، وفتحه أبواب مقفلها، ورد على الحريري طعنه على السلف، وأضاف إليها دررًا تصيرها عقدًا [٢].

وقد طبع الكتاب بمطبعة الجوائب سنة (١٢٩٩هـ - ١٨٨١م)، في (٢٥٧) صفحة[٣]، وهذه الطبعة أقرب ما تكون إلى النسخ الخطية منها إلى ما ينشر على نحو علمي، فمواضع

---

(١) انظر: معجم المطبوعات ص ٨٣١؛ الخفاجي، ريحانة الألبا (١/٣٢) مقدمة المحقق؛ عبد الجبار عبد الرحمن، ذخائر التراث العربي الإسلامي: دليل ببلوغرافي للمخطوطات العربية المطبوعة حتى عام ١٩٨٠م، بغداد، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، (١/ ٤٩٧).

(٢) الخفاجي، ريحانة الألبا (١/١٨) مقدمة المحقق.

(٣) معجم المطبوعات ص ٨٣١، الخفاجي، ريحانة الألبا (١/١٩) مقدمة المحقق؛ ذخائر التراث، (١/٤٩٨).

الخلل والاضطراب فيها كثيرة، وتحريفات الطباعة زادت في اضطرابها إلى جانب خلوها من الترتيب والضبط في مواضع كثيرة حتى المواضع التي لا تفهم إلا به.

ثم ظهر كتاب احتوى متن «درة الغواص» وشرحها للشهاب الخفاجي، أضيف إليها حواشي ابن بري وابن ظفر، وكتاب «التكملة والذيل على درة الغواص» للجواليقي، وكتاب «الملاحن» لابن دريد، كل ذلك في كتاب واحد خلا من أصول البحث العلمي في التحقيق، وحفل بالتصحيفات والأخطاء الكثيرة في ترجمة الأعلام ونسبة الشعر وغير ذلك»(١).

وقد حقق هذا الكتاب في رسالة جامعية، حيث قامت الطالبة ميسون عبد السلام نجيب بتحقيقه، وقدمته لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة دمشق، سنة (١٩٩٧) م، بإشراف الدكتور شوقي المصري.

٥ - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل والنادر الوحشي القليل:

ذكره في «حاشيته على البيضاوي» (١١٩/١)، والمحبي في «الخلاصة» (٣٣٣/١)، ويوسف إليان سركيس في «معجم المطبوعات» (ص٨٣١)، ومحقق «الريحانة» (١٩/١) مقدمة المحقق وعبد الجبار عبد الرحمن في «ذخائر التراث» (٤٩٨/١).

وقد ذكرنا هذا الكتاب أثناء حديثنا عن الحياة العلمية في العصر العثماني حيث يعتبر مثالاً على المؤلفات اللغوية التي ألفت في تلك الفترة والتي عني أصحابها بتنقية العربية من الألفاظ الدخيلة (٢).

وقد طبع عدة طبعات:

الأولى: بالمطبعة الوهبية، سنة (١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م)، بتصحيح الشيخ نصر

---

(١) الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر، شرح درة الغواص، تحقيق ميسون عبد السلام نجيب، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، دمشق، ١٩٩٧م، ص ب، المقدمة.

(٢) انظر ص ٢٦ من هذه الرسالة.

الهوريني، ومشاركة مصطفى أفندي وهبي، في (٢٤٥) صفحة.

الثانية: بمطبعة السعادة، سنة (١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م)، وعني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني، في (٢١٦) صفحة.

الثالثة: بالمطبعة المنيرية، سنة ١٩٥٢م، بتصحيح وتعليق ومراجعة، محمد عبد المنعم خفاجي، في (٣٣٥) صفحة [١].

٦ - طراز المجالس:

ذكره في «الريحانة» (٣٤٠/٢)، والمحبي في «الخلاصة» (٣٣٣/١)، وابن معصوم في «السلافة» (ص٤٢٢)، ويوسف إليان سركيس في «معجم المطبوعات» (ص ٨٣١)، ومحقق «الريحانة» (٢١/١) المقدمة، وعبد الجبار عبد الرحمن في «ذخائر التراث» (١/ ٤٩٨).

وهو الذي ذكره البغدادي في «خزانته» باسم: «أمالي الشهاب»[٢]. «وهو مجموع حسن الوضع، جم الفائدة، رتبه على خمسين مجلسًا، ذكر فيه مباحث تفسيرية، ونحوية، وأصولية، وغيرها»[٣].

وقد طبع الكتاب بالمطبعة الوهبية، سنة (١٢٨٤هـ - ١٨٦٧م)، في (٢٦٩) صفحة، وبالمطبعة العامرة الشرفية، بدون تاريخ، في (٢٧٨) صفحة [٤].

وقد حقق في رسالة جامعية، حيث قام الطالب محمد فرحان عبد الحسيب الطرابلسي بتحقيقه، وقدمه لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة دمشق، سنة (١٩٩٧)م،

---

(١) معجم المطبوعات ص ٨٣١؛ الخفاجي، ريحانة الألبا (٢٠/١-٢١) المقدمة؛ ذخائر التراث (٤٩٨/١).

(٢) انظر رقم (١) من مؤلفات الشهاب المطبوعة.

(٣) المحبي، خلاصة الأثر (٣٣٣/١).

(٤) معجم المطبوعات ص ٨٣١؛ الخفاجي، ريحانة الألبا (٢١/١) المقدمة؛ ذخائر التراث (٤٩٨/١).

بإشراف الدكتورة منى إلياس.

٧- عناية القاضي وكفاية الراضي:

وهو حاشية على «تفسير البيضاوي»، وهذه الرسالة تتناول منهج الشهاب في هذه «الحاشية»؛ ولذلك سيأتي التعريف بها في الفصل القادم – إن شاء الله –.

٨ – قلائد النحور في جواهر البحور:

ذكره صاحب «الأعلام» (٢٣٨/١)، وذكر أن موضوع هذا الكتاب هو العروض، وأنه طبع مع رسالتين للخفاجي هما: «جنة الولدان» و«الكنس الجواري». وقال: «أخبرني بهما أحمد خيري ولعلهما في مكتبته»[١].

وهذه الرسائل الثلاث ذكرت ضمن مؤلفات أحمد بن محمد بن علي المشهور بالشهاب الخزرجي [٢]، ولعل هذا هو الراجح؛ فإنه لم ينسب هذه الرسائل إلى الشهاب الخفاجي سوى الزركلي نقلاً عن أحمد خيري، أما نسبتها إلى الشهاب الخزرجي فقد ذكر ذلك العديد من العلماء، منهم: السخاوي في «الضوء اللامع» (١٤٧/٢)، وحاجي خليفة في «كشف الظنون» (٣١٥/٢)، والبغدادي في «هدية العارفين» (١٣٣/١)، ورضا كحالة في «معجم المؤلفين» (١٢٩/٢)، بل إن الزركلي نفسَه ذكرها عندما ترجم للشهاب الخزرجي فقال[٣]: «من كتبه «قلائد النحور من جواهر البحور – ط» رسالة في ما وقع في القرآن الكريم على أوزان البحور العروضية، و«جنة الولدان»، و«الكنس الجواري» رسالتان طبعتا مع الأولى».

٩ – نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض:

ذكره في «الريحانة» (٣٤٠/٢)، وفي «حاشيته على البيضاوي» (١/ ٧٤)، والمحبي

---

(١) انظر: الزركلي، الأعلام (٢٣٨/١).

(٢) انظر: ابن الغزي، ديوان الاسلام (٢٩٨/٢-٢٩٩) حاشية المحقق.

(٣) الزركلي، الأعلام (٢٣٠/١).

في «الخلاصة» (٣٣٣/١)، وابن معصوم في «السلافة» (ص ٤٢٢)، ويوسف إليان سركيس في «معجم المطبوعات» (ص٨٣١)، ومحقق «الريحانة» (٢٧/١ - ٢٩) مقدمة المحقق، وعبد الجبار عبد الرحمن في «ذخائر التراث» (٤٩٨/١).

وهو شرح على «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، المتوفى سنة (٥٤٤) هـ [1].

وقد طبع الكتاب عدة طبعات:

الأولى: في إستانبول، سنة (١٢٦٧هـ - ١٨٥٠م)، في أربع مجلدات.

الثانية: في إستانبول، سنة (١٣١٢هـ - ١٨٩٤م)، بتصحيح الحاج أحمد طاهر القنوي، وقد التزم بتصحيحه من نحو أربع نسخ.

الثالثة: في القاهرة، بالمطبعة الأزهرية، سنة (١٣٢٥هـ - ١٩٠٨م)، في أربع مجلدات أيضًا، وبهامشه «شرح الشفا» لملا علي القاري [2].

الرابعة: في بيروت، بدار الكتب العلمية، سنة (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

بتحقيق محمد عبد القادر عطا.

الخامسة: في بيروت، بدار الكتاب العربي، بلا تاريخ.

المطلب الثاني: مؤلفاته غير المطبوعة:

١ - إعراب قوله تعالى: {ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ...} [الأنعام: ٢].

ذكره واضعوا «الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه» (٧٠٢/٢).

---

(١) الخفاجي، ريحانة الالبا (٢٨/١) مقدمة المحقق.

(٢) معجم المطبوعات ص٨٣٢؛ الخفاجي، ريحانة الألبا (٢٨/١) المقدمة؛ ذخائر التراث (٤٩٨/١).

٢- بيان ما أشكل على بعض الطلاب في آيتين من أول سورة الأنعام.

ذكره واضعوا «الفهرس الشامل للتراث» (٢/ ٧٠٢).

٣ - تفسير قوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ...} [الأحزاب: ٧٢].

ذكره واضعوا «الفهرس الشامل للتراث» (٧٠٢/٢).

٤ - حاشية شرح الفرائض:

ذكره في «الريحانة» (٣٤٠/٢)، وذكره المحبي في «الخلاصة» (٣٣٣/١)، وابن معصوم في «السلافة» (ص٤٢٢)، ومحقق «الريحانة» (١٢/١) المقدمة.

٥ - حديقة السِّحْر:

ذكره في «الريحانة» (٣٤٠/٢)، وكذلك ذكره محقق «الريحانة» (١٣/١) المقدمة.

٦ - حواشي التهذيب:

ذكره حاتم القضاة في «الشهاب الخفاجي نحويًّا» (ص٢٨)، وقال [١]:

«لم يورده الشهاب عندما ذكر مصنفاته، بل أشار إليه إشارة عابرة في كتابه «نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض»[٢]، ويبدو لي من خلال السياق الذي ذكره فيه الكتاب أنه حاشية على «تهذيب سيرة ابن هشام»».

٧ - حواشي الرضي والجامي:

ذكره في «الريحانة» (٣٤٠/٢)، وفي «حاشيته على البيضاوي» (٧١/١)، وذكره المحبي في «الخلاصة» (٣٣٣/١)، وابن معصوم في «السلافة» (ص٤٢٢) ومحقق «الريحانة» (١٣/١

---

(١) القضاة، حاتم، الشهاب الخفاجي نحويًّا، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الكرك، ١٩٩٧م، ص ٢٨.

(٢) انظر: الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، دار الكتاب العربي، د. ت (١/ ٧٩).

) المقدمة.

٨ - خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا:

ذكره في «الريحانة» (١/١١)، وذكره المحبي في «الخلاصة» (١/٣٣٤)، ومحقق «الريحانة» (١/١٣) المقدمة.

وقد ألفه باسم شيخ الإسلام يحيى بن زكريا بن بيرام [(١)]، وجعله أصلاً لكتاب «الريحانة»، وقد ذكر الأمين المحبي أن والده قابل الشهاب في منصرفه إلى مصر، وأخذ عنه، وكتب عنه أصل «الريحانة» الذين سماه «خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا»[(٢)].

٩ - ديوانه:

ذكره في «الريحانة» (٢/٣٤٠)، وذكره ابن معصوم في «السلافة» (ص٤٢٢)، ومحقق «الريحانة» (١/١٤) المقدمة.

١٠ - ذات الأمثال:

ويقال لها أيضًا: «ريحانة الند»، وهي منظومة في الحكم.

ذكرها محقق «الريحانة» في مقدمته (١/١٥)، وأشار إلى وجودها كاملة في كتاب «خبايا الزوايا»[(٣)].

١١ - الرحلة:

ذكرها في «الريحانة» (٢/٣٤٠)، وذكرها المحبي في «الخلاصة» (١/٣٣٣)، وابن معصوم في «السلافة» (ص٤٢٢)، ومحقق «الريحانة» (١/١٦) المقدمة.

---

(١) تقدم ذكره ص ٣٥ .

(٢) المحبي، خلاصة الأثر (١/٣٣٤). وانظر ص ٣٥ من هذه الرسالة.

(٣) انظر رقم (٨) من مؤلفاته الشهاب غير المطبوعة.

١٢ - الرسائل الأربعون:

ذكرها في «الريحانة» (٣٤٠/٢)، وذكرها المحبي في «الخلاصة» (٣٣٣/١)، وابن معصوم في «السلافة» (ص٤٢٢)، ومحقق «الريحانة» (١٦/١) المقدمة.

١٣ - رسائل ومكاتيب لم يجمعها:

ذكرها في «الريحانة» (٣٤٠/٢)، وأثبت منها «الفصول القصار»[١] و«المقامة الرومية»[٢]، وذكرها المحبي في «الخلاصة» (٣٣٣/١)، وابن معصوم في «السلافة» (ص ٤٢٢)، ومحقق «الريحانة» (١٦/١) المقدمة.

١٤ - رسالة تكلم فيها عن المشاكلة والاستعارة:

قال حاتم القضاة [٣]: «انفرد بذكرها هاشم محمد هاشم [٤] دون أن يشير إلى مصدره فيما نقل».

والمصدر الذي نقل عنه هاشم محمد هاشم هو «البيان عند الشهاب الخفاجي» للدكتور فريد النكلاوي[٥]، حيث إن هاشم محمد هاشم قد اعتمد - أثناء تعريفه بالشهاب في بداية كتابه - على تعريف الدكتور النكلاوي به دون أن يشير إلى ذلك [٦].

ويدل على ذلك تاريخ الطبعة الأولى لكلا الكتابين، فكتاب الدكتور النكلاوي طبع سنة

---

(١) انظر: الريحانة (٣٥٥/٢-٣٦٢).

(٢) انظر: الريحانة (٣٤١/٢-٣٥٤).

(٣) القضاة، حاتم، الشهاب الخفاجي نحويًّا ص٣٠.

(٤) أي في كتابه «الالتفات في حاشية الشهاب» ص ١١.

(٥) انظر: النكلاوي، فريد، البيان عند الشهاب الخفاجي في كتابه عناية القاضي وكفاية الراضي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٨١م، (٨/١).

(٦) انظر: النكلاوي، البيان عند الشهاب الخفاجي (٥/١-٢٢) وانظر أيضًا: هاشم، هاشم محمد، الالتفات في حاشية الشهاب، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦، ص ٧-٢٥.

١٩٨١م، أما كتاب هاشم محمد هاشم فقد كانت طبعته الأولى سنة ١٩٨٦م، ويبدو أن اللاحق أخذ عن السابق – والله أعلم –!

والمصدر الذي نقل عنه الدكتور النكلاوي –والذي لم يشر إليه– هو «حاشية الشهاب»، فقد ذكر فيها الشهاب أن له رسالة مستقلة في المشاكلة، تكلم فها عن المشاكلة وأنواعها وعلاقتها بالاستعارة(١).

١٥– رسالة على البيضاوي في تفسير {وَلَئِنْ قُتِلْتُم فِي سَبِيلِ اللَّهِ...} [آل عمران: ١٥٧]:

وهي حاشية على تفسير الآية (١٥٧) من سورة آل عمران من «أنوار التنزيل» البيضاوي.

ذكرها واضعوا «الفهرس الشامل للتراث» (٢/٧٠٢).

١٦ – رسالة في اتصال الضمير بغير عامله:

ذكرها الشهاب في «حاشيته على تفسير البيضاوي» (٣/٨٨)، وعنه نقل حاتم القضاة في «الشهاب الخفاجي نحويًّا» (ص٣٠).

١٧ – رسالة في معنى التشخص:

ذكرها الشهاب في «حاشيته على تفسير البيضاوي» (١/ ٦٢)، ولم يذكرها غيره ممن ترجم له.

١٨ – رسالة في قوله تعالى: {أَرَأَيتكُم} وما فيها من الفوائد:

ذكرها «الفهرس الشامل للتراث» (٢/٧٠٣).

١٩ – رسالة في قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} والمعوذتين والكلام على لفظ: {قُلْ}:

---

(١) انظر: حاشية الشهاب (٢/ ٨٧).

ذكرها «الفهرس الشامل للتراث» (٧٠٣/٢).

٢٠ - رسالة في (ما) الواقعة في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيْثَاقَ النَّبِيِّينَ...} [آل عمران: ٨١].

ذكرها «الفهرس الشامل للتراث» (٧٠٣/٢).

٢١ - رسالة في متعلق البسملة:

ذكرها محقق «الريحانة» (١٦/١) المقدمة، نقلاً عن بروكلمان.

٢٢ - رسالة في الموصول:

ذكرها حاتم القضاة في «الشهاب الخفاجي نحويًّا» (ص٢٧)، وقال: إنه اطلع على صورة لهذا المخطوط، وذكر أن محقق «الريحانة» قد ذكرها في مقدمة تحقيق «الريحانة»، ولم يشر القضاة إلى رقم الصفحة، وقد راجعت المقدمة فلم أجد كتابًا بهذا الاسم.

٢٣ - الرسالة الليثية:

قال حاتم القضاة [1]: «ذكرها هاشم محمد هاشم في صدر كتابه «الالتفات في حاشية الشهاب» دون أن يذكر المصدر الذي اعتمد عليه»، وقد ذكرنا أن هاشم محمد هاشم ينقل عن الدكتور النكلاوي [2].

٢٤ - الروض النضير في شرح شواهد التفسير:

قال حاتم القضاة [3]: «انفرد بذكره - فيما أعلم - هاشم محمد هاشم ولم يشر إلى مضمونه، ولم يذكر المصدر الذي نقل عنه».

---

(١) القضاة، الشهاب الخفاجي نحويًّا ص ٢٩.

(٢) انظر: النكلاوي، البيان عند الشهاب الخفاجي (٨/١). وانظر رقم (١٤) من مؤلفات الشهاب غير المطبوعة.

(٣) القضاة، الشهاب الخفاجي نحويًّا ص ٣٠.

قلت: لم ينفرد بذكره هاشم محمد هاشم، بل ذكره الدكتور النكلاوي [١]، وهاشم محمد هاشم نقل عنه كما ذكرنا [٢].

والمصدر الذي نقل عنه الدكتور النكلاوي - والذي لم يشر إليه - هو «حاشية الشهاب» نفسها، فقد ذكر الشهاب في «الحاشية» أن له مؤلفاً بهذا العنوان [٣].

٢٥ - السوانح:

ذكره في «الريحانة» (٣٤٠/٢)، وفي «حاشيته على البيضاوي» (١/ ٦٩)، وذكره المحبي في «الخلاصة» (٣٣٣/١)، وابن معصوم في «السلافة» (ص٤٢٢)، ومحقق «الريحانة» (١٨/١) المقدمة.

٢٦ - قصائد:

ذكرها محقق «الريحانة» (٢٤/١) المقدمة، نقلاً عن بروكلمان.

وهي مجموعة من شعره، وتشتمل على:

أ - مقدمة.

ب - مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد.

ج - قصيدة همزية، في مدح الرسول ×.

د - قصيدة عارض بها معلقة زهير بن أبي سلمى، وجعلها في مدح الرسول ×.

هـ - قصيدة أخرى قصيرة في مدح الرسول ×.

---

(١) انظر: النكلاوي، البيان عند الشهاب الخفاجي (٨/١).

(٢) انظر رقم (١٤) من مؤلفات الشهاب غير المطبوعة.

(٣) انظر: حاشية الشهاب (١٤٨/١).

و - أربع مقطوعات [١].

٢٧ - قصيدة غزلية، في مدح شيخ الإسلام البكري:

ذكرها محقق «الريحانة» (٢٧/١) المقدمة، نقلاً عن بروكلمان.

٢٨ - الكشف على الكشاف:

وهو شرح على كشاف الزمخشري.

ذكره «الفهرس الشامل للتراث» (٧١٢/٢).

٢٩ - مقامة:

ذكرها محقق «الريحانة» (٢٧/١) المقدمة، نقلاً عن بروكلمان.

٣٠ - النفحة القدسية في بيان حقيقة الصلاة على خير البرية:

وهو تفسير قوله تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**} [الأحزاب: ٥٦].

ذكره «الفهرس الشامل للتراث» (٧١٢/٢).

المطلب الثالث: فصول أوردها بنصها في «الريحانة» نسبت إليه على أنها مؤلفات مستقلة:

نسبت بعض المصادر [٢] العديد من المؤلفات للشهاب، وهي - ومعظمها مقامات - قد جعلها الشهاب ضمن كتابه «ريحانة الألبا»، حيث أورد نصها في هذه الكتاب وهي:

١ - رسالة في وصف الشمعة [٣].

---

(١) الخفاجي، ريحانة الألبا (٢٤/١-٢٧) مقدمة المحقق.

(٢) انظر: القضاة، الشهاب الخفاجي نحويًّا ص ٢٤-٣٠.

(٣) انظر: الخفاجي، ريحانة الألبا (١٨٣/٢-١٩٢).

٢ – الشهب السيارة [١].

٣ – الفصول القصار [٢].

٤ – المقامة الرومية أو عتاب الزمان [٣].

٥ – المقامة الساسانية [٤].

٦ – مقامة العربة [٥].

٧ – مقامة في رجل يذمه [٦].

٨ – مقامة في معارضة مقامه رشيد الدين الوطواط [٧].

٩ – المقامة المغربية [٨].

---

(١) انظر: الخفاجي، المصدر السابق (٣١٤/١).

(٢) انظر: الخفاجي، المصدر السابق (٣٥٥/٢-٣٦٢).

(٣) انظر: الخفاجي، المصدر السابق، (٣٤١/٢-٣٥٤).

(٤) انظر: الخفاجي، المصدر السابق، (٣٨٨/٢-٣٩٥).

(٥) انظر: الخفاجي، المصدر السابق، (٣٧١/٢-٣٨٠).

(٦) انظر: الخفاجي، المصدر السابق، (٢٨٤/٢-٢٨٩).

(٧) انظر الخفاجي، المصدر السابق، (٣٩٦/٢-٣٩٨).

(٨) انظر: الخفاجي، المصدر السابق، (٤٠٧/٢-٤١١).

الفصل الثاني

مدخل إلى « حاشية الشهاب »

المبحث الأول

تعريف عام «بالحاشية»

المطلب الأول: مقدمة «الحاشية»:

ذكرت أن «عناية القاضي وكفاية الراضي» حاشية على تفسير الإمام البيضاوي المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»[(١)].

وهذه «الحاشية» «جمع فيها – أي الشهاب – لب الحواشي، وأجاد وأفاد، وقد فرغ من تأليفها في سنة خمس وعشرين وألف»[(٢)]، ونهج فيها «المنهج الشاق الذي يقوم على تفسير كل كلمة تقريبًا»[(٣)].

ولم يكتب الشهاب «لحاشيته» مقدمة مفصلة، كما فعل كثير من المفسرين، وإنما كتب في بداية «الحاشية» مقدمة مجملة.

وهذه المقدمة تدل على علو كعبه ورسوخ قدمه في البلاغة والفصاحة واللغة، وأن

---

(١) انظر ص من هذه الرسالة.

(٢) الإدنه وي، طبقات المفسرين ص ٤١٥. ولم يذكر هذا التاريخ – أي العام الذي فرغ فيه من تأليف «الحاشية» – أحد غيره ممن ترجم للشهاب، وهو بحاجة إلى تحقيق، فقد ذكر واضعوا «الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط» أن هناك نسخة خطية «للحاشية» – المجلد الأول والثاني منها – موجودة في مكتبة راغب باشا، وقد ذكر «الفهرس» أن تاريخ نسخ هذين المجلدين كان سنة (١٠١١) هـ. فلعل الشهاب كان في ذلك التاريخ قد أتم كتابة جزء من «الحاشية»، ثم فرغ من تأليفها سنة (١٠٢٥) هـ – كما ذكر الإدنه وي – والله أعلم. انظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه (٢/ ٧٠٣).

هذا ولم أجد في «الحاشية» أي ذكر لتاريخ الانتهاء من تأليفها، ولكن هناك إشارة قد تساعدنا في تحديد ذلك، ألا وهي ذكر الشهاب لسنة وفاة المولى عبدالوهاب – الذي وصفه الشهاب بقوله (٦/٧): «أستاذ عصرنا الفيلسوف في العلوم الرياضية»، فقد كانت وفاته بعد سنة (١٠١٠) هـ، مما يدل على أن الشهاب قد أنهى كتابه «الحاشية» بعد هذا التاريخ.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (٣٩٦/٨).

للشعر نصيباً وافراً من عناية الشهاب.

والمقدمة - أيضًا - صورة حية لعصر المؤلف، الذي أولع أدباؤه فيه بالصنعة البديعية، والتعقيد اللفظي، والغريب، ولعاً شديداً، وافتتنوا بها في كتاباتهم وتآليفهم حتى غدت سمة بارزة من سمات التأليف في ذلك العصر.

وقد تناول في مقدمته القضايا التالية [١]:

أولاً: دعاء الله تعالى أن يفتح عيون بصائرنا لمشاهدة أنواره، وأن يرزقنا ذوق حلاوة أسراره، وأن يوفقنا لشكر نعمه، وأن يجعلنا ممن اعتصم بحبل الله تعالى الذي هو القرآن الكريم... إلخ.

ثانيًا: التعريض بالذين يقولون بنفي المجاز، وأن قولهم من الخطأ بمكان[٢]، ولعل في هذا إشارة إلى أنه يرى أن بيان القرآن وبلاغته من أهم وجوه إعجازه [٣].

ثالثًا: الكلام عن بلاغة القرآن وإعجازه.

رابعًا: الكلام عن عناية المسلمين بكتاب الله، وإقبال العلماء عليه يفسرونه ويستنبطون أحكامه.

خامسًا: بيان الباعث على تأليف «الحاشية»:

حدد الشهاب الباعث على تأليف كتابه، ورسم الهدف الذي يرمي إليه من وراء ذلك، وتكلم عن هذا الباعث من جهتين: أما الجهة الأولى فهي الأسباب التي حدت بالشهاب لكتابة «الحاشية»، والجهة الثانية هدف الشهاب من كتابتها:

---

(١) انظر: حاشية الشهاب (١/٢-٤).

(٢) انظر رده على منكري المجاز: المصدر السابق (٦/ ١٢٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/٣٠) وما بعدها.

١ – الأسباب:

أ – المكانة العالية التي تبوأها «تفسير البيضاوي»، من بين جهود العلماء في تفسير كتاب الله عز وجل «لاقتناصه روائع الأصلين وبدائع الشريعة الغراء...»[١].

ب – على الرغم من أن البيضاوي له – في «تفسيره» – «وفور حظ وسلاسة لفظ»[٢] إلا أنه يكتنفه الغموض أحيانًا؛ مما دفع الشهاب إلى شرحه.

ج – الشهاب كان قد درس «تفسير البيضاوي» فكان «ممن اجتنى باكورة أبكاره، وتمشت في حدائقه أحداق أفكاره»[٣]، فلعله وجد من نفسه القدرة على خدمة هذا الكتاب.

د – اعتقاد الشهاب أنه سيستدرك على من سبقوه في شرح «تفسير البيضاوي»، فعلى الرغم من كثرة حواشيه، إلا أنه يعتقد أن «تفسير البيضاوي» ما زال بحاجة إلى من يستخرج كنوزه، ويغوص في أعماقه بحثًا عن درره، فرغب الشهاب في ولوج هذا الباب لتحقيق ما يطمح إليه.

٢ – الأهداف:

ألف الشهاب «حاشيته» – إجمالاً – لتوضيح وشرح «تفسير البيضاوي»، وأما تفصيل ذلك، والمنهج الذي اتبعه في تحقيق هذا الهدف، فسنخصص له فصلاً كاملاً –إن شاء الله–[٤].

سادسًا: الثناء على «الحاشية»، وبيان الجهد الذي قام به لجعلها في أحسن صورة «فجاءت مواردها صافية من الكدر، ورياضها محروسة بعين القضاء والقدر...»[٥].

---

(١) المصدر السابق (٣/١).

(٢) المصدر السابق (٣/١).

(٣) المصدر السابق (٣/١).

(٤) انظر ص ٩٥ – ١٢٥ من هذه الرسالة.

(٥) المصدر السابق (٣/١).

سابعًا: ذكر الاسم الذي جعله الشهاب لهذه «الحاشية»، فقال: «ولما وقفت دهم الأقلام على ساحل التمام سميتها «عناية القاضي وكفاية الراضي»»[١].

ثامنًا: التعريف بالبيضاوي: حيث ترجم للبيضاوي ترجمة موجزة تحدث فيها عن اسمه ونسبه وولادته ومكانته ومصنفاته ووفاته.

المطلب الثاني: تحقيق نسبة «الحاشية» إلى الشهاب:

يطمئن الباحث إلى صحة نسبة هذه «الحاشية» إلى الشهاب للأسباب التالية:

١ - اتفاق نسخ «الحاشية» على نسبتها للشهاب، وقد وصل عدد هذه النسخ كما جاء في «الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط»[٢] إلى (٢٩٨) نسخة.

٢ - إجماع كتب التراجم التي ترجمت للشهاب على أن هذه «الحاشية» له، كما أن الشهاب نفسه قد ذكرها في الباب الذي عقده لبيان مؤلفاته في «الريحانة» (٢/٣٤٠)، وذكرها أيضًا المحبي في «الخلاصة» (١/٣٣٣)، وابن معصوم في «السلافة» (ص ٤٢٢)، وابن الغزي في «ديوان الإسلام» (٢/٢٢٩)، ويوسف إليان سركيس في «معجم المطبوعات» (ص ٨٣١)، ومحقق «الريحانة» (١/٢٢) مقدمة المحقق، وعبد الرحمن عبدالجبار في «ذخائر التراث» (١/٤٩٨).

٣ - تصريح الشهاب نفسه بتأليف هذا الكتاب، في مقدمته له فقال[٣]: «ولما وقفت دهم الأقلام على ساحل التمام سميتها «عناية القاضي وكفاية الراضي»».

٤ - نقل كثير من العلماء والباحثين - من المعاصرين للشهاب أو ممن جاؤوا بعده - عن «عناية القاضي»، وتبين صحة تلك النقول بالرجوع إلى «الحاشية»، وسيتضح ذلك في

---

(١) المصدر السابق (١/٣).

(٢) انظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه (٢/ ٧٠٣-٧١٢).

(٣) حاشية الشهاب (١/٣).

موضعه من الدراسة، عند الحديث عن أثر الشهاب فيمن جاء بعده [١].

٥ - عدم وجود اختلاف أو اضطراب أو تشكيك من أي نوع في نسبة هذه «الحاشية» إلى الشهاب.

المطلب الثالث: الجهود السابقة في خدمتها:

الجهود السابقة في خدمتها يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول عبارة عن الحواشي التي صنفت على «عناية القاضي»، وأما القسم الثاني فسأتكلم فيه عن طبعات «الحاشية»، وأما القسم الثالث فهو الدراسات السابقة لهذه الرسالة، وقد تكلمت عنها في المقدمة فلا داعي لإعادة الكلام مرة أخرى.

ولذلك سأتناول - إن شاء الله - هذا المطلب في النقاط التالية:

أولاً: حواشي «عناية القاضي»:

تناول بعض العلماء «حاشية الشهاب» بالتحشية، وهذه الحواشي هي:

١ - «تحفة الإخوان وهدية الصبيان»: وهي لمصطفى بن علي الأسكداري (كان حيًّا سنة ١١٠٧هـ) [٢].

٢ - حاشية سري الدين محمد بن إبراهيم الدروري المصري المعروف بابن الصائغ، المتوفى سنة (١٠٦٦) هـ، وله أيضًا حاشية أخرى على «تفسير البيضاوي» فيكون بذلك قد تناول الكتابين بالتحشية [٣].

ثانيًا: طبعات «عناية القاضي»:

---

(١) انظر ص ٢٣٠-٢٣٧ من هذه الرسالة.

(٢) انظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه (٧٤٢/٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (٦٩٧/٢).

«لحاشية الشهاب» عدة طبعات:

الأولى: في القاهرة، في أربعة مجلدات كبار [١]، ولم أتمكن من معرفة السنة التي طبعت فيها.

الثانية: في إستانبول، سنة (١٨٥٤) م، في ثمانية مجلدات [٢].

الثالثة: في القاهرة، بمطبعة بولاق، سنة (١٢٨٣) هـ، في ثمانية مجلدات من القطع الكبير، وعدد صفحاتها (٣١٦٥) صفحة، بتصحيح الشيخ محمد الصباغ، نص «الحاشية» في الصلب، ومتن «البيضاوي» في الهامش، وفي آخر الجزء الثامن قصيدة للسيد عبد الهادي نجا تقريظاً للكتاب، وفي مقدمة الجزء الأول منه تقريظ للشيخ محمد الدمنهوري [٣].

الرابعة: في بيروت، بدار صادر، بدون تاريخ، وهي مصورة عن طبعة بولاق، وهي الطبعة التي اعتمدت عليها في هذه الرسالة، ويكون العزو دائمًا إليها.

الخامسة: في بيروت، بدار الكتب العلمية، سنة (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) في تسعة مجلدات، بتحقيق عبد الرزاق المهدي.

---

(١) انظر: دائرة المعارف الإسلامية (٣٩٧/٨).

(٢) انظر: الخفاجي، ريحانة الألبا (٢٣/١) مقدمة المحقق.

(٣) انظر: معجم المطبوعات (ص٨٣١)؛ الخفاجي، ريحانة الألبا (٢٣/١) مقدمة المحقق؛ ذخائر التراث (٤٩٨/١)؛ خفاجي، محمد عبد المنعم، الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد حتى العصر الحديث؛ زمامة، وآخرون، معجم تفاسير القرآن الكريم، ص ٢٨٨.

المبحث الثاني

طريقته العامة في «الحاشية» [1]

الشهاب عالم، تمرس بالتأليف، واستوعب معارف عصره، وقد كان يَصْدُرُ في «حاشيته على البيضاوي» عن هذه المادة العلمية التي برع في جمعها واصطفائها – وهي في «حاشيته» كثيرة فقد كان الشهاب حريصًا على التقصي والاستيعاب –، فنراه – غالبًا – إذا تصدى لقضية من القضايا التي يبحثها في «حاشيته» سواء أكانت لغوية أم نحوية أم بلاغية أم غير ذلك، تبسط في الشرح، وأسهب في التوضيح، داعمًا رأيه بالمنقول والمعقول.

والشهاب يهدف من تأليفه «للحاشية» شرح وتوضيح «تفسير البيضاوي»؛ فكان هذا الهدفُ مُنْطَلَقَهُ أثناء مناقشته للقضايا التي يوردها في «حاشيته»؛ فنراه يعمد إلى «تفسير البيضاوي» يشرحه ويعلق عليه، وكثيرًا ما كان يقوده ذلك إلى استطرادات فيمعن في تتبعها، ويشفعها بفيض من اللطائف والنكت والفوائد، حتى جمعت هذه «الحاشية» كل ما ذُكِرَ وقيل في الحواشي والتعليقات التي كتبت على هذا التفسير – كما وصفها بعضهم – [2].

هذا عرض لطريقته بإجمال، ولكن إذا دخلنا في تفاصيل هذه الطريقة، فإن الخروج بتصور واضح لها يغدو صعبًا، فالشهاب – أولاً – ينتقل من موضوع لآخر بدون أي مظهر تنظيمي، وذلك تبعًا لما يعرض له البيضاوي من قضايا، و – ثانيًا – ليس هناك طريقة محددة في تناول هذه الموضوعات، فتعليقه على كلام البيضاوي قد يكون من ناحية لغوية أو

---

(١) المنهج: هو الخطة المرسومة المحددة الدقيقة، التي تتمثل في القواعد والأسس والمنطلقات التي تعرف عليها المفسر، والتي انطلق منها في فهمه للقرآن الكريم، والتي التزم بها في تفسيره له، أما الطريقة: فهي الأسلوب الذي سلكه المفسر أثناء تفسيره لكتاب الله، والطريق التي عرض تفسير كتاب الله من خلالها. انظر: الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ص ١٧ – ١٩.

(٢) انظر: الإدنه وي، طبقات المفسرين ص ٤١٥؛ الدهان، منهج البيضاوي ص ١٦٨.

بلاغية وقد يعرب كلامه أو يستدرك عليه... إلخ، وبالتالي تتعدد الظواهر في «الحاشية» ولا تتخذ مسلكًا واحدًا أو اتجاهًا محددًا.

ونخلص إلى أنه قد تنوعت الموضوعات التي طرقها الشهاب في «حاشيته» وتعددت – وكذلك طرق تناول هذه الموضوعات –، وهذا أمر بدهي لعالم كالشهاب، موسوعي المعرفة والثقافة، ولحاشية على «أنوار التنزيل» ذلك التفسير الذي يطوف في مجالات كثيرة، ومعارف متنوعة.

لذلك نرى «حاشية الشهاب» حديقة غناء تزدان بالعلوم المختلفة، من بلاغة ونحو وصرف ولغة وأدب وتفسير وحديث وعقيدة وفلسفة وتصوف وفقه وغير ذلك، وتحفل – تبعًا لذلك – بأسماءٍ ومصادر عديدة ومتنوعة كما سنرى – لاحقًا – في هذه الرسالة – إن شاء الله تعالى –.

المطلب الأول: معالم طريقته في «الحاشية»:

كما ذكرنا «عناية القاضي» عبارة عن حاشية على «تفسير البيضاوي»، وبالتالي فقد اقتص الشهاب في «حاشيته» أثر البيضاوي في الطريق الذي سار عليه في «تفسيره» مع تفصيل لمجمله، أو توضيح لمشكله، أو بحث في قضايا غفل عنها البيضاوي، وهكذا يمكننا أن نضع بعض المعالم التي تبين كيف سار الشهاب «بحاشيته» للوصول إلى هدفه الذي كان يطمح إليه، وهي كما يلي:

أولاً: رتب الشهاب كتابه حسب ترتيب البيضاوي – أي على ترتيب السور كما هو في المصحف –.

ثانيًا: في بداية السورة يفصل ما أجمله البيضاوي أو غفل عنه أثناء كلامه عن اسمها – أو أسمائها – إن كان لها أكثر من اسم – وعن مكية السورة أو مدنيتها، وعدد آياتها، وسبب

نزولها[١]، وقد يتكلم عن موضوع السورة قبل البدء بالتحشية على كلام البيضاوي – كما فعل في سورة الأنعام [٢] –، وأحيانًا يبدأ بشرح كلام البيضاوي مباشرة ولا يعلق على مدخل السورة – كما نجد في سورة آل عمران [٣] –، وقد يذكر عدد كلمات السورة وعدد حروفها – مثلما فعل في الأعراف[٤]–، وربما بين سبب تسميتها بهذا الاسم –كما هو الحال في سورة الأنبياء[٥]–.

ثالثًا: التحشية على كلام البيضاوي، وسيأتي تفصيل ذلك والمنهج الذي سار عليه في الفصل القادم – إن شاء الله [٦] –.

رابعًا: لما كان الشهاب لا يقصد التفسير أولاً، وإنما يقصد شرح «البيضاوي» وتوضيحه، فهو لا يُعنى بالوقوف عند آيات السورة جميعها وتفسيرها، كما أنه لا يعنى بتفسير الآية الواحدة كلها، بل يتوقف عند جملة أو كلمة منها – أحيانًا –، والناظر في «الحاشية» يجد مصداق ذلك، فلا حاجة إلى التمثيل له هنا.

خامسًا: التعليق على أحاديث فضائل السور التي يذكرها البيضاوي في نهاية تفسيره للسورة، وتخريجها، وبيان صحيحها من ضعيفها، وشرح بعض ألفاظها.

سادسًا: في ختام السورة يشير إلى انتهائها بقوله: **(تمت)** أو **(تم ما علقناه على سورة...)**، ثم حَمْد الله تعالى وسؤاله أن يزيدنا من علمه، وأن يوفقنا لفهم كتابه، أو يدعو بحسن الخاتمة والعفو والمغفرة، وقد يكون الدعاء بأن ييسر الله تعالى إتمام هذا الكتاب، ثم يصلي على النبي × [٧].

---

(١) انظر: الحاشية (١٥٣/١ و٢٠٩/٣ و٢٩٥/٤ و٦٦/٥ و٧١/٦ و١٩١/٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٤٥/٤).

(٥) انظر: المصدر السابق (٢٣٧/٦).

(٦) انظر ص ٩٥ – ١٢٥ من هذه الرسالة.

(٧) انظر: الحاشية (١/ ١٥٣ و٣٥٦/٢ و٩٥/٣ و٣٨١/٤ و١٥١/٥ و١٤٢/٦ و٦٢/٧ و٨/ ١٢٩).

المطلب الثاني: طريقة الشهاب في بحث المسائل وتحقيقها:

يتضح للباحث في «حاشية الشهاب» أنه قد تميز بتحقيقاته العلمية للمسائل التي يبحثها، ويتفاوت منهج الشهاب في بحث هذه المسائل وتحقيقها تبعًا لطبيعة المسألة، فأحيانًا كان يفصل، وأحيانًا يوجز، وأحيانًا يتبع طريقة الإحالة إلى مواضع أخرى في «حاشيته» أو في غيرها من الكتب، مستخدمًا بعض الأساليب التي تشوق القارئ وتشد انتباهه.

وقد جعلت الكلام عن منهجه في بحث المسائل وتحقيقها ضمن النقاط التالية:

أولاً: التفصيل:

أخذ الاستطراد والتطويل مظهرًا بارزًا في «الحاشية»، وهي استطرادات لا تخلو من الفوائد والنكت واللطائف، قاده إليها علمه الغزير، وبديهته الحاضرة، واطلاعه الواسع، ومن ذلك توقفه عند قوله تعالى: **{وَإِنْ كُنتُم فِي رَيبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُم صَادِقِينَ}** [البقرة: ٢٣].

فقد أبرز الشهاب كلام البيضاوي – في معرض تفسيره للآية – عن أوجه تعلق **{مِنْ}** في قوله تعالى: **{مِنْ دُونِ اللَّهِ}**، وفصل كلامه وقارنه بكلام الزمخشري [١]، واستطرد في البحث، حتى إنه ربما شعر أنه بهذا التوسع في البحث جعل القارئ يتشتت ويجد صعوبة في فهم هذه المسألة، فلجأ إلى تعليل هذا الاستطراد بقوله [٢]: «وقد أطلنا الكلام لأن أكثر ما قيل ليس فيه شفاء للصدور، وإن كان هذا أيضًا نفثة مصدور».

وقد يذهب الشهاب إلى أبعد من ذلك في الاستطراد في تحقيقاته العلمية للمسائل، كما هو الحال في بحثه لأصل كلمة (الله) واشتقاقها، فقد تكلم عن هذه المسألة في حوالي خمس

---

(١) انظر: المصدر السابق (٢/٤٢-٤٦).

(٢) المصدر السابق (٢/٤٤).

عشرة صفحة [١]، وفصل القول فيها تفصيلاً[٢].

ثانيًا: الإيجاز:

ومن الأمثلة التي توضح ذلك كلامه عن الفرق بين (إلى) و (حتى) في الغاية، قال البيضاوي – عند تفسيره لقوله تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّهُم صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إليهم لَكَانَ خَيرًا لَهُم وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [الحجرات: ٥] –: « و (حتى) تفيد أن الصبر ينبغي أن يكون مغيًا بخروجه؛ فإن (حتى) مختصة بغاية الشيء في نفسه؛ ولذلك تقول: (أكلت السمكة حتى رأسها) ولا تقول: (حتى نصفها) بخلاف (إلى) فإنها عامة».

قال الشهاب [٣]: «قوله (وحتى تفيد أن الصبر... إلخ) بيان للفرق بين (إلى) و(حتى)، واختيار (حتى) هنا دون (إلى) بأن حتى موضوعة لما هو غاية في نفس الأمر، و(إلى) غاية لما هو غاية في نفس الأمر أو بجعل الجاعل؛ فلذا اختيرت هنا كما أشار إليه بقوله (ينبغي أن يكون مغيًّا بخروجه) يعني أن انتظارهم إلى أن يخرج إليهم أمر لازم لأن الخروج لما جعله الله غاية كان كذلك في الواقع، فهي أبلغ في الدلالة على المراد، وأخصر لعدم لزوم التصريح بـــ (أن) معها، ولا تنافي بقاء الخيرية بعد الخروج أيضا بخلاف (إلى)».

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/٥٠-٦٤).

(٢) انظر أمثلة أخرى: المصدر السابق: (١/٧٥-٧٦) حيث تكلم عن الفرق بين الحمد والمدح، وأيضًا (٣/٢٨٧-٢٨٨) مسألة أصل (أشياء) واشتقاقها وميزانها الصرفي، وأيضا (٥/١٤٢-١٤٣) الكلام عن حديث: «شيبتني سورة هود»، وكذلك (٥/٣٢٣-٣٢٤) إعراب (ماذا) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُم قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤]، وقد علل استطراده هنا بقوله: «وإنما بسطناه لأنه من مشكلات الكشاف».

(٣) المصدر السابق (٨/٧٥) وانظر أمثلة أخرى (١/٢٥٨) معنى الضدين، و(٣/١٤٠) الفرق بين الحال مفردة وجملة، و(٦/١٤٤) الفرق بين التشبيه المكني والاستعارة المكنية، وكذلك (٦/٣٣٥) الرد على من قال: إن التعظيم بصيغة الجمع في غير ضمير المتكلم لم يقع في كلام العرب، وأيضًا (٨/٤١٨) الفرق بين المصدر واسم المصدر.

ثالثًا: الإحالات:

١ – الإحالة إلى مواضع أخرى من «الحاشية»:

أ – الإحالة إلى ما سبق:

من أمثلة إحالاته إلى ما سبق قوله: «مر تفصيله في أول الفاتحة»[١]، و«كما مر»[٢]، و«وقد تقدم شرحه»[٣]، و«وقد مر تحقيقه»[٤].

ب – الإحالة إلى ما سيأتي:

وكما أن الشهاب يحيل إلى ما سبق، فهو يحيل إلى ما سيأتي، كأن يقول: «كما ستحيط به خبرًا»[٥]، و«كما سيأتي في سورة الأنعام تحقيقه»[٦]، و«سيأتي تفصيله ثمة»[٧] – أي عند الكلام عن قوله تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ...} [الإسراء: ٨٨] –، و«سيأتي تحقيقه»[٨].

٢ – الإحالة إلى كتب أخرى للشهاب:

كان الشهاب – أحيانًا – يحقق المسألة بشيء من الإيجاز، ثم يشير إلى أنه قد بسط الكلام فيها في أحد كتبه؛ فيحيل إليه، ومن الأمثل على ذلك قوله: «وقد نبهنا عليه في «السوانح»»[٩]، و«وأشبعنا الكلام فيه في «شرح الشفاء»»[١٠]، و«وقد أوضحناه في كتابنا

---

(١) المصدر السابق (٩٩/٥).

(٢) المصدر السابق (٤٠١/٨).

(٣) المصدر السابق (٢٥٨/٧).

(٤) المصدر السابق (٢٢٧/٨).

(٥) المصدر السابق (١٢٥/١).

(٦) المصدر السابق (١٢٩/١).

(٧) المصدر السابق (٤٤/٢).

(٨) المصدر السابق (٢٥٨/٤).

(٩) المصدر السابق (٦٩/١). وانظر رقم (٢٥) من مؤلفاته غير المطبوعة.

(١٠) المصدر السابق (٧٤/١). وانظر رقم (٩) من مؤلفاته المطبوعة.

«شفاء الغليل»[١]، و«كما بيناه في «شرح الدرة»»[٢].

٣ – الإحالة إلى مصادر أخرى:

تتفاوت طريقة الشهاب في الإحالة إلى المصادر الأخرى، فأحياناً يذكر اسم الكتاب ويحدد الباب الذي يوجد فيه تفصيل المسألة التي يناقشها، وقد يذكر اسم الكتاب فقط، وقد تكون الإحالة أكثر غموضًا فيحيل إلى جميع الكتب التي تتكلم في العلم الذي تندرج تحته المسألة المراد بحثها، ومن الأمثلة على ذلك قوله: «وفيه كلام طويل في شروح الكشاف و«المفتاح»، وصنف فيه ابن هشام رسالة مستقلة»[٣]، و«وفيه لغات مذكورة في «القاموس»»[٤]، و«وقد اشبعوا الكلام عليه في المفصلات»[٥]، و«وتفصيله في باب التثنية من «شرح التسهيل»»[٦].

ولعل هدف الشهاب من هذه الإحالات هو عدم التكرار، فللفرار من «مؤنة التكرار» – كما يسميه [٧] – يحيل إلى موضع آخر بدل إعادة الكلام مرة أخرى، وهذا هو الغالب فإنه قد يقع في التكرار أحياناً، ككلامه عن معنى السورة واشتقاقها، فقد تكلم عن هذه المسألة في بداية سورة الفاتحة، ثم أعاد الكلام تقريبًا في بداية سورة البقرة [٨]، وفعل نفس الشيء عندما تكلم عن معاني الترجمة [٩]، وكذلك اعتراضه على البيضاوي فيما ذهب إليه من أن الرأفة

---

(١) المصدر السابق (١١٩/١). وانظر رقم (٥) من مؤلفاته المطبوعة.

(٢) المصدر السابق (٣٨/٢). وانظر رقم (٤) من مؤلفاته المطبوعة.

(٣) المصدر السابق (١٠٩/١).

(٤) المصدر السابق (٣٨/٢).

(٥) المصدر السابق (٢٨٥/٧).

(٦) المصدر السابق (١٣٧/٨).

(٧) انظر: المصدر السابق (٤٥/٢) حيث قال: «قد مر بيانه ما يغني عن تحمل مؤنة التكرار فيه». وانظر أيضًا (١٩٠/٤).

(٨) انظر: المصدر السابق (١٧/١، ١٥٣).

(٩) انظر: المصدر السابق (١٧/١و٣١/٢).

أبلغ من الرحمة، وأن سبب تقديم الرؤوف على الرحيم في القرآن رعاية للفواصل[١].

ومما يؤخذ على الشهاب في إحالاته إلى مواضع أخرى من «الحاشية» أنه قد يحيل دون أن يذكر الموضع المحال إليه، فيحيل إلى ما سبق أو إلى ما سيأتي – كما رأينا – دون تحديد؛ مما يتعب القارئ في البحث عن هذه الإحالات، وكذلك «الغموض الذي يكتنف بعض إحالاته إلى المصادر، ومن ذلك قوله: «كما في بعض الحواشي»[٢]، فإذا علمنا أن «تفسير البيضاوي» وحده قد حظي بعشرات الحواشي [٣]، عرفنا مقدار العنت الذي يجده القارئ لتحديد هذه المصدر الذي نقل عنه الشهاب»[٤].

رابعًا: طريقة الفنقلة:

اتبع الشهاب في بحث القضايا ومناقشتها طريقة الزمخشري التي تسمى (الفنقلة)، وهي طريقة مشوقة، تحرك ذهن القارئ وتنشطه، فكان يبحث عن السؤال الذي يمكن أن يدور في ذهن القارئ حول مسألة ما، ومن ثم يجيب عنه.

ومن الأمثلة على استخدامه هذه الطريقة: قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُم أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ}** [النساء: ١٩]. قال البيضاوي: «والاستثناء من أعمّ عام الظرف أو المفعول له تقديره: (ولا تعضلوهن للافتداء إلا وقت أن يأتين بفاحشة)، أو: (ولا تعضلوهن لعلة إلا لأن يأتين بفاحشة)».

---

(١) انظر المصدر السابق (٢/٢٥٢و ٦/٣٥٥) وانظر أمثلة أخرى (٢/١٣٥ و٤/٢٥٢) مسألة الموافاة، وكذلك (٣/١٨٧و ٧/ ٢٧٥) مسألة إطلاق العارف على الله.

(٢) المصدر السابق (١/٣٤، ٢٠١).

(٣) قلت: بل مئات الحواشي – كما ذكرنا أثناء الكلام عن حواشي «البيضاوي» – انظر ص ١٤ من هذه الرسالة.

(٤) القضاة، الشهاب الخفاجي نحويًّا ص٣٣.

قال الشهاب [١]: «فإن قلت: كيف يتصور تقدير: لعلة من العلل، بعد ذكر علة مخصوصة وهي: (لتذهبوا)؟! قلت: يجوز أن يكون المراد العموم وذكر فرد منه لنكتة لا ينافيه أي للذهاب أو غيره، أو العلة المعنية المذكورة غائية، والعامة المقدرة باعثة على الفعل متقدمة عليه في الوجود».

خامسًا: مخاطبة القارئ:

يعمد الشهاب في بحثه للمسائل إلى طريقة أخرى لشد انتباه القارئ، وإثارة اهتمامه، وهي مخاطبة القارئ بصيغ إنشائية مختلفة، مثل: «أعلم»[٢]، أو «إياك»[٣]، أو «تذكر ولا تكن من الغافلين» [٤]، أو «فتدبر»[٥]، أو «فتأمل»[٦]، أو «فاحفظه فإنه من البدائع الروائع»[٧] ... إلخ.

المطلب الثالث: الشهاب الأديب وأثر ذلك في «الحاشية»:

يصف صاحبُ «كشف الظنون» الشهابَ – أثناء تعريفه بكتابه «خبايا الزوايا» – بقوله[٨]: «أديب العصر شهاب الدين أحمد الخفاجي»، ثم قال – بعد أن أعطى فكرة عن هذا الكتاب –: «وهو تأليف لطيف، يدل على مهارة مؤلفه في الأدب».

هذه الشهادة من صاحب «كشف الظنون» تدل على المكانة السامقة التي كان يتمتع بها

---

(١) الحاشية (١٨/٣) وانظر أمثلة أخرى: (٢٦٣/١ و١١٧/٢ و٢٣٤/٣ و٢٥٧/٤ و٢٧٧/٥ و٩٩/٦ و٢٦٠/٧ و٨/ ٤٠٢).

(٢) المصدر السابق (٢٠/١).

(٣) المصدر السابق (٣٦/١).

(٤) المصدر السابق (٨٧/١).

(٥) المصدر السابق (٣١/٢).

(٦) المصدر السابق (٤٠٠/٨).

(٧) المصدر السابق (٣٩/٤).

(٨) حاجي خليفة، كشف الظنون (١/ ٥٣٨).

الشهاب بين أدباء عصره، وأنه قد حاز قصب السبق في هذا المجال.

وأثناء كلامنا عن حياة الشهاب ومصنفاته ذكرنا كلام المحبي الذي تحدث فيه عن لقاء والده بالشهاب، وأنه أخذ عنه [١]، ثم نقل المحبي – بعد ذلك – كلامًا لوالده يدل على تفوق الشهاب وبراعته في علوم البلاغة والأدب فقال [٢]: «ثم جئت إلى رياض العلوم المزهرة بأصناف الفنون من منثور ومنظوم، فجنيت زهر الآداب، من تلك الحدائق الرحاب، فكان بيت قصيدها، وواسطة عقدها وفريدها، مالك أزمة هذه الصناعة، وفارس حلبة البلاغة والبراعة، جناب المولى الشهاب، إنسان عين الموالي وزبدة الأحقاب.

علامة العلماء واللج الذي لا ينتهي ولكل لج ساحل

قد أشرقت بشموس علومه أفلاكها، ولمع بسنا المنطوق والمفهوم سماكها... قد اتفقت كلمة الكملة أنه واحد عصره بلا خلاف، وأقرت له علماء دهره في حيازة السبق بالاعتراف، فانتهت إليه اليوم بلاغة البلغاء، فما تظل الخضراء ولا تقل الغبراء في زماننا أجرى منه في ميدانها، وأحسن تصرفًا بعنانها، وأما فنون الآداب فهو ابن بجدتها وأخو جملتها وأبو عذرتها ومالك أزمتها... فنظمه نفثات السحر، وقلائد النحر، وغمزات الألحاظ المراض، وعطفات الحسان بعد الإعراض، ونثره النثرة إشراقًا، وحباب الصهباء رونقًا واتساقًا» انتهى كلامه باختصار، وهو يدل على أن الشهاب قد حاز قصب السبق في البلاغة، وملك أزمة فنون الآداب، حتى أصبح واحد عصره –عدا عن كونه قد برع نظريًّا في تلك الفنون كما ذكرنا–.

وأيضًا مما يدل على مكانة الشهاب الأدبية، ما رثاه به أحد تلاميذه – وكان قد توفي قبله بثلاثة أشهر الفقيه الكبير: الشوبري – فقال فيهما أحمد الحموي يرثيهما:

مضى الإمامان في فقه وفي أدب الشوبري والخفاجي زينة العرب

---

(١) انظر ص ٤٠ من هذه الرسالة.

(٢) المحبي، خلاصة الأثر (١/٣٣٤).

وكنت أبكي لفقد الفقه منفردًا فصرت أبكي لفقد الفقه والأدب[١]

ولذلك فقد كانت صورة الأديب عند الشهاب طاغية في «حاشيته»، وكان أثرها ظاهرًا في ما كتب، وأما الجوانب التي ظهر فيها أثر الشهاب الأديب في «الحاشية» فيمكن حصرها في جانبين:

أولاً: لغة «الحاشية»:

يلحظ القارئ في «حاشية الشهاب» استخدامه للغة الأدبية [٢]، كامتداد لثقافته الأدبية العالية، فالصورة البيانية من تشبيه واستعارة وكناية، وكذلك الفنون البديعية، تتكرر كثيرًا في «الحاشية» حتى أثناء مناقشته للقضايا العلمية الدقيقة، فتراه يقول – بعد عرض أقوال العلماء في مسألة ما – [٣]: «هذا زبدة أنظار كتب الحواشي من المدققين هنا وفيه نظر»، ويقول أيضًا[٤]: «فلا يخفى وجه الإشعار لمن له شعور»، ويقول في موضع آخر [٥]: «أطال بغير طائل مما تركه خير منه، لكنا نبهناك عليه لئلا يظن بعض العقول القاصرة في سرابه ماء فتدبر»، ويقول – بعد رده على أحد العلماء بكلام مختصر ولم يستطرد كعادته – [٦]: «فحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق». وقال – أثناء بحثه لإحدى القضايا[٧] –: «والذي يلوح للخاطر، بعد استكشاف سرائر الدفاتر».

وتعطى مقدمة «الحاشية» وخاتمتها فكرة عن أسلوب الشهاب في الكتابة، فهما تدلان

(١) انظر: المحبي، المصدر السابق (٣٤٣/١).

(٢) انظر: القضاة، الشهاب الخفاجي نحويًا ص ٣٤.

(٣) انظر: الحاشية (١٠٢/١).

(٤) انظر: المصدر السابق (٢٧٠/٧).

(٥) انظر:المصدر السابق (١٧/٢).

(٦) انظر: المصدر السابق (٣٣٥/٦).

(٧) انظر: المصدر السابق (٣٩٠/٨).

- كما ذكرنا أثناء الكلام عن مقدمة «الحاشية»[١] - على علو كعبه في البلاغة والفصاحة، وعلى تأثره بما وسم به عصره من طغيان الصنعة البديعية والتعقيد اللفظي والغريب.

وقد ختم الشهاب «حاشيته» بدعاء أحببت نقله ليكون نموذجًا يرى من خلاله القارئ أسلوب الشهاب في الكتابة. قال رحمه الله بعد انتهائه من التعليق على كلام البيضاوي في تفسيره لسورة الناس [٢]: «اللهم إنك تعلم أني محضت أيامي عن بذرتها، وأعملت مطايا الجد وجياد النظر في ميادين حلبتها، حتى بيض نسخة عمري المشيب، وأبلى بلبسه بردى القشيب، ونثر خريفه خضر أوراقي، واشتعل الرأس شيبًا واستنارت به آفاقي، فرأيت ما ضاع من متاع حياتي، وقمت لألتقط ما انتثر من درر أوقاتي، وندمت على ترك التجارة، وناهيك بعدم الربح من خسارة، لولا برهة جاد بها أبو العجب على ما به من فينة وفينة بعد فينة، في خدمة الكتاب والسنة.

فإن كان هذا الدمع يجري صبابة ... على غير سعدى فهو دمع مضيع

وما تفيد الجواهر ضالاً في باب، سكانه سعال وضباب، وقصوره صم الصخور وأنهاره السراب، وما ينفع البذر على صفوان المسيل، وما يغني عرق الجبين من أتى السوق بنقضه بعد الأصيل، غير أني أتوسل إلى الكريم، بكلامه القديم، ورسوله العظيم، أن يعزني بعزه الذي لا يضام، ويدخلني حصن حفظه الذي لا يرام، ويغنيني عما سواه، ويشرح صدري لكل ما يرضاه، يا ظاهرًا إليه مرجع ضمائرنا، اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا وبصائرنا، وليس يخيب من يرجو كريمًا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا».

ثانيًا: موضوعات «الحاشية»:

---

(١) انظر ص ٥٥ - ٥٧ من هذه الرسالة.

(٢) الحاشية (٨/٤١٨-٤١٩).

١ – القضايا البيانية:

اهتمامات الشهاب البيانية الأدبية سمة ظاهرة في «الحاشية»، فهو يميل إلى معالجة النص القرآني في ضوء مدلولاته اللغوية البيانية، «وقد كان له في ذلك الباع الطويل، حيث نالت مسائل البلاغة منه الحظ الوافر، والبحث الدقيق المتأني، لإبراز بلاغة القرآن في أعظم صورها، وأبهى حللها»(١). وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث المخصص للكلام عن منهجه في القضايا البلاغية من هذه الرسالة – إن شاء الله تعالى – (٢).

٢ – الشعر:

كان للشعر نصيب وافر من عناية الشهاب؛ فملأ «عنايته» بقصائد من عيون الشعر العربي، تكشف عن ذوق مرهف أصيل، ورواية واسعة متنوعة، وهذا ليس بمستغرب من شاعر كالشهاب، ذكر كثير ممن ترجم له «ما اشتهر عنه من شاعرية قوية»(٣).

واهتمامه بالشعر يظهر – أيضًا – من خلال تحشيته على ما أورده البيضاوي من شواهد شعرية في «تفسيره»، وليس الآن محل تفصيل في هذا الأمر، فسيأتي الكلام عنه مفصلاً في المطلب الذي عقدته لبيان منهجه في التعليق على الشواهد الشعرية التي يذكرها البيضاوي (٤)، ولكني سأذكر بعض الأمثلة التي تدل على اهتمامه بالشعر وتذوقه له:

أ – إذا استشهد البيضاوي ببيت شعر أو أكثر نرى الشهاب يذكر أبياتًا أخرى، والمناسبة التي قيلت فيها هذه القصيدة، ويذكر القائل، ويشرح الأبيات شرحًا وافيًا، ويذكر ما

---

(١) النكلاوي، البيان عن الشهاب الخفاجي (٢٠/١).

(٢) انظر ص ١٨٦ – ٢١١ من هذه الرسالة.

(٣) النكلاوي، البيان عند الشهاب الخفاجي (١١/١).

(٤) انظر ص ٢١٢ – ٢١٩ من هذه الرسالة.

فيها من مسائل بلاغية... إلخ [١].

ب – من أمثلة اهتمامه بالشعر وتذوقه له تحشيته على بيت ذكره البيضاوي عند تفسيره لقوله تعالى: **{فَأَقْبَلَ بَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ}** [الصافات: ٥٠] يقول البيضاوي: «معطوف على **{يُطَافُ عَلَيهِم}** [الصافات: ٤٥]؛ أي: يشربون فيتحادثون على الشراب، قال:

وما بقيت من اللذات إلا　　　أحاديث الكرام على المدام»

قال الشهاب – بعد أن ذكر القائل ورواية أخرى للبيت مخالفة لرواية البيضاوي[٢] –: «وعارض معناه القائل:

وكان الصديق يزور الصديق　　　لشرب المدام وعزف القيان
فصار الصديق يزور الصديق　　　لبث الهموم وشكوى الزمان
وزاد فزورته إن أتى　　　هروبًا من الدين أو من زباني

وهذه نفثة مصدور، خشيت أن تحرق السطور».

ج – مثال آخر تعليقه على شاهد شعري للبيضاوي وهو:

هما أظلما حاليّ لمة أجليا　　　ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب

فقد علق على استشهاده ببيت لأبي تمام، على الرغم من أنه من المحدثين – كما قال البيضاوي نفسه –، واستطرد في الكلام عن طبقات الشعراء، حيث قسمهم إلى ست طبقات: جاهليين ومخضرمين ومتقدمين – أو إسلاميين – ومولدين ومحدثين ومتأخرين، وعرف كل طبقة، وبين أي الطبقات يستدل بشعرهم مع ذكر الاختلاف في ذلك [٣].

---

(١) انظر: الحاشية (٤٦/١، ١١٤-١١٥، ١٤٨و ١٢٨/٢و ٦٥/٣، ١٢٧-١٢٨).

(٢) المصدر السابق (٢٧٠/٧-٢٧١). وانظر أمثلة أخرى (٩٢/٢و ٣٨٨/٦و ٤١٠/٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (٤٠٦/١-٤٠٧).

د – وقد يذكر الشهاب شيئًا من شعره، ومن ذلك الأبيات التي ذكرها عندما تحدث عن النفوذ الذي تمتع به اليهود زمن السلطان مراد، وتسلطهم على المسلمين، وأخذ الضرائب منهم بالظلم «حتى احتاج الناس إلى مراجعتهم وتقبيل أياديهم».

يقول الشهاب [١]: «وقد قلت في ذلك:

ويح ناس قومًا يهودًا تولوا	وتولوا عن قول رب تعالى
حسبوا الطب والأمانة فيهم	فاستباحوا الأرواح والأموالا
يقتلون البغاة من غير حرب	وكفى الله المؤمنين القتالا»

(١) المصدر السابق (٣١٩/٤) وانظر أبياتًا أخرى له (٢٨٨/٣ و٢٠/٥ و٢٥/٦ و٣٩٣/٨).

المبحث الثالث:

مصادر الشهاب وموارده في «الحاشية»

إن معرفة مصادر المفسر ركيزة أساسية في دراسة منهجه؛ ذلك أن البحث في جهود المفسر وما قام به من إضافة وتجديد في علم التفسير لا يتحصل دون الوقوف على المصادر والموارد التي استمد منها، وخاصة أن لهذه المصادر أثرًا في تشكيل منهجه.

وقد تبين لي أثناء دراستي لـــ «حاشية الشهاب» أنه قد استعان بمصادر كثيرة ومتنوعة، ويرجع ذلك إلى منهجه في هذه «الحاشية» والذي يقوم على ذكر الأقوال والآراء جامعًا في كل ذلك بين المأثور والمعقول.

وسأتناول إن شاء الله هذا المبحث من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: منهجه في ذكر مصادره:

أولاً: ذكر المصدر والمؤلف:

فيقول مثلاً: «قال النووي في «الأذكار»»[١] أو «وفي «المرشد» لأبي شامة»[٢] أو «وهو ظاهر كلام السيوطي في «المزهر»»[٣] أو «وفي «فروق العسكري»»[٤].

ثانيًا: ذكر المصدر فقط:

فيقول مثلاً: «قال في «المغني»»[٥] أو «وفي «المفتاح»»[٦] أو «كما في

---

(١) انظر: الحاشية (٦/ ٣٦٥).

(٢) انظر المصدر السابق (٥/ ٢٥٢).

(٣) انظر المصدر السابق (١/ ٢٢٥).

(٤) انظر المصدر السابق (٥/ ٢٣٥).

(٥) انظر المصدر السابق (٦/ ١٥١).

(٦) انظر المصدر السابق (٨/ ١٨٦).

««الكتاب»»[١] أو ««وأورد عليه صاحب ««مصاعد النظر»»»[٢].

ثالثاً: ذكر المؤلف فقط:

فيقول مثلاً: ««قال ابن جني»»[٣] أو ««كما ذكره الراغب»»[٤] أو ««كما قال السخاوندي»»[٥] أو ««وهو مختار أبي حيان»»[٦].

رابعًا: عدم ذكر المصدر:

فيقول مثلاً: ««ولذا قيل»»[٧]، أو ««أجابوا عنه»»[٨]، أو ««وهو المنقول عن ابن عباس»»[٩] أو ««وقد ساقه بعضهم»»[١٠].

ومن الملاحظ أن الشهاب قد يذكر أصحاب المصنفات التي ينقل منها بألقابهم أو بكناهم، فهو يذكر البيضاوي غالبًا بلقب: ««المصنف»»[١١]، ويذكره أحيانًا بـــ ««القاضي»»[١٢]، كما يذكر الزمخشري[١٣] أو الشريف الجرجاني[١٤] بلقب: ««العلامة»»، وأما لقب: ««الشيخ»»

---

(١) انظر المصدر السابق (١/ ١٩٩).

(٢) انظر المصدر السابق (١/ ١٥٥).

(٣) انظر المصدر السابق (٨/ ٣٧١).

(٤) انظر المصدر السابق (٧/ ٥٠).

(٥) انظر المصدر السابق (٦/ ٢٠٩).

(٦) انظر المصدر السابق (٤/ ١٠٩).

(٧) انظر المصدر السابق (١/ ٥٨).

(٨) انظر المصدر السابق (١/٥٩).

(٩) انظر المصدر السابق (١/ ١٣٤).

(١٠) انظر المصدر السابق (١/ ١٧٩).

(١١) انظر المصدر السابق (١/ ٨٦).

(١٢) انظر المصدر السابق (١/ ١٥١).

(١٣) انظر المصدر السابق (١/ ٧٥).

(١٤) انظر المصدر السابق (١/١٦٠).

فإما أن يقصد به أبا الحسن الأشعري[١]، أو عبدالقاهر الجرجاني[٢]، ويكثر الشهاب من النقل عن «النحرير»[٣]، ويعني به السعد التفتازاني، وأما إذا قال: «قُدِّسَ سِرُّهُ»[٤] فإن المراد به الشريف الجرجاني الذي يعزو إليه أيضًا بقوله: «الشريف»[٥] أو «السيد السند»[٦]، ومن الألقاب التي تتكرر في «الحاشية»: «الإمام»[٧] أي: الرازي، و«محيي السنة»[٨] أي: البغوي، و«رئيس المفسرين»[٩] أي: ابن عباس، و«علم الهدى»[١٠] أي: الشريف المرتضى، و«نجم الأئمة»[١١] أي: الرضي الأستراباذي، و«صدر الأفاضل»[١٢] أي: القاسم بن الحسين الخوارزمي، و«الحفيد»[١٣] ويعني به أحمد بن محمد شيخ الإسلام بهراة، حفيد التفتازاني.

كما أنه يذكر الشخص بكنيته: مثل «أبو البقاء»[١٤]: يعني عبدالله بن الحسين العكبري، صاحب «التبيان في إعراب القرآن» و«أبو داود»[١٥]: صاحب «السنن»، و«أبو علي»[١٦]: يعني الفارسي النحوي وغيرهم.

(١) انظر المصدر السابق (١/ ٤٧).

(٢) انظر المصدر السابق (٤/ ٣١٩).

(٣) انظر المصدر السابق (٤/ ٣٤٢).

(٤) انظر المصدر السابق (٢/ ٤١).

(٥) انظر المصدر السابق (٦/ ٣٨٩)

(٦) انظر المصدر السابق (١/ ٧٦).

(٧) انظر المصدر السابق (١/ ٢٣).

(٨) انظر المصدر السابق (٥/ ٢٢٧).

(٩) انظر المصدر السابق (٢/ ٢٨٧).

(١٠) انظر المصدر السابق (٢/ ١٣٣).

(١١) انظر المصدر السابق (٢/ ٢٤).

(١٢) انظر المصدر السابق (١/ ١١٠).

(١٣) انظر المصدر السابق (١/ ٣٥٦).

(١٤) انظر المصدر السابق (٣/ ٢٦٢).

(١٥) انظر المصدر السابق (١/ ١٥٠).

(١٦) انظر المصدر السابق (١/ ١٥٥).

المطلب الثاني: منهجه في النقل من هذه المصادر:

أولاً: النقل باللفظ:

ومن الأمثلة على ذلك نقله عن الشريف الجرجاني قوله[١]: «الأبلغ إذا كان أخصر مما دونه ومشتملاً على مفهومه تعين في الإثبات الترقي، وفي النفي عكسه، إذ لو قدم كان ذكر الآخر عاريًا عن الفائدة، كما في: (عالم النحرير)، وإذا لم يكن الأبلغ مشتملاً على مفهوم الأدنى كـــ (الرحمن الرحيم)، إذا أريد بالأول جلائل النعم، وبالثاني دقائقها يجوز كل من طريقي التميم والترقي، نظرًا لمقتضى الحال، ولما كان الملتفت إليه بالقصد الأول في مقام العظمة والكبرياء عظائم النعم دون دقائقها قدم الرحمن وأردفه بالرحيم كالتتمة تنبيهًا على أن الكل منه، لشمول عنايته ذرات الوجود، كيلا يتوهم أن المحقرات لا تليق به فيستحيا أن يسألها».

ثانيًا: النقل بالمعنى:

من أمثلة نقله بالمعنى قوله –نقلاً عن الزمخشري في المراد من مرض القلب في قوله تعالى: **﴿فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾** [البقرة: ١٠]–[٢]: «حيث قال فيه –أي الزمخشري في «الكشاف»-: المراد به في الآية المعنى المجازي الذي هو آفة في الإدراك كسوء الاعتقاد والكفر، أو حالة تبعث على ارتكاب الرذائل كالحسد، أو مانعة عن اكتساب الفضل كالجبن... إلخ».

فقد جاء النص في «الكشاف» كما يلي[٣]: «واستعمال المرض في القلب يجوز أن

---

(١) المصدر السابق (١/ ٦٧). وانظر السيد الشريف، علي بن محمد الجرجاني، حاشية السيد الشريف على الكشاف (مطبوع بهامش الكشاف)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (١/ ٤٥).

(٢) الحاشية (١/ ٣٢٠) وانظر أمثلة أخرى (١/ ١٨٦ و٢/ ٢٠٩ و٣/ ١٣٨ و٥/ ٣٠٧ و٧/ ١٤٣).

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف (١/ ٩٨).

يكون حقيقة ومجازًا، فالحقيقة أن يراد الألم، كما تقول: في جوفه مرض، والمجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب، كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل إلى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض، كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك، والمراد به هنا: ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر، أو من الغل والحسد والبغضاء».

ثالثًا: النقل باختصار:

ومن أمثلة تلخيصه الكلام قوله[1]: «في «المصباح»: هجرته هجرًا، من باب: قتل: قطعته، وهجر المريض في كلامه: هذى. والهجر -بالضم- اسم ومصدر بمعنى: الفحش، من هجر كقتل. وفيه لغة أخرى: أهجر -بالألف- انتهى».

والنص في المصدر المشار إليه هو[2]: «هجرته هجرًا من باب قتل: قطعته، والاسم: الهجران. وفي التنزيل: **{وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ}** [النساء: ٣٤] أي: في المنام توصلاً إلى طاعتهن، وإن رغبت عن صحبته ودامت على النشوز استحب الفراق. وهجر المريض في كلامه هجرًا أيضًا: خلط وهذى. والهجر -بالضم-: الفحش، وهو اسم من هجر يهجر من باب قتل، وفيه لغات أخرى: أهجر في منطقه -بالألف-: إذا أكثر منه حتى جاوز ما كان يتكلم به قبل ذلك...».

المطلب الثالث: موقفه مما ينقل:

أولاً: ينقل بدون تعليق:

فقد يكتفي الشهاب بإيراد النص كما هو دون تعليق كنقله عن ابن القيم كلامه عن

---

(١) الحاشية (٦/ ٣٣٨) وانظر أمثلة أخرى (١/ ٥٤، ١٧٩ و٥/ ٢٣٥ و٦/ ٣٣٩).

(٢) انظر: الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، وزارة المعارف العمومية، مصر، ط٤، ١٩٢١ م، (٢/ ٨٧١).

مسألة: هل لله على كافر نعمة؟ يقول الشهاب[1]: «في «بدائع ابن القيم»: «اختلف السلف هل لله على كافر نعمة؟ فقيل لا نعمة له عليه لظاهر قوله تعالى: **{أولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِم مِنَ النَّبِيِّينَ...}** الآية [مريم: ٥٨]. وقيل: قد يكون منعمًا عليه. والصواب أن مطلق النعم يعم البر والفاجر، والنعم التامة مختصة بالمؤمنين لاتصالها بسعادة الأبد، وهو الحق» ا.هـ».

ثانيًا: ينقل ويؤيد من ينقل عنه ويمدحه:

قال الشهاب –في إعراب (حذر) في قوله تعالى: **{يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ}** [البقرة: ١٩][2]–: «وقال أبو حيان[3]: «إعرابهم له مفعولاً له مع استيفائه شروطه فيه نظر؛ لأن قوله: **{من الصواعق}** في المعنى مفعول له، ولو كان معطوفًا لجاز كقوله تعالى: {**ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ**} [البقرة: ٢٦٥]، وقد جوزوا أن يكون منصوبًا على المصدر؛ أي: يحذرون حذر الموت»...

وقال ابن الصائغ رحمه الله –ومن خطه نقلت– بعدما ذكر ما قاله أبو حيان: «جوابه أنهما إما نوعان: أحدهما منصوب، والآخر مجرور، فهما كالمفعول معهما في قوله تعالى: **{أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ}** [سبأ: ١٠] في أحد القولين، وإما أن **{مِنَ الصَّوَاعِقِ}** علة لـــ: **{يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم}** أي: لمطلق الجعل، و**{حَذَرَ المَوتِ}** علة للفعل المعلل؛ أي: للفعل مع علته»، وهو كلام نفيس فليحفظ؛ فإن هذه المسألة لم يصرح بها أحد من أهل العربية».

ثالثًا: ينقل ويعلق:

الشهاب ليس مجرد ناقل للأقوال، وإنما هو ناقد ومحلل لها، مع الإنصاف

---

(١) الحاشية (١/ ١٣٨). وانظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، تحقيق أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، (١/ ٢٠٤). وانظر أمثلة أخرى (١/ ١٧٢).

(٢) المصدر السابق (١/ ٤٠١) وانظر أمثلة أخرى (٢/ ١٠٨ و٨/ ٤٠٣).

(٣) انظر: أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م، (١/ ٨٧).

والموضوعية، فكثيرًا ما يقول بعد نقله كلامًا لأحد العلماء: «وأنا أقول»[١] أو «قلت»[٢] أو «إلا أن فيما قاله هؤلاء هنا بحثًا»[٣]. ومن الأمثلة على تعقباته ومناقشاته لآراء من ينقل عنهم كلامه في شرح قول البيضاوي -بعد أن ذكر أنواع الهداية عند قوله تعالى: **{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}** [الفاتحة: ٦]-: «فالمطلوب إما زيادة ما منحوه من الهدى والثبات عليه، أو حصول المراتب المرتبة عليه...».

قال الشهاب[٤]: «قوله: **(إما زيادة ما منحوه... إلخ)** منح بمعنى: أعطى يتعدى لمفعولين، وهو مبني للمجهول هنا، والزيادة نزول الآيات وظهور الأحاديث في زمانه عليه الصلاة والسلام، وظهور طرق الاحتياط والأخذ عن أهل العلم بعده.

وقال قُدِّسَ سِرُّهُ[٥]: «إنه يعني: أن من خص الحمد به تعالى، وأجرى عليه تلك الصفات فهو مهتد، فكيف طلب الهداية؟ فالمطلوب الزيادة أو الثبات أو ثمرة ذلك من سعادة الدارين، ثم إن حمل لفظ الهداية على التثبيت كان مجازًا، وإن حمل على الزيادة: فإن كان مفهوم الزيادة داخلاً في المعنى المستعمل فيه كان مجازًا أيضًا، وإن جعل خارجًا عنه مدلولاً عليه بالقرائن كان حقيقة؛ لأن الهداية الزائدة هداية كما أن العبادة الزائدة عبادة، فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز»، وإن جاز كما سيأتي بيانه[٦]. وتبعه أرباب الحواشي هنا برمتهم.

كما قيل: إنه جواب عما يقال من أن ما قبله منزل على ألسنة العباد الذين حمدوه،

---

(١) انظر الحاشية (١/ ٩٥).

(٢) انظر المصدر السابق (١/ ٩٨).

(٣) انظر المصدر السابق (١/ ١٢٣).

(٤) المصدر السابق (١/١٢٩-١٣٠) وانظر أمثلة أخرى (١/٨٢-٨٣ و٢/ ٤٢-٤٤ و٦/ ١٧ و٨/ ٤٠٩).

(٥) انظر: السيد الشريف، حاشية السيد الشريف على الكشاف (١/ ٦٧).

(٦) عند قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ} [البقرة: ٢١]. انظر: الحاشية (٢/٧-٨).

وخصوا الحمد به تعالى ووصفوه بغاية الكمال وخصوه بالعبادة والاستعانة ومثل هؤلاء لا يصح منهم طلب الهداية إلى الصراط المستقيم بمعنييه لحصوله لهم، ففيه تحصيل الحاصل، فأجاب عنه بقوله: (فالمطلوب...إلخ)؛ فهو جواب شرط مقدر؛ أي: إذا انقسمت الهداية لما ذكر وأكثره حاصل لهم فالمطلوب الزيادة والثبات؛ أي: مجموعهما، وفي نسخة: أو الثبات بـــ (أو) بدل الواو، وهي الموافقة لما في «الكشاف»، والحاصل أن الهداية مطلقة فتصرف للكمال، وهو بما ذكر من الزيادة أو الثبات أو حصول مراتب أخرى من جنسها.

وقد قيل عليه إنه إن أريد بالإيصال المفهوم من الدلالة الإيصال القريب وبالصراط المستقيم ما يشمل العقائد الحقة والأعمال الصالحة فلا مرية في أن من خص الحمد به تعالى وأجرى عليه تلك الصفات لا يلزم أن يكون مهتديًا بهذا المعنى؛ لأن الموصل القريب لها الأدلة، وإن أريد البعيد صح، ولكن لا يتعين الحمل عليه، وأيضًا جزمه بالتجوز إذا أريد الثبات وتفصيله في الزيادة فيه بأنه إن جعل الثبات داخلاً في المعنى المستعمل فيه كان مجازًا، وإلا فهو حقيقة من غير فرق بينهما تحكم، ورد بأن الموصل القريب لا ينحصر فيما ذكر إذ يكون بما عرف سماعًا من الشرع، وبالعقل السليم والثبات ليس كالزيادة لخروجه عن مفهومه بغير شك.

أقول -والهداية منه وإليه-: ليس كلام المصنف رحمه الله مطابقًا لما في «الكشاف» حتى يشرح بما شرح به، ويورد عليه ما أورد عليه؛ فإنه في «الكشاف» لم يتعرض لشيء مما ذكره المصنف أصلاً، فالحق أن يقال في بيان ما هنا: إنه لما فسر الهداية المطلقة بالدلالة بلطف، ونوع منها هداية الله تعالى، وفسر الصراط بما ذكر، صار المعنى: يا ربنا دلنا على طريق الحق بسلامة القوى، ووفقنا على أدلة الآفاق والأنفس، ووفقنا لتلقي الأدلة السمعية من الرسل عليهم الصلاة والسلام والكتب حتى نصل لها، فالتفريع هنا على ما قبله من تنويع الهداية الربانية، إذ المطلوب هدايته لما يوصل إليه منها، وكلها أو جلها حاصل

لهم، فالمطلوب الزيادة... إلخ، والفاء فصيحة؛ أي: إذا تنوعت الهداية لما هو معلوم الحصول فالمطلوب ما ذكر، وتفريعه على ما في النظم كما في الحواشي أبعد بعيد، فعليك بالنظر السديد إذا صعدت من صعيد التقليد».

المطلب الرابع: مصادره:

إن القارئ في «حاشية الشهاب» يشعر أنه أمام موسوعة عظيمة حوت كثيرًا من العلوم، ولا شك أن للشهاب روافد كثيرة أمدته وأعانته على أن يخرج كتابه على هذه الصورة، ولا يستطيع الباحث أن يتقصى كل هذه الروافد والمصادر[1]، ولكني سأحاول في هذا المطلب أن أكشف عن بعض مصادره التي تأثر بها، سواء من كتب علوم القرآن أو الحديث أو العقيدة أو الفقه أو علوم اللغة أو السيرة والتاريخ والتراجم.

أولاً: كتب التفسير وعلوم القرآن:

- أحكام القرآن لابن العربي.
- أحكام القرآن للجصاص.
- الأسئلة القرآنية للعز بن عبدالسلام.
- إعجاز القرآن للباقلاني.
- الإنصاف لعلم الدين العراقي.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.
- الانتصاف في ما تضمنه الكشاف من الاعتزال لناصر الدين ابن المنير.
- بحر العلوم للسمرقندي.
- البحر المحيط لأبي حيان.

---

(١) انظر كلام ابن عاشور عن نزعة الجمع التي شاعت بين العلماء العثمانيين: ابن عاشور، التفسير ورجاله، ص١٢٨.

- البرهان في علوم القرآن للزركشي.
- البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني.
- تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي) لأبي منصور الماتريدي.
- تبصرة المتذكر وتذكر المتبصر (تفسير الكواشي) لأحمد بن يوسف الكواشي.
- تفسير ابن أبي حاتم.
- تفسير ابن برجان.
- تفسير الراغب للراغب الأصفهاني.
- تفسير الفاتحة للفناري.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
- التفسير الكبير للفخر الرازي.
- تفسير عبدالرزاق لعبدالرزاق الصنعاني.
- التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
- جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي.
- حاشية على الكشاف لأحمد الجاربردي.
- حاشية على الكشاف لسعد الدين التفتازاني.
- حاشية على الكشاف لقطب الدين الرازي.
- حاشية على الكشاف للشريف الجرجاني.
- حاشية على الكشاف للدواني.

- حاشية على حاشية التفتازاني على الكشاف للحفيد التفتازاني.

- الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي.

- الحسام الماضي في شرح غريب تفسير البيضاوي لابن الصائغ.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي.

- درر الأصداف من حواشي الكشاف للفاضل اليمني يحيى بن قاسم العلوي.

- شرح ديباجة الكشاف للفيروز آبادي.

- عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد (منظومة رائية في رسم المصحف) للشاطبي.

- عين المعاني للسجوندي.

- غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى.

- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية على الكشاف) لشرف الدين الطيبي.

- القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز للسمين الحلبي.

- الكشاف للزمخشري.

- الكشف عن مشكلات الكشاف لعمر بن عبدالرحمن الفارسي.

- الكشف والبيان للثعلبي.

- المحتسب لابن جني.

- المحرر الوجيز لابن عطية.

- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة.

- مصاعد النظر للبقاعي.

- معالم التنزيل للبغوي.

- معاني القرآن للأخفش.

- مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية.

- النشر لابن الجزري.

- نواهد الأبكار وشوارد الأفكار (حاشية على البيضاوي) للسيوطي.

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي.

- الوسيلة إلى كشف العقيلة لعلم الدين السخاوي.

ثانيًا: كتب علوم الحديث:

- الأذكار للنووي.

- الأمالي الخميسية ليحيى بن الحسين الجرجاني.

- التاريخ الكبير للبخاري.

- تخريج أحاديث تفسير البيضاوي للعراقي.

- تخريج الأحاديث والآثار الواردة في كتاب الكشاف للزيلعي.

- التلخيص الحبير لابن حجر.

- سنن أبي داود.

- سنن ابن ماجه.

- سنن البيهقي.

- سنن الترمذي.

- سنن الدارقطني.

- سنن النسائي.

- شرح صحيح البخاري للكرماني.

- شرح صحيح مسلم للنووي.

- شرح صحيح البخاري لابن بطال.

- شرح مشكل الآثار للطحاوي.

- شرح مصابيح السنة للبيضاوي.

- صحيح ابن حبان.

- صحيح البخاري.

- صحيح مسلم.

- طرح التثريب شرح التقريب للعراقي.

- الفتاوى الحديثية لابن حجر.

- فتح الباري لابن حجر.

- الفردوس للديلمي.

- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة.

- اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة لابن حجر.

- المستدرك على الصحيحين للحاكم.

- مسند أحمد.

- مسند الفردوس لابن الديلمي.

- المسند لابن أبي شيبة.

- المسند للبزار.

- المعجم الكبير للطبراني.

- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للعراقي.

- الموضوعات لابن الجوزي.

ثالثًا: كتب العقائد والفلسفة والتصوف:

- إحياء علوم الدين للغزالي.
- تحرير القواعد المنطقية شرح الرسالة الشمسية لقطب الدين الرازي.
- التذكرة للقرطبي.
- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهاني.
- التمهيد لقواعد التوحيد للنسفي.
- التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في كتاب الله العزيز لعمر بن محمد السكوني.
- الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري.
- دلائل النبوة للبيهقي.
- رسالة الغفران للمعري.
- الروح لابن القيم.
- شرح العقائد النسفية للتفتازاني.
- شرح المقاصد للتفتازاني.
- شرح المواقف للشريف الجرجاني.
- طوالع الأنوار للبيضاوي.
- العقائد العضدية لعضد الدين الإيجي.
- عوارف المعارف للسهروردي.
- الفقه الأكبر لأبي حنيفة.
- المسايرة في علم الكلام والعقائد التوحيدية المنجية في الآخرة لابن الهمام.
- معارج القدس في مدارج معرفة النفس لأبي حامد الغزالي.

- المقاصد في علم الكلام للتفتازاني.
- الملل والنحل للشهرستاني.
- المواقف للإيجي.
- هياكل النور للسهروردي.

رابعًا: كتب الفقه وأصوله:

- الآيات البينات على «شرح جمع الجوامع لجلال الدين المحلي» لأحمد بن قاسم العبادي.
- البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي.
- التحرير في أصول الفقه الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية لابن الهمام.
- التلويح في كشف حقائق التنقيح للتفتازاني.
- روضة الطالبين للنووي.
- شرح أصول ابن الحاجب للسبكي.
- منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي.
- نهاية السول في شرح منهاج الوصول للإسنوي.
- النهاية في مجرد الفقه والفتاوى للطوسي.
- الهداية للمرغيناني.
- الوسيط في المذهب للغزالي.

خامسًا: كتب علوم العربية:

- أساس البلاغة للزمخشري.
- الأشباه والنظائر للسيوطي.
- إعراب الحماسة لابن جني.

- إعراب القرآن للزجاج.
- الأفعال للسرقسطي.
- الإقليد في شرح المفصل للجَنْدِي.
- أمالي ثعلب.
- الأمالي لابن الشجري.
- الإسعاف في شرح شواهد القاضي والكشاف للموصلي.
- الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب.
- الاقتناص في الفرق بين الحصر والاختصاص للسبكي.
- بدائع الفوائد لابن القيم.
- تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري.
- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري.
- التذكرة لأبي علي الفارسي.
- التذكرة لابن هشام.
- التذييل والتكميل في شرح التسهيل لأبي حيان.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك.
- التصريف لابن مالك.
- التعريفات للجرجاني.
- تلخيص المفتاح للخطيب القزويني.
- التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح لابن بري.
- الجامع الصغير في علم النحو لابن هشام.

- حاشية على المطول للشريف الجرجاني.
- الخصائص لابن جني.
- الدر المصون للسمين الحلبي.
- درة الغواص في أوهام الخواص للحريري.
- دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري.
- الزاهر في معاني كلمات الناس للأنباري.
- سر صناعة الإعراب لابن جني.
- شرح «التصريف لابن جني» لعمر بن ثابت الثمانيني.
- شرح «الشافية لابن الحاجب» للرضي الأستراباذي.
- شرح «الكافية لابن الحاجب» للرضي الأستراباذي.
- شرح أدب الكاتب لأبي منصور الجواليقي.
- شرح الإصلاح لابن جني.
- شرح التسهيل لابن عقيل.
- شرح التسهيل لابن مالك.
- شرح التسهيل لابن هشام.
- شرح التسهيل للدماميني.
- شرح الفصيح لأبي منصور الجبان.
- شرح الفصيح لابن درستويه.
- شرح الفصيح للفهري.
- شرح الفصيح للمرزوقي.

- شرح الكتاب لابن خروف.

- شرح الكتاب للسيرافي.

- شرح الكتاب للشلوبين.

- شرح المفتاح للتفتازاني.

- شرح المفصل لابن يعيش.

- شرح المفصل لصدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي.

- شرح ديوان الحماسة للتبريزي.

- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

- شرح ديوان المتنبي للواحدي.

- شرح رائية ابن البواب للجعبري.

- شرح سقط الزند للتبريزي.

- شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك.

- الشيرازيات لأبي علي الفارسي.

- الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس.

- الصناعتين لأبي هلال العسكري.

- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي.

- العقد الفريد لابن عبدربه المغربي.

- عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك.

- العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني.

- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي.

- الفروق لأبي هلال العسكري.

- الفصيح لثعلب.

- فقه اللغة للثعالبي.
- الفلك الدائر لابن أبي الحديد.
- الفوائد الغياثية في علوم البلاغة لعضد الدين الإيجي.
- القاموس المحيط للفيروز آبادي.
- القصريات لأبي علي الفارسي.
- القواعد الثلاثون في علم العربية للقرافي.
- الكامل في اللغة للمبرد.
- الكتاب لسيبويه.
- كنز البلاغة لابن الأثير.
- لب الألباب في علم الإعراب للبيضاوي.
- اللمع لابن جني.
- المثل السائر لضياء الدين بن الأثير.
- مجمع الأمثال للميداني.
- المحكم لابن سيده.
- المزهر للسيوطي.
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض.
- المصباح شرح المفتاح للشريف الجرجاني.
- المصباح المنير للفيومي.
- معاني القرآن للفراء.
- معجم تهذيب اللغة للأزهري.
- معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام.

- مفتاح العلوم للسكاكي.

- المفصل في النحو للزمخشري.

- المقتضب للمبرد.

- الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي.

- نظم القرآن للجرجاني.

سادسًا: كتب السيرة والتاريخ والتراجم:

- الإصابة لابن حجر.

- الاستيعاب لابن عبدالبر.

- البداية والنهاية لابن كثير.

- تاريخ حلب للفاضل الحلبي.

- الجواهر في مناقب العلامة ابن حجر للسخاوي.

- حلية الأولياء لأبي نعيم.

- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام للسهيلي.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض.

- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي.

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس.

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة.

- الكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير.

- المغازي للواقدي.

- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للشريف السمهودي.

الفصل الثالث

منهجه في شرح كلام البيضاوي

أثناء الكلام عن أبرز القضايا التي تناولها الشهاب في مقدمته، قلت: إن هدف الشهاب من كتابة هذه «الحاشية» هو توضيح وشرح «تفسير البيضاوي»(١) وفي هذا الفصل – إن شاء الله – نعرض للمنهج الذي اتبعه لتحقيق هذا الهدف.

وقبل الحديث عن تفاصيل هذا المنهج، سأعرض الخطوط العريضة له، والإطار العام للطريق الذي سار عليه الشهاب في شرحه لكلام البيضاوي، فهو يشرح مجمله، ويَحُلُّ مُعْضِلَهُ، ويوضح مشكله، ويفسر عويصه، ويستخرج لطائفه، ويخرّج أحاديثه، ويدافع عنه أو يعترض عليه، ويقارن كلامه بكلام غيره من العلماء، مستعيناً في ذلك كله بالعيون من كتب التفسير وخلاصة كلام العلماء المحققين في علوم القرآن والحديث والبلاغة والنحو والعقيدة والفقه وغيرها من العلوم، مع التجرد والموضوعية، هادفاً الوصول إلى الحق والصواب.

وقد «تتبع الشهاب تفسير البيضاوي بالتعليق على طريقة (قوله كذا وكذا..)»(٢)، وهذه الطريقة يتبعها الكثير من شراح الكتب، فيختار الشارح نصًّا من الكلام الذي يريد شرحه ويقول: «قوله» أي: صاحب الكلام المراد شرحه، ثم يذكر كلامه وشرحه ويعلق عليه، وسأتكلم – إن شاء الله – عن المنهج الذي سلكه ضمن النقاط التالية:

أولاً: توضيح كلام المصنف:

قد يختار الشهاب جملة تامة أو بعض جملة أو كلمة وردت في كلام البيضاوي، وفي هذه الحالة يعمد إلى التوضيح بإحدى الطرق التالية:

١ – شرح الجملة وبيان المقصود بها:

قال تعالى: **{وَإِنْ كُنتُم فِي رَيبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ}** [البقرة:

---

(١) انظر ص ٥٦ من هذه الرسالة.

(٢) زمامة، وآخرون، معجم تفاسير القرآن الكريم ص ٢٨٨.

٢٣]. قال البيضاوي: «والحكمة في تقطيع القرآن سورًا: إفراد الأنواع، وتلاحق الأشكال، وتجاوب النظم، وتنشيط القارئ، وتسهيل الحفظ، والترغيب فيه».

قال الشهاب [1]: «قوله (والحكمة في تقطيع القرآن) أي: جعل القرآن سورًا مفصلة يشتمل على فوائد وحكم جليلة كما في سائر أفعاله:

من عرف الله أزال التهمة وقال كل فعله لحكمة

فمنها: إفراد الأنواع: أي جعل كل نوع منها على حدة، أو كل أنواع متناسبة في سورة مستقلة، وتلاحق الأشكال: المراد بالتلاحق - وهو تفاعل من اللحوق - الاتصال والمقاربة، والأشكال - بفتح الهمزة -: جمع شكل كضرب وهو ما يماثل الشيء، قال: تعالى: **{وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ}** [ص: ٥٨]، ويقال: الناس أشكال وآلاف كما قيل:

إن الطيور على أشباهها تقع

وتجاوب النظم: التئامه وائتلافه حتى كأن بعضه يجيب بعضًا منه، وهو استعارة حسنة، والترغيب فيه: لأنه إذا سهل حفظه يرغب فيه».

٢ - إذا كان كلام البيضاوي يحتمل أكثر من وجه فإنه يذكرها ويوضحها:

قال البيضاوي - في أثناء كلامه عن أسماء سورة الفاتحة -: «سورة فاتحة الكتاب: وتسمى أم القرآن؛ لأنها مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه».

قال الشهاب [2]: «واعلم أن في كلام المصنف هنا وجهين: أحدهما أن يكون قوله: (مفتتحه) بيانًا لوجه التسمية بفاتحة الكتاب، و (مبدؤه) لأم القرآن لفًا ونشرًا، وقوله: (فكأنها...إلخ) بيان لمشابهته للمعنى الأصلي للأم في المبتدئية حقيقة للمعنى العرفي وهو

---

(١) الحاشية (٣٤/٢) وانظر أمثلة أخرى (٦٧/١ و١٩٩/٢ و١٥٨/٣ و١٢١/٥ و٦/ ٣٨٧ و٧٥/٧ و٤٠٩/٨).

(٢) المصدر السابق (٢٠/١) وانظر أمثلة أخرى (٦٥/١ و١٣١/٥ و٦٤/٧ و٤٠٠/٨).

الوالدة فيما له زيادة خصوصية واشتهار به أعني المبتدئية والمنشئية ادّعاء دون المبتدئية الأولية، وكونه مفتتحًا غني عن البيان، والثاني أن يكون (مبدؤه) عطفًا تفسيريًّا، وهما علة لقوله: (أم القرآن)، وترك تسميتها بالفاتحة لظهوره».

٣ - التوضيح عن طريق تقدير كلمة أو إكمال الجملة:

مثال تقدير الكلمة: قوله تعالى: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ}** [الأنفال: ١]. قال البيضاوي: «وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر: أنها كيف تقسم؟ ومن يقسم: المهاجرون منهم أو الأنصار؟».

قال الشهاب [(١)]: «قوله: (المهاجرون منهم أو الأنصار) على تقدير الاستفهام؛ أي: أيقسمها المهاجرون أو الأنصار؟».

وأما مثال إكمال الجملة فهو قوله تعالى: **{إِنَّ إِلَهَكُم لَوَاحِدٌ}** [الصافات: ٤]. قال البيضاوي: «جواب القسم، والفائدة فيه تعظيم المقسم به، وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف في كلامهم».

قال الشهاب [(٢)]: «قوله: (على ما هو المألوف... إلخ) من تأكيد ما يهتم به بتقديم القسم ونحوه».

٤ - بيان المعنى اللغوي لكلمات الجملة أو بعضها [(٣)]:

قال تعالى: **{وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ}** [آل عمران: ١٤١]. قال البيضاوي: «ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب إن كانت الدولة عليهم **{وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ}** ويهلكهم إن كانت عليهم».

---

(١) المصدر السابق (٢٥١/٤) وانظر أمثلة أخرى (٢٠٠/١).

(٢) المصدر السابق (٢٥٩/٧) وانظر أمثلة أخرى (٢٦٢/٧).

(٣) انظر: النكلاوي، البيان عند الشهاب الخفاجي (١٩/١).

قال الشهاب (١): «قوله **(الدولة)** قال الراغب (٢): «بالفتح والضم بمعنى واحد، وقيل: هي بالضم في المال، وبالفتح في الحرب والجاه، وقيل: بالضم اسم الشيء المتداول، وبالفتح مصدر»».

وإذا كان للكلمة أكثر من معنى بين ذلك، وقد يحدد أيّ المعاني هو المراد، كما فعل في تعليقه على تعريف البيضاوي للسورة، قال البيضاوي: «والسورة: الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات».

قال الشهاب (٣): «الترجمة تكون بمعنى: نقل الكلام من لغة إلى أخرى والناقل ترجمان، وبمعنى: مطلق التبليغ... وبمعنى: التسمية، وهو المراد هنا؛ أي: المسماة والملقبة باسم مخصوص كسورة الفاتحة، أو مشترك كسورة الطلاق وحم».

٥ - بيان أصل الوضع اللغوي للكلمة ومعناها المجازي:

قال تعالى: **{مَالِكِ يَومِ الدِّينِ}** [الفاتحة: ٤]. قال البيضاوي: «**{مَالِكِ يَومِ الدِّينِ}** قرأه عاصم والكسائي ويعقوب، ويعضده قوله: **{يَومَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيئًا وَالأَمْرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ}** [الانفطار: ١٩] وقرأ الباقون: **{مَلِكِ}** وهو المختار».

قال الشهاب (٤): «ويعضده بمعنى: يؤيده ويقويه، يقال: عضده إذا صار له عضدًا؛ أي: مُعينًا وناصرًا، وأصل العضد في اليد: من المرفق إلى الكتف، فاستعير للمعنى المذكور».

---

(١) الحاشية (٦٦/٣) وانظر أمثلة أخرى (٥٥/١ و٤٦/٢ و٢٥٥/٣ و٣٥٦/٦ و٣٩٩/٨).

(٢) انظر: الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص١٩٥-١٩٦.

(٣) الحاشية (٣١/٢) وانظر أمثلة أخرى (٩٤/١ و٦٨/٢ و٣٦٤/٦).

(٤) المصدر السابق (٩٦/١) وانظر أمثلة أخرى (١٧٠/١ و٣٤/٢ و٣٨٧/٦).

٦ – ضبط الكلمة وبيان معناها:

قال تعالى: **{وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ}** [يوسف: ٦٧]. قال البيضاوي: «وللنفس آثار منها: العين، والذي يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في عوذته: «اللهم...»».

قال الشهاب [١]: «قوله (في عوذته) العوذة –بضم العين وبالذال المعجمة– كالرقية لفظًا ومعنى».

٧ – ذكر مفرد الكلمة أو جمعها:

قال تعالى: **{ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}** [البقرة: ٢].

قال البيضاوي: «واعلم أن الآية تحتمل أوجهًا من الإعراب».

قال الشهاب [٢]: «والأوجه: جمع وجه، ومعناه الحقيقي معروف».

٨ – بيان اللغات في الكلمة:

قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيهِم أَأَنْذَرْتَهُم أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُم لا يُؤمِنُونَ}** [البقرة: ٦]. قال البيضاوي: «وفائدتها – أي: (إن) – تأكيد النسبة وتحقيقها».

قال الشهاب [٣]: «حققت الأمر أحقه إذا تيقنته أو جعلته ثابتًا لازمًا، وفي لغة بني تميم: أحققته بالألف».

٩ – بيان الألفاظ المعربة:

قال تعالى: **{صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً}** [البقرة: ١٣٨]. قال البيضاوي:

---

(١) المصدر السابق (١٩٢/٥) وانظر أمثلة أخرى (١٢١/١ و٢١٦/٤ و٣٦٢/٦ و٢٧٤/٧).

(٢) المصدر السابق (١٩٩/١) وانظر أمثلة أخرى (١٧/١، ٧٩، ١٥٧).

(٣) المصدر السابق (٢٦١/١) وانظر أمثلة أخرى (١١٤/١، ٣٠١).

«وسماه صبغة – أي تطهير القلوب بالإيمان –؛ لأنه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ، وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب، أو للمشاكلة فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية. ويقولون هو تطهير لهم».

قال الشهاب [١]: «والمعمودية... معرّب (مغموذيا) –بالذال المعجمة–، ومعناه: الطهارة».

١٠ – بيان معنى الكلمة لغة واصطلاحًا:

قال تعالى: **{الم}** [البقرة: ١]. قال البيضاوي: «ولما كانت مسمياتها حروفًا وحدانًا، وهي مركبة، صدرت بها ليكون تأديتها بالمسمى أول ما يقرع السمع». قال الشهاب [٢]: «وأصل معنى التأدية: الإيصال؛ فأنها (تفعلة) من الأداء، قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُم أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}** [النساء: ٥٨] ومنه: (أداء الدين من الدين)، وفي عرف الفقهاء يكون بمعنى: إيقاع الفعل في وقته، ويقابله القضاء».

١١ – التنبيه إلى أن المصنف أراد المعنى اللغوي للكلمة لا الاصطلاحي:

قال تعالى: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** [الفاتحة: ٥]، قال البيضاوي: «والاستعانة: طلب المعونة».

قال الشهاب [٣]: «العون: الظهير على الأمر، والجمع أعوان، واستعان به فأعانه، وقد يتعدى بنفسه فيقال: استعانه، والاسم المعونة... والمراد بها المعنى اللغوي وهو الإعانة مطلقًا، لا ما اصطلح عليه أهل الكلام من أنه بمعنى: القدرة».

---

(١) المصدر السابق (٢٤٨/٢) وانظر أمثله أخرى (٩٠/١ و٣٤/٢).

(٢) المصدر السابق (٥٧/١) وانظر أمثلة أخرى (١/ ٢٠٤ و٢٧٢ و٤٧/٥).

(٣) الحاشية (١١٧/١) وانظر أمثلة أخرى (١٥٦/١، ٢٦١، ٣٢٥، و ٨٧/٢، ٨٩ و٣٠٦/٤).

١٢ – تعريف المصطلحات الواردة في كلام المصنف:

قال تعالى: {**لِإِيْلافِ قُرَيشٍ * إِيْلافِهِم رِحْلَةَ الشِّتَّاءِ وَالصَّيْفِ**} [قريش: ١ – ٢]. قال البيضاوي: «{**لإيلافِ قُرَيشٍ**} متعلق بقوله: {**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ**} [قريش: ٣]... أو بمحذوف مثل: (اعجبوا) أو بما قبله كالتضمين في الشعر».

قال الشهاب [(١)]: «التضمين في الشعر: هو أن يتعلق معنى البيت بما بعده، ويتوقف فهم معناه عليه».

١٣ – بيان المراد بمصطلح معين في كلام المصنف:

قال تعالى: {**الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ**} [الفاتحة: ٢]. قال البيضاوي: «وفيه – أي في توصيف الله برب العالمين كما يقول الشهاب [(٢)] –دليل على أن الممكنات كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة إلى المبقي حال بقائها».

قال الشهاب [(٣)]: «الدليل في كلامه ليس بمعنى البرهان القطعي، بل ما يقتضيه الفحوى، ويشهد به الذوق، والمصنف رحمه الله كثيرًا ما يريد به هذا».

١٤ – الكشف عما في كلام المصنف من نكات بلاغية:

وقد تكرر هذا كثيرًا في «الحاشية» وسأكتفي بمثال واحد على كل قسم من أقسام البلاغة:

أ– علم المعاني:

قال البيضاوي: «{**الم**} وسائر الألفاظ التي يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم... وبه صرح الخليل وأبو علي[(٤)]».

---

(١) المصدر السابق (٨/٤٠٠) وانظر أمثلة أخرى (١/١٢٧ و٨/٢٤٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/٩٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/٩٦) وانظر أمثلة أخرى (١/١٩٣و ٦/٤٣٣ و٨/ ٤٠٥).

(٤) أي: أبو علي الفارسي في كتاب «الحجة للقراء السبعة»، كما ذكر الشهاب. انظر: المصدر السابق (١/١٥٥).

قال الشهاب[١]: «وتقديم قوله: (به) للاهتمام، لا للحصر وإن صح».

ب- علم البيان:

قال تعالى: **{كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ}** [البقرة: ٢٥]. قال البيضاوي: «صفة ثانية لجنات، أوخبر مبتدأ محذوف، أو جملة مستأنفة كأنه لما قيل: إن لهم جنات وقع في خلد السامع أثمارها مثل ثمار الدنيا، أو أجناس أخر؟ فأزيح بذلك». قال الشهاب [٢]: «في قوله: (وقع... إلخ) استعارة تبعية أو مكنية، كأنه جعل ما خطر للسامع من التردد مما يقع في الدار الدنيا من الغبار ونحوه، كما يقال – لما لا شبهة فيه –: لا غبار عليه».

ج- علم البديع:

قال تعالى: **{لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}** [الإخلاص: ٣]. قال البيضاوي: «**{لَمْ يَلِدْ}** لأنه لم يجانس ولم يفتقر إلى ما يعينه أو يخلف عنه؛ لامتناع الحاجة والفناء عليه».

قال الشهاب [٣]: «يجانس: فعل مجهول أو معلوم يعني: نفي الولد؛ لأنه من جنس أبيه، ولا يجانسه أحد؛ لأنه تعالى واجب وغيره ممكن، ولان الولد يطلب إما لإعانة والده أو ليخلفه بعده وهو لا يفنى وغير محتاج إلى شيء منهما كما نبه عليه بقوله (لامتناع الحاجة... إلخ) على طريق اللف والنشر».

١٥ – إعراب كلام المصنف:

قد يختار الشهاب كلمة أو تركيبًا في الجملة التي يشرحها فيعربه، وإذا كانت هذه الكلمة تحتمل غير وجه إعرابي بين ذلك.

---

(١) المصدر السابق (١/١٥٥) وانظر أمثلة أخرى (٧/٢٦٠ و٨/٣٩٩).

(٢) المصدر السابق (٢/٦٨) وانظر أمثلة أخرى (١/٢٠٣ و٢/٣٣ و٦/٥٥ و٧/٢٦٩).

(٣) المصدر السابق (٨/٤١٣) وانظر أمثلة أخرى (١/١٣٥ و٤/٢٥١ ٥/١١٦ و٦/٢٥١ و٨/٣٩٢).

قال تعالى: {**قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي**} [الأعراف: ١٥٠]. قال البيضاوي: «إزاحة لتوهم التقصير في حقه، والمعنى: بذلت وسعى في كفّهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي».

قال الشهاب (١): «قوله (إزاحة لتوهم التقصير) بالنصب مفعول له؛ أي: قاله لذلك، أو بالرفع خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا إزاحة؛ أي: إزالة».

١٦ - استخراج ما في كلام البيضاوي من فوائد ولطائف:

كثيرًا ما يأخذ الشهاب كلمة أو جملة قالها البيضاوي، فيعلق عليها ويبين ما فيها من لطائف، كما هو الحال في قول البيضاوي: «فلو كان - أي القرآن - من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيه».

قال الشهاب (٢): «قوله (عن آخرهم) هذه عبارة مشهورة مسموعة من العرب قديمًا؛ أي: عبارة عن الاستيعاب والشمول، وقال العلامة(٣): هو أبلغ من (جميعهم) لأن (عن) للمجاوزة، فالمراد: عجزوا عجزًا متجاوزًا عن آخرهم، وإذا تجاوز العجز عن آخرهم شملهم كلهم أولاً وتجاوز عنهم ثانيًا، فهو أبلغ من (عجزوا جميعًا)».

مثال آخر تعليقه على كلام البيضاوي وهو يفسر قوله تعالى: {**وَلَا الضَّالِّينَ**} [الفاتحة: ٧]. قال البيضاوي: «وقرئ {**وَلَا الضَّأْلِينَ**} بالهمز على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين».

قال الشهاب (٤): «قوله: (من جد) أي: اجتهد وبالغ، والهرب من التقاء الساكنين؛ لأن

---

(١) المصدر السابق (٢٢١/٤) وانظر أمثلة أخرى (١٩٩/١ و٣٨/٢ و٧٤/٦ و٣٤٥/٧).

(٢) المصدر السابق (١٦٠/١) وانظر أمثلة أخرى (٣٦٩/١و ١٨٧/٣و ٢٨٤/٤و ٣٩٠/٦و ١٩٩/٧).

(٣) انظر: الشريف الجرجاني، حاشية السيد الشريف على الكشاف (١/ ٩٦).

(٤) الحاشية (١٤٧/١).

التقاءهما إذا كان أولهما حرف لين والثاني مدغمًا مغتفر، ومن ترك الجائز فقد بالغ في الترك، والهرب مجاز عن الترك هنا».

وهناك بعض الظواهر التي تتعلق بمنهجه في شرح كلام البيضاوي لا تندرج تحت أيٍّ من العناوين السابقة وهي:

١٧ - اختيار قول للمصنف يوهم خلاف المقصود ويؤدي إلى اللبس؛ فيكشف عن ذلك، ويوضح مراد المصنف:

قال تعالى: **{فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا}** [العاديات: ٤ - ٥]. قال البيضاوي: «فتوسطن بذلك الوقت، أو بالعدو، أو بالنقع؛ أي: ملتبسات به **{جَمْعًا}** من جموع الأعداء».

قال الشهاب [1]: «قوله: (بذلك الوقت) إشارة إلى أن الضمير للصبح... أو هو للنقع، والباء للملابسة؛ أي: توسطن الجمع ملتبسًا به... فقول المصنف: (ملتبسات به) راجع للأخير، لا للجميع على البدل كما تُوهم».

١٨ - بيان أن المصنف يشير إلى شيء ما بدون أن يصرح بذلك:

قال تعالى: **{فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنتُم صَادِقِينَ}** [البقرة: ٣١]. قال البيضاوي: «تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة».

قال الشهاب [2]: «إشارة إلى أن الأمر هنا تعجيزي».

١٩ - الإشارة إلى أن المصنف شرع في الحديث عن موضوع معين:

قال تعالى: **{وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَي النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيلِ}** [هود: ١١٤]. قال البيضاوي: «**{وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَي النَّهَارِ}** غدوة وعشية، وانتصابه -أي (طرفي)- على الظرف لأنه

---

(١) المصدر السابق (٣٩١/٨) وانظر أمثلة أخرى (٢٠٤/١ و٢٥٤/٤ و٦٧/٥ و٤١٤/٨).

(٢) المصدر السابق (١٢٦/٢) وانظر أمثلة أخرى (٤٣/١ و٢٦٩/٧ و٣٩٨/٨).

مضاف إليه. **{وَزُلَفًا مِنَ اللَّيلِ}** وساعات منه قريبة من النهار، فإنه من: أزلفه إذا مرَّ به، وهو جمع زلفة. وصلاة الغداة: صلاة الصبح؛ لأنها أقرب الصلاة من أول النهار، وصلاة العشية: العصر، وقيل: الظهر والعصر؛ لأن ما بعد الزوال عشي، وصلاة الزلف: المغرب والعشاء».

قال الشهاب [(١)]: «قوله (وصلاة الغداة: صلاة الصبح؛ لأنها... إلخ) شروع في تفسير الصلاة في الطرفين والزلف...».

٢٠ - بيان أن كلام المصنف جواب لسؤال مقدر، وتقدير هذا السؤال:

قال تعالى: **{وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُم}** [البقرة: ٢٢]. قال البيضاوي: «وإنما ساغ الثمرات، والموضع موضع الكثرة لأنه أراد بالثمرات: جماعة الثمرة التي في قولك: أدركت ثمرة بستانه».

قال الشهاب [(٢)]: «هذا جواب سؤال تقديره: إن جمع السلامة المذكر والمؤنث للقلة، والمعنى هنا ليس عليها، فلم لم يقل: الثمار أو الثمر؟».

٢١ - بيان أن كلام المصنف رد على عالم آخر أو جماعة أو قول أو شُبهة.

قال تعالى: **{طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ}** [الصافات: ٦٥]. قال البيضاوي: «في تناهي القبح والهول، وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك».

قال الشهاب [(٣)]: «قوله (وهو تشبيه بالمتخيل... إلخ) رد على بعض الملاحدة إذ طعن فيه بأنه تشبيه بما لا يعرف».

---

(١) المصدر السابق (١٤٥/٥) وانظر أمثلة أخرى (١٥٩/١ و٣٥/٢).

(٢) المصدر السابق (٢٠/٢) وانظر أمثلة أخرى (١٨٥/١ و٢٥٧/٤ و٣٧/٧).

(٣) المصدر السابق (٢٧٣/٧) وانظر أمثلة أخرى (٢٦١/١ و١٩٧/٢ و١٦١/٣ و١٣٥/٤و ٢١٠/٦).

ثانيًا: ربط كلام المصنف بعضه ببعض:

كان الشهاب يربط بين كلام البيضاوي في مواضع مختلفة من «تفسيره»، ويتخذ هذا الربط الأشكال التالية:

١ - مقارنة كلامه في مواضع مختلفة من «التفسير»:

والهدف من هذه المقارنة أمران اثنان:

أ - إزالة التعارض الظاهري: فقد يذكر البيضاوي كلامًا - في «تفسيره» - يبدو متناقضًا مع كلام قاله في موضع آخر، فيجمع الشهاب بين كلامه ويزيل هذا التعارض.

قال تعالى: **{فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا}** [الكهف: ٦١]. قال البيضاوي: «فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكًا، من قوله: **{وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ}** [الرعد: ١٠]».

قال الشهاب [1]: «قوله (من قوله: **{وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ}**) قيل: السرب أصله ما يسلك فيه كالحجر، فأريد به هنا المسلك؛ أي: الطريق -كما ذكره-، إلا أن الآية المذكورة بمعزل عنه، فإن السارب فيه بمعنى: الظاهر، بدليل مقابلته بقوله: **{مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ}** [الرعد: ١٠]، وقد فسره المصنف به هناك من غير ذكر معنى آخر له، فكلامه هنا مخالف له».

ويرد الشهاب هذا الاعتراض بقوله: «ولا يخفى أن الذهاب في الأرض يلزمه البروز والظهور، فجعل ثمة كناية عنه بقرينة المقابلة، فالتنظير به هنا باعتبار معناه الحقيقي، وما ذكره بيان للمراد منه، فلا مخالفة بينهما».

ب - الكشف عن تناقض المصنف:

---

(١) الحاشية (١١٧/٦) وانظر أمثلة أخرى (١٠٢/١ و١٣٢/٥-١٣٣و ٤١٥/٨).

قال تعالى: **{وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُم قِبْلَةً}** [يونس: ٨٧]. قال البيضاوي: «مصلى، وقيل: مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة، وكان موسى × يصلي إليها».

قال الشهاب [١]: «هذا لا يوافق ما مر في البقرة في تفسير قوله تعالى: **{وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ}** [البقرة: ١٤٥] من أن اليهود تستقبل الصخرة، والنصارى مطلع الشمس[٢]».

٢ – توثيق إشارات المصنف:

قد يتناول البيضاوي قضية ما بشكل مجمل، ويشير إلى أنه قد فصل القول فيها في موضع آخر، فيبين الشهاب ذلك الموضع، كما في المثال التالي.

قال تعالى: **{غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيهِم}** [الفاتحة: ٧]. قال البيضاوي: «والغضب ثوران النفس إرادة الانتقام، فإذا أسند إلى الله تعالى أريد به المنتهى والغاية على ما مر».

قال الشهاب [٣]: «قوله: (على ما مر) أي: في أسمائه تعالى[٤]».

٣ – الإشارة إلى دأب المصنف على شيء ما:

وهذا العمل يفيد في معرفة الظواهر التي تتكرر في الكتاب المشروح، وبالتالي الكشف عن المنهج الذي سار عليه المصنف في كتابه.

قال تعالى: **{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}** [الفرقان: ٢٣]. قال البيضاوي: «أي: وعمدنا إلى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم وإغاثة الملهوف فأحبطناه».

---

(١) المصدر السابق (٥/٥٥) وانظر أمثلة أخرى (١/٢٨و٤/٣٨٤ و ٧/٤٠ و٨/٣٥٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/٢٥٤) الهامش.

(٣) المصدر السابق (١/١٤٢) وانظر أمثلة أخرى (١/٩٦ و٥/٢٠٠).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/٦٥) الهامش.

قال الشهاب [١]: «هذا التفسير منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في «شرح الكشاف»، فلهذا ابتدأ به؛ أي: كما هو دأبه في تقديم المأثور».

وربما يُضَمُّ إلى هذه النقطة ما جاء في بعض المواضع من «الحاشية» من إشارات إلى المصادر التي اعتمد عليها البيضاوي في «تفسيره»[٢]، فمرة ذكر اختلاف الشراح في كلام قاله صاحب «الكشاف» «هل هو بعينه ما ذكره المصنف رحمه الله – أي البيضاوي – على أنه تلخيص له كما هو دأبه أو لا»[٣]، وأشار في موضع آخر إلى أن الراغب «هو قدوة المصنف في اللغة»[٤]، وأما في القراءات فقد اعتمد البيضاوي على كتاب «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي»[٥].

٤ – العطف:

فقد يذكر الشهاب كلمة أو بعض جملة من كلام البيضاوي ليبين أنها معطوفة على ما قبلها، وتظهر فائدة هذا الأمر إذا طال الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه؛ كما في المثال التالي:

قال تعالى: **{وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُم فِي يُوسُفَ}** [يوسف: ٨٠]. قال البيضاوي: «قصرتم في شأنه، و **{ما}** مزيدة، ويجوز أن تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول **{تعلموا}**، ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف، أو على اسم أن وخبره **{في**

---

(١) المصدر السابق (٤١٨/٦) وانظر أمثلة أخرى (١٣٣/١، ٢٣٦ و ٢٧٩/٥ و٧/ ١١٩، ٢٦٨).

(٢) ذكرنا أثناء تعريفنا «بتفسير البيضاوي» اعتماده على الزمخشري والرازي والراغب. انظر ص ٩ – ١٠ من هذه الرسالة. وقد ذكر الشهاب ذلك أثناء شرحه لمقدمة «البيضاوي». انظر «الحاشية» (١٧/١).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٢)، وفي هذا إشارة إلى أن «تفسير البيضاوي» تلخيص لـــ «الكشاف».

(٤) المصدر السابق (٦/ ٧٦). وانظر (١/ ٢٦٦ و٢/ ١٩٠–١٩١).

(٥) المصدر السابق (٧/ ٢).

يوسف} أو **{من قبل}**، أو الرفع بالابتداء والخبر **{من قبل}** وفيه نظر؛ لأن (قبل) إذا كان خبرًا أو صلة لا يقطع عن الإضافة حتى لا ينقص، وأن تكون موصولة؛ أي: ما فرطتموه بمعنى: ما قدمتموه في حقه من الخيانة».

قال الشهاب [١]: «قوله: (وأن تكون موصولة) معطوف على (أن تكون مصدرية) ».

٥ – بيان عود الضمائر:

قال تعالى: **{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيْلِ}** [الفيل: ١]. قال البيضاوي: «الخطاب للرسول × وهو وإن لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها، وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها، وإنما قال: **{كَيْفَ}** ولم يقل: (ما)؛ لأن المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام فإنها من الإرهاصات».

قال الشهاب[٢]: «قوله: (فإنها من الإرهاصات) الضمير للوقعة».

٦ – الكشف عن تعلق الحروف في كلام المصنف:

قال البيضاوي – في مقدمة «تفسيره» –: «فتحدى بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرًا».

قال الشهاب [٣]: «قوله (فلم يجد به قديرًا)... والباء متعلقة بقدير».

٧ – بيان أن الجملة مفسرة ومبينة لإجمال ما قبلها:

قال تعالى: **{كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكِ بِالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ المؤمِنِينَ لَكَارِهُونَ}**

---

(١) المصدر السابق (٢٠٠/٥) وانظر أمثلة أخرى (١٦١/١ و٧٤/٦ و١٧٦/٧و ٢٧١/٨).

(٢) المصدر السابق (٣٩٨/٨) وانظر أمثلة أخرى (٢٠٠/١ و١٦٣/٣ و٢٦٦/٧).

(٣) المصدر السابق (٦/١) وانظر أمثلة أخرى (٤٧/١ و١٦٤/٨).

[الأنفال: ٥]. قال البيضاوي: «{**وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ المؤمِنِينَ لَكَارِهُونَ**} في موقع الحال؛ أي: أخرجك في حال كراهتهم، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشأم.. إلخ».

قال الشهاب [١]: «قوله (وذلك أن عير قريش... إلخ) هذه الجملة مبينة لما قبلها».

٨ – بيان أن الجملة تعليل لما قبلها:

قال تعالى: {**وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ**} [الكهف: ٤ – ٥]. قال البيضاوي: «أي بالولد أو باتخاذه أو بالقول، والمعنى: أنهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب أو تقليد لما سمعوه من أوائلهم من غير علم بالمعنى الذي أرادوا به، فإنهم كانوا يطلقون الأب والابن بمعنى المؤثر والأثر، أو بالله؛ إذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ إليه».

قال الشهاب [٢]: «قوله (إذا لو علموه.. إلخ) تعليل للأخير أو للجميع.

ثالثًا التعليل:

١ – تعليل تبني المصنف وترجيحه لأحد الأقوال أو تمريضه وتضعيفه له:

مثال الترجيح: قال تعالى: {**فَجَعَلَهُم جُذَاذًا إلاَّ كَبِيرًا لَهُم لَعَلَّهُم إِلَيهِ يَرْجِعُونَ**} [الأنبياء: ٥٨]. قال البيضاوي: «{**إلاَّ كَبِيرًا لَهُم**} للأصنام كسر غيره واستبقاه، وجعل الفأس على عنقه».

قال الشهاب [٣]: «قوله: (للأصنام) وضمير العقلاء على زعمهم، وقيل إن الضمير للعبدة، واختار المصنف رحمه الله هذا لموافقته لقوله: {**فَعَلَهُ كَبِيرُهُم**} [الأنبياء: ٦٣]».

---

(١) المصدر السابق (٢٥٣/٤) وانظر أمثلة أخرى (١٥٩/١ و٧٩/٧ و١٦٤/٨).

(٢) المصدر السابق (٧٤/٦) وانظر أمثلة أخرى (١٥٨/١ و٦٧/٧ و٣٩٠/٨).

(٣) المصدر السابق (٢٥٩/٦) وانظر أمثله أخرى (٨٤/١ و١٣٢/٢ و٤٥٤/٧).

مثال التضعيف: قال تعالى: **{فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِنْهَا بِقَبَسٍ}** [طه: ١٠]. قال البيضاوي: «بشعلة من النار، وقيل: جمرة».

قال الشهاب [(١)]: والقبس معناه الشعلة عند أهل اللغة: فعل بمعنى مفعول؛ ولذا مرض تفسيره بجمرة، ويشهد له قوله تعالى: **{بِشِهَابٍ قَبَسٍ}** [النمل: ٧] أي شعلة ساطعة تقتبس من نار».

٢ – تعليل ذكر المصنف لشيء ما أو تركه له:

ومن الأمثلة على ذكره لشيء ما: قال تعالى: **{ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ}** [يوسف: ٤٩]. قال البيضاوي: «ولعله علم ذلك بالوحي، أو بأن انتهاء الجدب بالخصب، أو بأن السنة الإلهية على أن يوسع على عباده بعدما ضيق عليهم».

قال الشهاب [(٢)]: «قوله: (ولعله علم ذلك بالوحي) إنما ذكر هذا لأن الرؤيا تدل على سبع مخصبة، وسبع مجدبة، ولا دلالة فيها على العام الثامن».

وأما مثال ترك ذكره لشيء ما فهو: قوله تعالى: **{وَالعَادِيَاتِ ضَبْحًا}** [العاديات: ١] حيث علل الشهاب ترك المصنف تفسير علي رضي الله عنه للعاديات بأنها: إبل الحجاج[(٣)]، بقوله [(٤)]: «لكنه لبعده عن اللفظ لم يذكره المصنف».

٣ – تعليل تقديم المصنف لأحد الأقوال أو تأخيره له:

---

(١) المصدر السابق (١٩٢/٦) وانظر أمثلة أخرى (١٨٩/١ و٤٦/٢ و٧٩/٦ و٤٠٦/٨).

(٢) المصدر السابق (١٨٥/٥) وانظر أمثلة أخرى (٩٣/١ و٨٥/٢ و٢٦٨/٧ و٣٩٢/٨).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣٧٧٨١) والحاكم في «مستدركه» (١٠٥/٢) عن ابن عباس موقوفًا، وصححه الحاكم، وقال الذهبي: لا والله، ولا ذكر لأبي معاوية في الكتب الستة، ولا احتج البخاري بأبي صخر، والخبر منكر.

(٤) الحاشية (٨/ ٣٩١) وانظر أمثلة أخرى (١/ ١٨٥ و٤/ ٢٥١).

مثال التقديم: قال تعالى: **{وَادْعُو شُهَدَاءَكُم مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُم صَادِقِينَ}** [البقرة: ٢٣]. قال البيضاوي: «والمعنى: وادعو إلى المعارضة من حضركم» ثم ذكر وجوهًا أخرى في تفسير هذه الآية.

قال الشهاب [١]: «قوله: (والمعنى: وادعو إلى المعارضة... إلخ) هذا آخر الوجوه في «الكشاف»، وهو أرجحها؛ ولذا قدمه المصنف رحمه الله».

مثال التأخير: قال تعالى: **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ}** [الأعراف: ٩٦]. قال البيضاوي: «يعني: القرى المدلول عليها بقوله: **{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ...}** [الأعراف: ٩٤] وقيل: مكة وما حولها».

قال الشهاب [٢]: «ولما كانت إرادة مكة غير ظاهرة من السياق أخره المصنف رحمه الله تعالى».

٤ – تعليل عدول المصنف عن عبارة غيره من العلماء:

قال تعالى: **{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}** [البقرة: ٢٥]. قال البيضاوي: «والصالحات جمع صالحة... وهي من الأعمال ما سوغه الشرع وحسنه».

قال الشهاب [٣]: «وعدل عن قول الزمخشري: «الصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة [٤]»؛ لابتنائه على الاعتزال في الحسن والقبح العقليين كما لا

---

(١) المصدر السابق (٤٤/٢) وانظر أمثلة أخرى (١٣٨/١ و٦٣/٦ و٣٩١/٨).

(٢) المصدر السابق (٤/ ١٩٥) وانظر أمثلة أخرى (١/ ٦٣ و٢/ ٤٠ و٨/ ٤١٦).

(٣) المصدر السابق (٦٢/٢) وانظر أمثلة أخرى (٢٦٢/١ و١٩٦/٣ و٣١٩/٦).

(٤) انظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، (١٣٤/١).

يخفى؛ ولذا خصه بالشرح».

رابعًا: المقارنة بين كلام البيضاوي وغيره من العلماء:

على الرغم من أن الشهاب في «حاشيته» يشرح «أنوار التنزيل»، إلا أنه لم يقف موقفًا متحيزًا للبيضاوي؛ إذ استفاد من أراء العلماء الآخرين - وخاصة الزمخشري -، وقارن بين هذه الآراء وما ذكره البيضاوي وقد كان الشهاب يعقد هذه المقارنات لعدة أهداف:

١ - بيان أن البيضاوي تبع في قوله عالمًا آخر [١]:

قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**} [المائدة: ٥٤]. قال البيضاوي: «ومحبة الله تعالى للعباد: إرادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا، وحسن الثواب في الآخرة، ومحبة العباد له: إرادة طاعته، والتحرز من معاصيه».

قال الشهاب [٢]: «تبع في هذا الزمخشري [٣] إذ أنكر كون محبة العباد لله حقيقية بل هي مجازية من باب إطلاق السبب على المسبب؛ إذا لا تتصور المحبة الحقيقية هنا».

٢ - بيان الاختلاف بين كلام المصنف وكلام غيره:

وفي هذه الحالة:

أ - إما أن يرجح كلام البيضاوي.

قال تعالى: {**فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ**}

---

(١) ذكرت أثناء التعريف بالحواشي والتعليقات التي كتبت على «البيضاوي» أن هناك تعليقة لمحمد بن يوسف الشامي بعنوان «الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف». انظر ص من هذه الرسالة.

(٢) الحاشية (٢٥٥/٣) وانظر أمثلة أخرى (١٩٦/١و٢٦٢/٣ و١٩٤/٥ و٦/٤).

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف (٦٧٩/١).

[المائدة: ٣١]. قال البيضاوي: «والمراد بسوأة أخيه: جسده الميت؛ فإنه مما يستقبح أن يرى».

قال الشهاب[١]: «وقوله: (يستقبح... إلخ) بيان لوجه كونها سوأة، وفسر السوأة بجسد الميت –وهو المراد–، والزمخشري فسرها بالعورة[٢]، وما فعله المصنف رحمه الله أولى».

ب – وإما أن يرجح كلام غيره.

قال تعالى: {**وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ**} [الصافات: ١٣]. قال البيضاوي: «وإذا وعظوا بشيء لا يتعظون به».

قال الشهاب [٣]: «في «الكشاف»: «ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء لا يتعظون به»[٤]، وهو أنسب وأبلغ مما ذكره المصنف، فقيل إنه أخذ الاستمرار من (**إذا**)؛ لأن الأصل فيها القطع، والقطع إنما يحصل بالمشاهدة قبل الاختيار مرارًا عدة، أو من عطف المضارع على الماضي كما في: {**وَيَسْخَرُونَ**} [الصافات: ١٢] أيضًا».

ج – وربما ذكر الآراء فقط بدون ترجيح:

قال تعالى: {**قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُم فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُم جَزَاءً مَوْفُورًا**} [الإسراء: ٦٣]. قال البيضاوي: «{**فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُم فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُم**} جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز أن يكون الخطاب للتابعين على الالتفات».

---

(١) الحاشية (٣/ ٢٣٦) وانظر أمثلة أخرى (١/ ١٨٧ و٢/ ٥ و٧/ ٣٦).

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف (١/ ٦٦٠).

(٣) المصدر السابق (٧/٢٦٤) وانظر أمثلة أخرى (١/ ١٨٢ و٢/٢٥ و٥/٣٠١-٣٠٢ و٧/٢٥ و٨/١٨٤).

(٤) انظر: الزمخشري، الكشاف (٤/٤١).

قال الشهاب [١]: «قوله (ويجوز أن يكون الخطاب للتابعين)، وقال ابن هشام في «تذكرته»: «عندي أنه فاسد لخلو الجواب أو الخبر عن الرابط؛ لأن الضمير ليس عائدًا على لفظه، إنما هو مفسر بالحضور».

٣ - إزالة ما توهمه البعض من وجود اختلاف بين كلام البيضاوي وكلام غيره:

قال تعالى: **{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}** [البقرة: ٢٥]. قال البيضاوي: «والبشارة: الخبر السار فإنه يظهر أثر السرور في البشرة».

قال الشهاب [٢]: «قيل عليه إنه غيّر عبارة «الكشاف» وهي [٣]: «البشارة: الإخبار بما يظهر سرور المخبر به»، ولم يصب فيه؛ لأن كون المخبر به غافلاً عما أخبر به معتبر في مفهومها، وهو يفهم من عبارته دون عبارة المصنف... إلخ»، ويرد الشهاب على هذا الكلام بقوله: «أقول: لا فرق بين كلام المصنف والزمخشري، وكل منهما يدل على عدم علمه بما أخبر به التزاماً؛ لأن العاقل لا يطلب الإخبار بما علمه وتحققه».

٤ - بيان ما زاده المصنف على غيره أثناء تناوله لقضية ما أو العكس:

من الأمثلة على ما زاده على غيره: قال تعالى: **{الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَومِ الدِّينِ}** [الفاتحة: ٢ - ٤]. قال البيضاوي: «وإجراء هذه الأوصاف على الله تعالى من كونه: ربًّا للعالمين موجدًا لهم منعمًا عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها، مالكًا لأمورهم يوم الثواب والعقاب؛ للدلالة على أنه الحقيق بالحمد... وللإشعار من

---

(١) الحاشية (٦/ ٤٦) وانظر أمثلة أخرى (١/ ١١٤ و٢/ ٤٢ و٥/ ١١٦ و٧/ ٤٣).

(٢) الحاشية (٢/ ٦٠) وانظر أمثلة أخرى (١/ ٢٧٥ و٢/ ١٧٠ و٧/ ٣٧).

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف (١/١٣٢).

طريق المفهوم على أن من لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لأن يحمد، فضلاً عن أن يعبد ليكون دليلاً على ما بعده».

قال الشهاب [١]: «وهذا مما زاده المصنف رحمه الله على «الكشاف»». أراد الشهاب رحمه الله أن الزمخشري ذكر أن هذه الأوصاف التي أجريت على الله تعالى في الآيات تدل على أنه المستحق للحكم السابق وهو الحمد [٢]، لكن البيضاوي زاد على «الكشاف» بأن هذه الأوصاف دليل أيضًا على الحكم اللاحق – المذكور في قوله تعالى: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** [الفاتحة: ٥] – وهو اختصاصه تعالى بالعبادة والاستعانة.

ومن الأمثلة على ما زاده غيره: قال تعالى: **{أُولَئِكَ لَهُم رِزْقٌ مَعْلُومٌ}** [الصافات: ٤١]. قال البيضاوي: «خصائصه من الدوام أو تمحض اللذة».

قال الشهاب[٣]: «وقد ذكر فيه في «الكشاف»[٤] وغيره وجوهًا أخر، ككونه معلوم الوقت؛ لقوله: **{بُكْرَةً وَعَشِيًّا}** [مريم: ٦٢]».

٥ – تعليل عدول المصنف عن عبارة غيره:

فقد يعقد الشهاب مقارنة بين كلام البيضاوي وكلام عالم آخر سبقه، ليبين سبب عدوله عن عبارته، ولماذا غير أو زاد أو حذف في كلامه، وقد ذكرت مثالاً على ذلك في النقطة السابقة[٥] فلا داعي للتكرار.

---

(١) الحاشية (١/ ١٠٩) وانظر أمثلة أخرى (١/ ٢٧٥ و٢/ ١٧٠ و٧/ ٣٧).

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف (١/٥٥).

(٣) الحاشية (٧/٢٦٩) وانظر أمثلة أخرى (١/١٨٣).

(٤) انظر: الزمخشري، الكشاف (٤/٤٤).

(٥) انظر ص ١١١ من هذه الرسالة.

خامسًا: الاعتراضات:

لم ينهج الشهاب في «حاشيته على البيضاوي» منهج الشارح فقط، بل كان ناقدًا لما يذكره البيضاوي من آراء، وذلك بإثارة الاعتراضات حول بعض المسائل التي ضمها «أنوار التنزيل»، ثم يعمد إلى ترجيح ما يراه صوابًا.

وهذه الاعتراضات يمكن تقسيمها إلى قسمين:

١ – اعتراضات أوردها بعض العلماء على كلام البيضاوي، وفي هذه الحالة يكون موقف الشهاب كما يلي:

أ – ذكر الاعتراض وتأييده وبيان وجه الصحة في الاعتراض [(١)]:

قال تعالى: **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ}** [هود: ٩٦ – ٩٧]. قال البيضاوي: «**{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا}** بالتوراة أو المعجزات».

قال الشهاب [(٢)]: «وقد اعترض على الوجه الأول بأن التوراة أنزلت بعد هلاك فرعون وملئه... وقد قيل في دفعه: إنه يمكن تصحيحه أما –أولاً– فبما صرحوا به من جواز إرجاع الضمير وتعلق الجار والمجرور ونحوه بالمطلق الذي في ضمن المقيد، فقوله: **{إِلَى فِرْعَوْنَ}** يجوز أن يتعلق بالإرسال المطلق لا المقيد بكونه التوراة، وأما –ثانيًا– فلأن موسى عليه الصلاة والسلام كما أرسل إلى الفراعنة أرسل إلى بني اسرائيل، فيجب أن يحمل ملأ فرعون على ما يشملهم فيجيء الكلام على التوزيع على معنى: أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين، وإلى ملئه بالتوراة، فيكون لفًا ونشرًا غير مرتب. قلت – أي الشهاب –: هذا عذر أقبح من الذنب، ومثل هذه التعسفات مما ينزه عنه ساحة التنزيل، وشمول الملأ لبني إسرائيل مما لا

---

(١) انظر: النكلاوي، البيان عند الشهاب الخفاجي (١٩/١).

(٢) الحاشية (١٣٣/٥) وانظر أمثلة أخرى (٣٢١/٢ و٢٢/٦).

يمكن هنا مع الإضافة إليه وجعلهم من أهل النار».

ب – إذا كان الاعتراض لا أساس له انتقده وأبطله مبينا وجه البطلان [١]:

قال تعالى: {وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيهِ مِنَ التَّوْرَاةِ} [المائدة: ٤٦]. قال البيضاوي: «{بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} مفعول ثان عدي إليه الفعل بالباء».

قال الشهاب [٢]: «قيل عليه: هذا وإن كان صحيحًا من حيث إن (فعّل) قد جاء بمعنى (فعل) المجرد كقدّر وقدر، إلا أن بعضهم قال: إن تعدية المتعدي إلى واحد لثان بالباء لا تجوز سواء أكان بالهمزة أو بالتضعيف. ورُدَّ بأن الصواب أنَّه جائز لكنه قليل، وقد جاء منه ألفاظ قالوا: صك الحجر والحجر، وصككت الحجر بالحجر، ودفع زيد عمرًا ودفعت زيدًا بعمرو؛ أي: جعلته دافعًا له».

٢ – **اعتراضات أوردها الشهاب ابتداءً ولم ينقلها عن غيره**، فيورد قول المصنف ويعترض عليه مؤيدًا اعتراضه ووجهة نظره بالأدلة:

قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيْمَانَكُم إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ١٤٣] قال البيضاوي: «ولعله قدم الرؤوف وهو أبلغ محافظة على الفواصل».

قال الشهاب [٣]: «قوله: (وهو أبلغ) هو بناء على تفسير الرأفة بأشد الرحمة، وحينئذ المناسب: رحيم رؤوف، وفيه نظر من وجهين: الأول: أن فواصل القرآن لا يلاحظ فيها الحرف الأخير كالسجع كما هنا في {رحيم} و{تعملون}[٤] [البقرة: ١٤٤] فذلك حاصل على

---

(١) انظر: النكلاوي، البيان عند الشهاب الخفاجي (١٩/١).

(٢) الحاشية (٢٤٩/٣) وانظر أمثلة أخرى (٢٦١/١ و١٩٦/٢ و٢٣٩/٣ و٩١/٤ و٧٨/٥ و٣٥/٦).

(٣) المصدر السابق (٢٥٢/٢–٢٥٣) وانظر أمثلة أخرى (٢١١/١و ١١٩/٢ و٢٥٤/٣ و٩٠/٤ و٢١١/٥).

(٤) هذه قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر وروح والأعمش، وقرأ الباقون: {يعملون} بالياء، وهي المثبتة في المصحف. انظر: عمر، أحمد مختار، ومكرم، عبد العال سالم، معجم القراءات القرآنية، عالم الكتب، د.ت (٢٦٨/١).

كل حال. الثاني: أن الرأفة حيث وردت في القرآن قدمت ولو في غير الفواصل كما في قوله تعالى: **{رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا}** [الحديد: ٢٧] في وسط الآية، والذي غره كلام الجوهري[١]، وهو عندي ليس بصواب؛ فإن الرأفة معناها: الشفقة واللطف، والرحمة: الإنعام، ورتبتها التقديم، كما قيل: الإيناس قبل الأساس، وعليه استعمال العرب، قال قيس الرقيات:

ملكه ملك رأفة ليس فيه   جبروت منه ولا كبرياء

فانظره كيف أوضح معناها بالتقابل، ومثله كثير في كلام العرب».

ولا يعني اعتراض الشهاب على بعض آراء البيضاوي عدم تقديره له واحترامه لعلمه، بل على العكس من ذلك، فقد أقره في كثير من المواضع، بل دافع عنه ورجح رأيه – كما رأينا في بعض الأمثلة التي ذكرناها في هذه النقطة والتي قبلها –[٢]، وهذا ينم عن مكانة عالم كبير، غير متعصب أو منحاز، وإنما تصدر أحكامه وأقواله عن فكر متميز، وعقل بعيد عن الجمود، وثمة إشارات كثيرة تدل على أن الشارح يجل المصنف، ويرى «تفسيره» مصنفًا جليلاً، وهذه الأمثلة سأذكرها – إن شاء الله – في المبحث المخصص للمقارنة بين الشهاب والبيضاوي [٣].

سادسًا: الاستدراك على المصنف:

كان للشهاب استدراكات كثيرة على المصنف: كعزو القراءات إلى أصحابها، وتخريج الأحاديث التي يذكرها، والتعليق على الشواهد الشعرية والأمثال التي يستشهد بها، وكذلك

---

(١) وهو أن الرأفة أشد الرحمة. انظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق د. إميل بديع يعقوب ود. محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م، (٦٦/٤).

(٢) انظر ص ١١٢ و ص ١١٦ من هذا الرسالة.

(٣) انظر ص ٢٢١ – ٢٢٧ من هذه الرسالة.

الحديث عن قضايا غفل عنها البيضاوي وغير ذلك. وهذه القضايا سأتكلم عنها في مواضعها – إن شاء الله –، أما في هذه النقطة فسأتناول استدراكاته على المصنف من الجوانب التالية:

١ – الاستدلال لكلام المصنف:

قد يذكر البيضاوي رأيه في مسألة من المسائل، أو يفسر آية ما؛ فيأتي الشهاب بالأدلة التي تدعم هذا الرأي أو هذا التفسير، ومن الأمثلة على ذلك:

قال تعالى: **{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ}** [البقرة: ١٣٤]. قال البيضاوي: «والأمة في الأصل: المقصود».

قال الشهاب [١]: «لأنها من (أمّ) بمعنى: قصد، قال الراغب [٢]: «الأمة: كل جماعة يجمعهم أمر ما، إما دين واحد أو زمان واحد أو مكان»؛ لأنهم يؤم بعضهم بعضًا؛ أي: يقصده».

وقد يذكر البيضاوي بعض الأدلة التي تؤيد رأيه، فيأتي الشهاب بأدلة أخرى كما في المثال التالي:

قال تعالى: **{ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلمُتَّقِينَ}** [البقرة: ٢]. قال البيضاوي: «ومعناه – أي الهدى – الدلالة، وقيل الدلالة الموصلة إلى البغية؛ لأنه جعل مقابل الضلالة، قال الله تعالى: **{لَعَلَى هُدًى أو فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}** [سبأ: ٢٤] ولأنه لا يقال: مهدي إلا لمن اهتدى إلى المطلوب».

قال الشهاب [٣]: «بقي هنا دليل تركه المصنف، وهو أن (اهتدى) مطاوع (هدى)، والمطاوعة: حصول الأثر في المفعول بسبب تعلق الفعل المتعدي به، فلا يكون المتعدي

---

(١) الحاشية (٢٤٤/٢) وانظر أمثلة أخرى (٨٠/١ و١٩٤/٢ و٢٥٠/٣ و٧٤/٦ و٢٧٥/٧ و٣٩٥/٨).

(٢) انظر: الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٠.

(٣) الحاشية (١٩٢/١-١٩٣).

مخالفًا لأصله إلا في الأثر والتأثر -كما مر-، فلو لم يكن في الهدى إيصال لم يكن في الاهتداء وصول».

٢ - قد يقتصر المصنف على ذكر قول واحد في المسألة التي يبحثها، فيذكر الشهاب بقية الأقوال، وربما بين سبب اقتصاره على هذا القول:

قال تعالى: {**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُم سُوءَ العَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُم وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُم**} [البقرة: ٤٩]. قال البيضاوي: «{**يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُم وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُم**} بيان لـــ: {**يَسُومُونَكُم**}».

قال الشهاب[١]: «قد جوز في هذه الجملة: الحالية والبدلية والاستئناف، وما ذكره المصنف رحمه الله هو الوجه الأخير».

سابعًا: توثيق كلام المصنف:

١ - العزو إلى المصدر الذي نقل عنه:

إذا ذكر المصنف كلامًا ولم يشر إلى المصدر الذي نقل عنه فإن الشهاب يبين ذلك؛ حيث ينقل نص البيضاوي أولاً، ثم يصرح باسم المصدر الذي نقل عنه.

قال البيضاوي: «وأسماء الله تعالى إنما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال، دون المبادئ التي تكون انفعالات».

قال الشهاب[٢]: «قوله: (وأسماء الله تعالى إنما تؤخذ... إلخ)... ما ذكره المصنف برمته من «التفسير الكبير»[٣]».

---

(١) الحاشية (١٥٩/٢) وانظر أمثلة أخرى (١/١٤٤و٣/٢٥٢ و٤/٢٥٠ و٦/٢٥٩).

(٢) المصدر السابق (١/ ٦٥) وانظر أمثلة أخرى (١/ ٣١٩ و٢/ ٢٨ و٦/ ٣٣٩ و٨/ ٣٩٣).

(٣) انظر: الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، (١/ ٢٢٣).

٢ – العزو إلى المصدر الذي نقل عنه، ونقل الكلام كاملاً إذا كان البيضاوي قد نقله باختصار، كما في المثال التالي:

قال تعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِاليَومِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ}** [البقرة: ٨]. قال البيضاوي: «والناس أصله: أناس... و (اللام) فيه للجنس. و(من) موصوفة؛ إذ لا عهد، فكأنه قال: (ومن الناس ناس يقولون)، أو للعهد، والمعهود هم الذين كفروا. و (من) موصولة أريد بها ابن أبيّ وأصحابه ونظراؤه».

قال الشهاب [(١)]: «قوله: (واللام فيه للجنس... إلخ) هذا تلخيص لما في «الكشاف» [(٢)] من قوله: «ولام التعريف فيه للجنس، ويجوز أن تكون للعهد، والإشارة إلى الذين كفروا المارّ ذكرهم، كأنه قيل: ومن هؤلاء من يقول: وهم عبد الله بن أبيّ وأصحابه ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق، ونظير موقعه موقع القوم في قولك: (نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام). ومن في **{من يقول}** موصوفة كأنه قيل: (ومن الناس ناس يقولون كذا) كقوله: **{مِنَ المُؤمِنِينَ رِجَالٌ}** [الفتح: ٢٥] إن جعلت اللام للجنس، وإن جعلتها للعهد فموصولة، كقوله: **{وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤذُونَ النَّبِيَّ}** [التوبة: ٦١]»».

٣ – رد الأقوال إلى أصحابها:

قد يذكر البيضاوي بعض الأقوال ولا ينسبها لأصحابها، فيحقق الشهاب ذلك، وقد يذكر نص كلامهم.

قال تعالى: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ}** [الإسراء: ١٠١]. قال البيضاوي: «هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني إسرائيل، وقيل: الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة

---

(١) الحاشية (٣٠٣/١) وانظر أمثلة أخرى (١٥٦/١، ٢٧٠ و٩٠/٣).

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف (٩٣/١-٩٤).

الأخيرة».

قال الشهاب[١]: «القول الأول لابن عباس رضي الله عنهما[٢]، والثاني للحسن»[٣].

ثامنًا: بيان اختلاف النسخ:

١ - يهتم الشهاب بالمقارنة بين النسخ التي ينقل عنها؛ فيبين الاختلافات بين نسخ «تفسير البيضاوي» التي بين يديه، وقد يوجه ما أثبت في بعض النسخ:

قال تعالى: {**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**} [القصص: ٥٦]. قال البيضاوي: «لا تقدر على أن تدخلهم في الإسلام».

قال الشهاب[٤]: «وفي نسخة (تدخله) رعاية لـ (مَن) لفظًا ومعنى».

٢ - إنكار بعض الروايات في النسخ وتخطئتها:

قال تعالى: {**وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا**} [النساء: ٦٨]. قال البيضاوي: «يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم أبواب الغيب».

قال الشهاب[٥]: «قوله: (يصلون بسلوكه) وفي نسخة (يصل) من غلط الكاتب».

تاسعًا: التعريف بالأعلام والأماكن:

١ - التعريف بالأعلام الذين يرد ذكرهم في كلام المصنف[٦]:

ومن الأمثلة على ذلك ذِكْرُ البيضاوي لأمية بن أبي الصلت أثناء تفسيره لإحدى

---

(١) الحاشية (٦٤/٦) وانظر أمثلة أخرى (١٧٢/١ و ٢٢/٥ و٤١٨/٦ و٢٦٦/٧).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢٧٤٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣٠١/٥).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢٧٤٦).

(٤) الحاشية (٧٩/٧) وانظر أمثلة أخرى (١٧٨/١ و٤٥/٢ و٧/٤ و١٥٠/٥ و٤٠٥/٨).

(٥) المصدر السابق (١٥٣/٣) وانظر أمثلة أخرى (٧٠/١ و١١١/٢ و٢٦٢/٧).

(٦) انظر: النكلاوي، البيان عند الشهاب الخفاجي (٢٠/١).

الآيات، فقال الشهاب [١]: «قوله (أمية بن أبي الصلت) هو شاعر جاهلي، وكان تزهد في الجاهلية وترك عبادة الأصنام».

٢ – التعريف بالاماكن والكتب والمسافات وغيرها:

قال تعالى: **{يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُم}** [المائدة: ٢١]. قال البيضاوي: «أرض بيت المقدس... وقيل: دمشق وفلسطين وبعض الأردن».

قال الشهاب [٢]: «والأردن بضم الهمزة وسكون الراء المهملة وضم الدال المهملة وتشديد النون... وهي كورة بالشأم».

هذا آخر ما يسر الله كتابته في الكلام عن منهج الشهاب في شرح كلام البيضاوي، وارجو أن أكون قد وفقت في إعطاء فكرة عن هذا المنهج، وأنبه إلى أن الشهاب لم يقتصر على إيراد قول البيضاوي وشرحه، بل كان رحمه الله يختار أحيانًا آية أو حديثًا أو بيت شعر أو مثلاً مما أورده البيضاوي في «أنوار التنزيل»، ثم يشرحه ويعلق عليه ويخرّجه، وسنعرض لاحقًا – إن شاء الله – لمنهجه في تناولها.

---

(١) الحاشية (٧٧/٦) وانظر أمثلة أخرى (٣٣٦/١ و١٥٦/٣ و٢٦٦/٥ و٣٦٢/٦).

(٢) المصدر السابق (٢٣٠/٣) وانظر أمثلة أخرى (٩٩/١ و٢٩٠/٢ و٢٢٣/٣ و٣٦٢/٦ و٢٧٣/٧).

الفصل الرابع

اهتمامه بالتفسير بالمأثور والرأي

واتجاهه في الجمع بينهما

من المعلوم أن «حاشية الشهاب» ليست كتاب تفسير -أي أنه لم يكن هدفه من تأليفها تفسير القرآن، بل شرحَ «البيضاوي» -، ولكنها مع ذلك تشتمل على التفسير[١]؛ فالشهاب كثيرًا ما كان يتناول الآية: يفسرها ويوضح ما أجمله البيضاوي، فيثري معنى الآية ويزيدها وضوحًا، ويستخرج ما فيها من أحكام ودلالات، ومن خلال النظر في «الحاشية» يمكن تصنيف صاحبها في مدرسة التفسير الأثري النظري الذي يجمع بين التفسير بالمأثور القائم على الرواية والنقل وإيراد الأقوال المأثورة، والتفسير بالرأي القائم على النظر والاجتهاد والتحليل والتأويل[٢].

وقد اشتهرت بعض التفاسير بكونها داخلة في عداد التفسير بالمأثور، كما اشتهرت أخرى بأنها تفاسير بالرأي، ولعل هذا التمييز نسبي إلى حد ما -خاصة فيما يتعلق بالتفاسير المتأخرة-، وذلك أنه قلما نجد كتابًا من كتب التفسير بالمأثور خاليًا تمامًا من التفسير بالرأي، وكذلك من الصعوبة بمكان تجريد التفسير بالرأي عن التفسير بالمأثور، وكما قال الدكتور الذهبي [٣]: «الجمود على المنقول تقصير وتفريط بلا نزاع، والخوض في التفسير لكل إنسان غلو وإفراط بلا جدال».

والشهاب التزم في «حاشيته» الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، فعند تفسيره للآية يذكر ما تتضمنه من معان تدل عليها الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة

---

(١) يمكننا أن نجمل المواضع التي يظهر فيها الشهاب كمفسر فيما يلي:

أولاً: اختيار آية أو جزء من آية وتفسيرها، فيقول: (قوله تعالى... إلخ) فيفسر الآية ويتكلم عن بعض القضايا التي تتضمنها هذه الآية. انظر: الحاشية (٣١١/٢ و٣٧٤/٤ و١٤٣/٥ و٢٣٠/٦ و٢٦٧/٧ و١٦٥/٨).

ثانيًا: التعليق على الآيات التي يذكرها المصنف: فقد يستشهد البيضاوي أثناء تفسيره لإحدى الآيات بآية أخرى، فيعلق الشهاب على هذه الآية. انظر: الحاشية (١٢٩/١، ٢٦٢ و٣١١/٢).

ثالثًا: استطرادات الشهاب وتناوله لبعض القضايا التي تتعلق بالآية التي يفسرها البيضاوي، وهذه الناحية هي التي تظهر فيها إمكانيات الشهاب التفسيرية في «حاشيته»، فكل آية -تقريبًا- يمكن أن نعتبرها مثالاً على ذلك.

(٢) انظر تعريف التفسير الأثري النظري: الخالدي، تعريف الدارسين ص٣٠١.

(٣) د. الذهبي، التفسير والمفسرون (٢٦٤/١).

والتابعين، ويذكر أيضًا أقوال المفسرين وعلماء اللغة والنحو والبلاغة، ويستخرج ما في الآية من حقائق ودلالات ولطائف وإشارات، ويزيل ما حولها من لَبْس أو إشكال؛ فينتظم بذلك التفسير بالمأثور إلى جانب التفسير بالرأي.

المبحث الأول

منهجه في التفسير بالمأثور

«يشمل التفسير بالمأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول ×، وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم»[١].

وهذه المباحث تشكل ما يعرف بالتفسير بالمأثور أو التفسير النقلي، وهي التي ذكرها ابن تيمية عندما تحدث عن أحسن طرق التفسير، قال رحمه الله[٢]: «فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك: أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر. فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له... وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك؛ لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح... إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين».

والشهاب من خلال المطالب التالية يظهر اهتمامه بضرورة التفسير بالمأثور أولاً وقبل أي شيء؛ إيمانًا منه بأن أحسن طرق التفسير ما نقل إلينا بطرق صحيحة ثابتة.

---

(١) د. الذهبي، المصدر السابق (١٥٢/١).

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ص ٨٤-٩٤.

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن:

والشهاب كثيرًا ما يشير إلى أهمية هذا النوع من التفسير بقوله [١]: «والقرآن يفسر بعضه بعضًا»، وقد طبق هذه العبارة أثناء كتابته لـــ «الحاشية»، ويدل على ذلك غزارة استشهاده بالآيات الكريمة في مواضع مختلفة من «الحاشية»؛ لتجلية معنى أو تأييده، أو للاستدلال على قضية لغوية أو نحوية أو بلاغية أو فقهية أو عقدية، أو لإزالة التعارض الظاهري بين الآيات وغيرها من الأهداف، وقد كان منهجه في تفسير القرآن بالقرآن كما يلي:

أولاً: تفسير المجمل بحمله على المبين:

فيستدل على معنى كلمة مجملة بما فصل في مكان آخر، كما في قوله تعالى: **{ألا إنَّ أوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}** [يونس: ٦٢] فـــ **{أوْلِيَاءُ اللَّهِ}** مجملة لكنها جاءت مفسرة في قوله تعالى: **{الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ* لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}** [يونس: ٦٣ – ٦٤]، فهاتان الآيتان – كما يقول الشهاب – «تفسير لما أجمل من أولياء الله الذين لا خوف ولا حزن لهم بأنهم المتقون المبشرون، وهذا جار على وجوه الإعراب»[٢].

ثانيًا: إزالة التعارض الظاهري بين الآيات:

فيجمع بين ما يتوهم أنه مختلف، وذلك كما جاء في تفسير قوله تعالى: **{فَمَا كَانَ جَوَابَ قومِهِ إلاَّ أنْ قالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}** [العنكبوت: ٢٩]. قال الشهاب[٣]: «هذا الحصر لا ينافي ما وقع في الأعراف والنمل من قوله: **{فَمَا كَانَ جَوَابَ**

---

(١) الحاشية (٩٦/١، ٩٧، ١٣٢ و٤/ ٨٠ و١١١/٥ و٤٢٩/٦ و١٠٤/٧ و٢٥٨/٨).

(٢) المصدر السابق (٤٥/٥) وانظر أمثلة أخرى (١٣٤/١ و٣٠٨/٢ و٢١١/٣ ٣٤/٤ و١١١/٥ و٢٦٧/٧).

(٣) المصدر السابق (٩٩/٧) وانظر أمثلة أخرى (١٩١/١ و١١٥/٢ و٣٠/٣ و١٨١/٤ ١٣٧/٥ و١٩٧/٦).

قوْمِهِ إلاَّ أنْ قالُوا أخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُم} [النمل: ٥٦]؛ لأن كلاً من الحصرين بالإضافة إلى الجواب الذي يرجوه في متابعته، أو أن هذا صدر عنهم في مقام ومرة، ولم يصدر عنهم غيره فيه وذلك كذلك، وأما كون أحدهما أولاً وذاك بعده فتعيينه مما لا يوقف عليه، أو أن هذا جواب القوم له إذ نصحهم، وذاك جواب بعضهم لبعض إذ تشاوروا في أمره».

ثالثًا: الاستدلال بالقرآن على صحة ما ذهب إليه من قول أو جاء به من رأي:

قال تعالى: **{وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ المُرْسَلِينَ}** [الأنعام: ٣٤]. قال الشهاب [(١)]: «ليس المعنى على العموم بل المراد: بعض نبئهم؛ لقوله تعالى: **{مِنْهُم مَنْ قَصَصْنَا عَلَيكَ وَمِنْهُم مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيكَ}** [غافر: ٧٨]».

رابعًا: الاستدلال بالقرآن على مسألة لغوية:

قال تعالى: **{أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً}** [النساء: ٤٩]. قال الشهاب [(٢)]: «والتزكية في الأصل: التطهير والتبرئة من القبيح: فعلاً كقوله: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}** [الشمس: ٩] وقوله: **{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وَتُزَكِّيهِم بِهَا}** [التوبة: ١٠٣] وأما قولاً فظاهر».

خامسًا: الاستدلال بالقرآن على مسألة نحوية:

قال تعالى: **{وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إِلَيهِ يُمَتِّعْكُم مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى}** [هود: ٣]. قال الشهاب [(٣)]: «قوله تعالى: **{يُمَتِّعْكُم مَتَاعًا}** انتصابه على أنه مفعول مطلق من غير لفظه كقوله: **{أَنْبَتَكُم مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا}** [نوح: ١٧]».

---

(١) المصدر السابق (٥٢/٤) وانظر أمثلة أخرى (٨٠/١ و١٦٨/٢ و٥٥/٣ و١٠٢/٤ و٢٨٩/٥ و٤٢٩/٦).

(٢) المصدر السابق (١٤٦/٣) وانظر أمثلة أخرى (١١٠/١ و٣٣٤/٢ و٢٥١/٤ و٥٤/٥ و١٥٢/٦ و٣٩٥/٧).

(٣) المصدر السابق (٦٩/٥) وانظر أمثلة أخرى (١٣٣/٢ و٥٣/٣ و٣٠/٤ و٢٨/٥ و٨٢/٦ و٤٠٥/٨).

سادسًا: الاستدلال بالقرآن على مسألة بلاغية:

قال تعالى: **{وَهُوَ القَاهِرُ فَوقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ}** [الأنعام: ١٨]. قال الشهاب[1]: «أي المستعلي فوق عباده بالرتبة والمنزلة والشرف، والعرب تستعمل: **(فوق)** لعلو المنزلة وتفوقها، ومنه: **{يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم}** [الفتح: ١٠].

سابعًا: الاستدلال بالقرآن على مسألة عقدية:

قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** [النساء: ٤٨]. قال الشهاب [2]: «والشرك يكون بمعنى اعتقاد أن لله شريكًا، وبمعنى الكفر مطلقًا، وهو المراد هنا، وقد صرح به في قوله تعالى في سورة **{لَمْ يَكُنْ}** بقوله: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا}** [البينة: ٦] فلا يبقى شبهة في عمومه».

ثامنًا: الاستدلال بالقرآن على مسألة فقهية:

قال تعالى: **{لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُم وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُم}** [البقرة: ٢٢٥]. قال الشهاب [3]: «والمنعقدة: ما يحلف على أمر في المستقبل أن يفعله أو لا يفعله، وإذا حنث فيها لزمته الكفارة؛ لقوله تعالى: **{وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ}** [المائدة: ٨٩]».

تاسعًا: تفسير القراءات بعضها ببعض:

يقول الشهاب [4]: «القراءات يفسر بعضها بعضًا»؛ ولذلك عمد الشهاب إلى بعض الآيات التي فيها أكثر من قراءة؛ ففسر بعضها ببعض، ومن الأمثلة على ذلك:

---

(١) المصدر السابق (٣٥/٤) وانظر أمثلة أخرى (٣٣٤/١ و١٥١/٢ و١٤/٣ و٨١/٤ و٣١٠/٥).

(٢) المصدر السابق (١٤٥/٣) وانظر أمثلة أخرى (٨٩/١ و٣٦٧/٥).

(٣) المصدر السابق (٣١٠/٢) وانظر أمثلة أخرى (٧/٢ و٢٨٣/٣ و٩٧/٥).

(٤) المصدر السابق (١٣٩/٢ و٢٧٦/٣).

قال تعالى: {**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَونَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُم**} [النساء: ٣١] قال البيضاوي: «وقرئ (**كبير**) على إرادة الجنس».

قال الشهاب [(١)]: «يعني جنس الذنب الكبير فيطابق القراءة المشهورة».

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة:

عُني الشهاب بالحديث عناية خاصة في «حاشيته»، فتوقف عند أحاديث «البيضاوي»: شارحًا أو مخرجًا أو مكملاً أو ذاكرًا المصدر أو الراوي أو مضيفًا أحاديث أخرى يقتضيها المقام أو مستشهدًا بأحاديث لتفسير آية أو تحقيق مسألة لغوية أو نحوية أو فقهية أو عقدية أو غير ذلك.

وقد أشار الشهاب إلى أهمية التفسير بالمأثور – وخاصة ما جاءنا عن النبي × – بقوله[(٢)]: «وإطباق المعتزلة على أن القرآن لا يفسر بالحديث مخالف لإجماع من يعتد به»، ثم قال بعد ذلك: «الواجب على المفسر أن لا يفسر القرآن برأيه إذا وجد النقل عن السلف، فكيف بالنص القاطع من حضرة الرسالة».

ويمكننا تقسيم الأحاديث الواردة في «الحاشية» إلى قسمين: أما القسم الأول فيشمل الأحاديث التي أوردها البيضاوي وقام الشهاب بالتعليق عليها وتخريجها وشرحها، وأما القسم الثاني فهو عبارة عن أحاديث ذكرها الشهاب ابتداءً أثناء تفسيره لبعض الآيات أو مناقشته لبعض القضايا التي يعرض لها في «حاشيته».

الفرع الأول: منهجه في التعليق على الأحاديث التي يذكرها البيضاوي:

يقول الفاضل ابن عاشور – بعد أن أثنى على «تفسير البيضاوي»[(٣)] –: «على أن

---

(١) المصدر السابق (١٣٠/٣) وانظر أمثلة أخرى (١٣٩/٢ و٢٧٦/٣ و٩٣/٤ و٥٣/٥ و٣٣٦/٦ و٢٦١/٧).

(٢) المصدر السابق (٢٣٥/٤) وانظر (١٧٨/١ و١٢٧/٢ و٢٢١/٣ و٢٢/٦).

(٣) ابن عاشور، التفسير ورجاله ص ١١٦.

القاضي البيضاوي لم يسلم من أمر وقع فيه قبله صاحب «الكشاف»، وتهاون بأمره العلماء بعد القرن الثامن، وهو عدم التحري في درجة الأحاديث التي يوردها معرضًا بما عليها من النقد والتزييف، وما يتصل بها من مباحث التجريح والتعديل، وذلك أمر أُخِذَ عليه بحق، وإن حاول صاحب «كشف الظنون» تخفيف أمره عليه [١]، فإن الشهاب لم يزل يعلق على حديث مما أورده البيضاوي بأنه موضوع، وخاصة أحاديث فضائل السور».

هذا الكلام الذي نقلته عن الفاضل ابن عاشور يبين المكانة التي احتلتها «حاشية الشهاب» من ضمن الكتب التي اعتنت بتخريج أحاديث «البيضاوي»، ومما يدل على هذه المكانة -أيضًا- أن محقق «الفتح السماوي» قد ذكرها من ضمن الكتب المؤلفة في تخريج أحاديث «تفسير البيضاوي»[٢].

وكان منهجه في التعليق على الأحاديث التي يذكرها البيضاوي كما يلي:

أولاً: يذكر طرف الحديث الذي أورده المصنف ويصدره بكلمة: **(قوله)** أي قول النبي ×[٣]، وقد يبدأ بقول المصنف فيقول: **(قوله: وعن النبي)**[٤] أو **(قوله: روي)**[٥]، وبعد أن يذكر من طرف الحديث ما يدل على تمامه يقول: **(إلخ)** أو**(الحديث)**، ثم يبدأ بتخريجه والتعليق عليه.

---

(١) حاول صاحب «كشف الظنون» أن يلتمس للبيضاوي عذرًا في هذا المأخذ الذي أخذ عليه فقال: «وأما أكثر الأحاديث التي أوردها في أواخر السور، فإنه لكونه ممن صفت مرآة قلبه، وتعرض لنفحات ربه، تسامح فيه وأعرض عن أسباب التجريح والتعديل، ونحا نحو الترغيب والتأويل، عالمًا بأنها مما فاه صاحبه بزور، ودلى بغرور، والله عليم بذات الصدور». انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون (١/١٩٨).

(٢) انظر: المناوي، الفتح السماوي (١/٥٩) مقدمة المحقق.

(٣) انظر: الحاشية (٢/٣٤٨ و٣/١٩٢ و٤/٣٧٤).

(٤) انظر: المصدر السابق (٤/٢٥٠ و٨/٤٠٦).

(٥) انظر: المصدر السابق (٣/١٥٣ و٤/٢٦١).

ثانيًا: قد لا يذكر شيئًا من طرف الحديث فيقول: (قوله: روي) [١] أو (قوله: لما روي عن فلان)[٢] أو (قوله: وعن فلان)[٣]، وبعد أن يقول: (إلخ) يبدأ بتخريجه والتعليق عليه.

ثالثًا: قد يبدأ بالتعليق على الحديث مباشرة دون أن يشير إلى ذلك [٤].

رابعًا: تخريج الحديث وتتبع المصادر التي أخرجته:

قال البيضاوي: «وما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «ما أحب أن تكون لي الدنيا وما فيها بها»، فقال رجل: يا رسول الله، ومن أشرك، فسكت ساعة ثم قال: «ألا ومن أشرك –ثلاث مرات–»».

قال الشهاب [٥]: «قوله: (فقال رجل... إلخ) هذا الحديث رواه الطبراني والإمام أحمد والبيهقي».

خامسًا: بيان درجة الحديث من حيث الصحة والضعف:

قال البيضاوي: «لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها إذا ذكرها، إن الله تعالى يقول: **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}** [طه: ١٤]»».

قال الشهاب [٦]: قوله: «(لما روي... إلخ) هذا حديث صحيح رواه أصحاب السنن ووقع في البخاري».

---

(١) انظر: المصدر السابق (٢/٣١٧ و٣/٢ و٤/٢٦٠ و٦/١٩٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/٢٣٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (٣/ ٢٦٤ و٥/ ٣٤٩).

(٤) انظر: المصدر السابق (٤/ ٢٥٣ و٦/ ٣٠٦ و٨/ ٤٠٧).

(٥) المصدر السابق (٧/٣٤٥) وانظر أمثلة أخرى (١/١٤٦ و٢/٣١٧ و٣/٢٧٦ و٤/٣٧٤ و٥/١٤٢).

(٦) المصدر السابق (٦/١٩٤) وانظر أمثلة أخرى (١/٣٢٥ و٣/٤٧ و٤/٢٣٤ و٦/٣٠٦ و٨/٣٩٢).

سادسًا: توضيح الحديث وشرحه شرحًا إجماليًا:

قال البيضاوي: «وفي الحديث: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الشك ريبة والصدق طمأنينة»».

قال الشهاب [(١)]: «معناه –كما قاله المحدثون–: خذ ما تيقنت حله وحسنه، واترك ما شككت في حله وحسنه...».

سابعًا: شرح مفردات الحديث وقد يضبطها – أحيانًا –:

قال البيضاوي: «روي أن رسول الله × وصف القيامة لأصحابه يومًا وبالغ في إنذارهم؛ فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون، واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين، وأن لا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم والودك، ولا يقربوا النساء والطيب، ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح، ويسيحوا في الأرض، ويجبوا مذاكيرهم، فبلغ ذلك رسول الله ×، فقال لهم: «إني لم أؤمر بذلك، إن لأنفسكم عليكم حقًّا، فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآكل اللحم والدسم، وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»».

قال الشهاب [(٢)]: «قوله: (روي أن رسول الله ×) والودك – بفتح الواو والدال المهملة والكاف –: الشحم، والمسوح: جمع مسح وهو اللباس أي الغليظ من الملابس، والسياحة في الأرض، عدم التوطن والقرار، والمذاكير: جمع ذكر على خلاف القياس للفرق بينه وبين جمع الذكر ضد الأنثى وقيل لا واحد له كعباديد».

---

(١) المصدر السابق (١/١٩٠) وانظر أمثلة أخرى (١/١٥٥ و٢/٣٣٦ و٤/٢٥٠).

(٢) المصدر السابق (٣/٢٧٦) وانظر أمثلة أخرى (١/٣٤٠ و٢/٨٤ و٤/٣٤٦ و٥/٢٢٧ و٦/٣٠٦ و٨/٤٠٤).

ثامنًا: بيان راوي الحديث من الصحابة إذا لم يذكره المصنف:

قال البيضاوي: «وعن النبي ×: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول: يا ويله! أمر هذا بالسجود فسجد؛ فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت؛ فلي النار»».

قال الشهاب [(١)]: «قوله: (وعن النبي × إذا قرأ ابن آدم... إلخ) هذا الحديث أخرجه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه».

تاسعًا: التعريف بالصحابي راوي الحديث إذا ذكره المصنف:

قال البيضاوي: «لما روي عن وائل بن حجر أنه عليه السلام كان إذا قرأ: **{وَلا الضَّالِينَ}** [الفاتحة: ٧] قال: آمين ورفع بها صوته».

قال الشهاب [(٢)]: «قوله: (لما روي عن وائل... إلخ)... ووائل – بهمزة بعد الألف يليها لام – وهو وائل بن حجر – بضم الحاء المهملة وسكون الجيم – ابن ربيعة الحضرمي الصحابي كان أبوه من أقيال اليمن؛ أي: ملوكها؛ فإن الملك يسمى عندهم قيلاً، ووفد على النبي × واستقطعه أرضًا، فأقطعه إياها، وقال: «هذا وائل سيد الأقيال»، وله مع معاوية رضي الله عنه قصة، ولما صار خليفة قدم عليه فاستقبله وأكرمه، وتوفي رضي الله عنه في عهده».

عاشرًا: التعريف بالأعلام المذكورين في الحديث:

قال البيضاوي: «روي أن ابن أُبي وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه: انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم، فأخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه وقال: مرحبًا بالصديق سيد بني تيم، وشيخ الإسلام وثاني رسول الله × في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله × ثم أخذ بيد عمر...».

---

(١) المصدر السابق (٤/٢٥٠) وانظر أمثلة (١/١٥٠ و٢/٢٦٠ و٣/٢٢٣ و٤/٢٥١ و٥/٣٥٠).

(٢) المصدر السابق (١/١٥٠) وانظر أمثلة أخرى (١/٣٠، ١٥٢).

قال الشهاب [١]: «قوله: (روي أن ابن أبي... إلخ)... وقوله: (بالصديق سيد بني تيم) الصديق: صيغة مبالغة من الصدق، لقب به في الجاهلية؛ لأنه كان معروفًا بالصدق، وقيل في الإسلام لما صدق النبي عليه الصلاة والسلام في قصة الإسراء.

واسمه عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي، يلتقي مع رسول الله × في مرة، فتيم جده الأعلى وبه سمي البطن من قريش الذي ينسب إليه؛ فلذا قال له سيد بني تيم...».

حادي عشر: قد يشير المصنف إلى الحديث ولا يذكره، فيذكر الشهاب نص الحديث:

قال البيضاوي – في تفسير قوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ}** [إبراهيم: ٢٤-٢٦] –: وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة، وروي ذلك مرفوعًا...».

قال الشهاب[٢]: «قوله: (وروي ذلك مرفوعًا... إلخ) قال الحافظ في «الدر المنثور»[٣]: «أخرجه الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا قال: أتي رسول الله × بقناع من بسر فقال: **{مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ}** حتى بلغ: **{تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا}** قال: هي النخلة، **{وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ}** حتى بلغ: **{مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ}** قال: هي الحنظلة»».

---

(١) المصدر السابق (١/٣٣٩-٣٤٠) وانظر أمثلة أخرى (٢/٢١٠-٢١١ و٣/٢٧٦ و٤/٣٧٤ و٦/١٧٩).

(٢) المصدر السابق (٥/٢٦٥) وانظر أمثلة أخرى (١/١٤٦ و ٢/٩٢ و٣/٢٢٠ و٤/٢٣٤ و٦/٣٥٤ و٨/٥).

(٣) انظر: السيوطي، الدر المنثور (٥/ ٢٠).

ثاني عشر: قد يذكر المصنف جزءًا من الحديث، فيذكر الشهاب الحديث كاملاً:

قال البيضاوي: «قال عليه السلام: «لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها»».

قال الشهاب [1]: «قوله: (لو سرقت فاطمة... إلخ) بعض حديث في البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم أمر المخزومية التي سرقت؛ فقالوا: من يكلم رسول الله ×، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ×، فقال: «أتشفع في حد من حدود الله»، ثم قام فخطب فقال: «أيها الناس، إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»».

ثالث عشر: ذكر روايات أخرى للحديث:

قال البيضاوي: «قال عليه أفضل الصلاة والسلام: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل»».

قال الشهاب [2]: «قوله: (أشد الناس بلاء... إلخ) هذا الحديث أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وصححوه، لكن ليس فيه: «ثم الأولياء»، وأخرجه الحاكم بلفظ: «الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون»».

رابع عشر: تقوية الحديث بالمتابعات والشواهد [3]:

قد تكون الرواية التي يذكرها المصنف ضعيفة الإسناد، فيذكر الشهاب روايات أخرى

---

(١) المصدر السابق (٣٥٥/٦) وانظر أمثلة أخرى (١٧٢/١ و٢٨٨/٢ و١٢٣/٣ و١٤٢/٥).

(٢) المصدر السابق (١٤٤/٢) وانظر أمثلة أخرى (١٥٥/١ و٣١٧/٢ و٢٨٨/٣ - ٢٨٩).

(٣) المتابِع: هو الحديث الذي يشارك فيه رواته رواة الحديث الفرد لفظًا ومعنًى، أو معنى فقط، مع الاتحاد في الصحابي، أما الشاهد فتعريفه مثل تعريف المتابع ولكن مع الاختلاف في الصحابي. انظر: الطحان، محمود، تيسير مصطلح الحديث، مكتبة المعارف، الرياض، ط٨، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م. ص ١٤١ .

تقوي هذه الرواية وتنقلها إلى مرتبة الحسن أو الصحة:

قال البيضاوي: «قال عليه الصلاة والسلام: «من مات ولم يحج، فليمت أن شاء يهوديًّا أو نصرانيًّا»».

قال الشهاب [١]: «قوله: (من مات ولم يحج... الحديث) قال ابن الجوزي: «هو موضوع»، ورده في «اللآلي» بأنه أخرجه الترمذي وضعفه من حديث علي رضي الله عنه، ولفظه: «من ملك زادًا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج، فلا عليه أن يموت يهوديًّا أو نصرانيًّا»، وأخرجه الدارمي في «مسنده» من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: «من لم يمنعه من الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر أو فرض حابس فمات ولم يحج، فليمت إن شاء يهوديًّا أو نصرانيًّا»، وتعدد طرقه إن لم يحسنه خفف ضعفه».

خامس عشر: قد يذكر المصنف كلامًا أو قاعدة على أنها حديث وهي ليست كذلك، أو يذكر حديثًا بدون أن يشير إلى أنه حديث؛ فيحقق الشهاب ذلك:

قال البيضاوي – في قوله تعالى: **{وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُم فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً}** [النساء: ٣٤] –: «والمعنى فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن؛ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

قال الشهاب [٢]: وقوله: (التائب من الذنب... الحديث) أخرجه ابن ماجه والطبراني والديلمي عن أنس وابن عباس رضي الله تعالى عنهم».

سادس عشر: الكلام عن بعض القضايا التي تتعلق بسند الحديث:

---

(١) المصدر السابق (٤٩/٣) وانظر أمثلة أخرى (٣٧/١ و٢٧٦/٣ و٣٠٥/٦ و٣٩٠/٨).

(٢) المصدر السابق (١٣٤/٣) وانظر أمثلة أخرى (٢٩/٢ و١٨٠/٣و ٢٥٨/٧).

قال البيضاوي: «فقال عليه الصلاة والسلام: الحمد رأس الشكر، ما شكر الله من لم يحمده»».

قال الشهاب [١]: «قوله: (فقال عليه الصلاة والسلام: الحمد رأس الشكر... إلخ). هذا الحديث رواه عبد الرزاق [ومن طريقه][٢] الديلمي عن معمر عن قتادة عن عبد الله بن [عمرو][٣] رضي الله عنهما، وإنكار الطيبي له وقوله: لم يوجد في الأصول، لا يلتفت إليه... سئل عن الحديث السخاوي فقال – بعدما مرّ –: إن فيه انقطاعًا بين قتادة وابن [عمرو][٣]، ولكن له شاهد عند ابن السني والديلمي أيضًا من طريق يزيد بن الحباب عن عمر بن عبدالله ابن أبي خثعم عن يحيى بن أبي كثير عن أنس قال: قال رسول الله ×: «إن إبراهيم سأل ربه فقال: يا رب، ما جزاء من حمدك؟ قال: الحمد مفتاح الشكر، والشكر يعرج به إلى عرش رب العالمين، قال: فما جزاء من سبحك؟ قال: لا يعلم تأويل التسبيح إلا رب العالمين» وهو منقطع أيضًا»».

سابع عشر: الكلام عن بعض القضايا التي تتعلق بمتن الحديث وإزالة الإشكال عنه:

قال البيضاوي: «روي أنه × سئل عن أول بيت وضع للناس، فقال: «المسجد الحرام ثم بيت المقدس»، وسئل كم بينهما، فقال: «أربعون سنة»»».

قال الشهاب [٤]: «قوله (روي أنه × سئل... إلخ) أخرجه الشيخان عن أبي ذر رضي الله عنه، وهو حديث صحيح إلا أن فيه إشكالاً أجاب عنه الطحاوي في «الآثار» قال فيه: فإن قلت: لا شك أن باني المسجد الحرام إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وباني الأقصى داود

---

(١) المصدر السابق (٨٠/١) وانظر أمثلة أخرى (٣١/١، ٣٧، ١٩٠، ٢٢٩).

(٢) في الأصل: (من طريقة) ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل: (عمر)، والصواب ما أثبتناه.

(٤) المصدر السابق (٤٧/٣) وانظر أمثلة أخرى (٣١٤/٢ و١٩٩/٣و ٣٤٦/٤ و١٤٣/٥ و٤٠٩/٨).

وابنه سليمان بعده، وبينهما مدة طويلة تزيد على الأربعين بأمثالها. قلت: الوضع غير البناء، والسؤال عن مدة ما بين وضعيهما لا عن مدة ما بين بناءيهما، فيحتمل أن يكون واضع الأقصى بعض الأنبياء قبل داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام، ثم بنياه بعد ذلك، ولا بد من تأويله بهذا».

ثامن عشر: بيان وجه استشهاد المصنف بالحديث:

قال البيضاوي: «وفي الحديث: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الشك ريبة والصدق طمأنينة»».

قال الشهاب [(١)]: «قوله: (وفي الحديث: دع ما يريبك... إلخ) استشهد به على أن الريب له معنى غير الشك وهو القلق – كما مر – إذ لو اتحدا لكان قوله: «فإن الشك» بمنزلة قولك: (فإن الأسد غضنفر) وهو من لغو الحديث».

تاسع عشر: بيان ما في كلام النبي × من نكات بلاغية:

قال البيضاوي: «لقوله عليه الصلاة والسلام: «كل أمر ذي بال، لايبدأ فيه باسم الله فهو أبتر»».

قال الشهاب [(٢)]: «قوله: (لقوله عليه الصلاة والسلام: كل أمر... إلخ).. والبال: القلب في الأصل، كأن الأمر ملك قلب صاحبه لاشتغاله به، وقيل شبه الأمر العظيم بذي قلب على الاستعارة المكنية والتخييلية».

عشرون: استنباط بعض الأحكام واللطائف من الحديث:

قال البيضاوي: «ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «إن أعظم آية في القرآن: آية

---

(١) المصدر السابق (١/١٩٠) وانظر أمثلة أخرى (١/١٤٩ و٢/٣١٤).

(٢) المصدر السابق (١/٣٨) وانظر أمثلة أخرى ١/٨٠ و٢/٢٠٩ و٥/٣٥٠).

الكرسي...»».

قال الشهاب [١]: «قوله (إن أعظم آية... إلخ) هذا الحديث ذكره النووي في «شرح مسلم»، وقال القاضي عياض: إنه حجة لمن قال: إن بعض القرآن قد يفضل على غيره. وفيه خلاف: فمنعه بعضهم كالأشعري والباقلاني وغيرهما، لاقتضائه نقص المفضول، وكلام الله لا نقص فيه، فأعظم بمعنى: عظيم، وأفضل بمعنى فاضل، وأجازه اسحق بن راهويه وكثير من العلماء والمتكلمين، وهو يرجع إلى عظم أجر قارئه، والمختار جوازه فيقال: هذه السورة أو الآية أعظم وأفضل؛ أي: أكثر ثوابًا، وإنما كانت هذه الآية أعظم لجمعها أصول أسماء الصفات من الألوهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والإرادة وهذه أصول الأسماء والصفات».

الفرع الثاني: منهجه في الاستشهاد بالحديث النبوي:

الحديث النبوي هو المصدر الثاني من مصادر التفسير؛ فقد فسر النبي × ما احتاج إلى تفسيره من آيات القرآن وبين معناها، وبدا هذا جليًّا في «حاشية الشهاب»، إذ نقل تفسير الكثير من الآيات عن النبي ×، ولا شك في أن جمع نصوص الحديث إلى النص القرآني الذي يتفق معها في المعنى يقدم صورة أوضح للآية وللحديث على السواء، فمقابلة النصوص ببعضها تزيل كثيرًا من الإبهام، وترفع ما يمكن أن يقع من الإشكال، مع الاطمئنان إلى صحة الفهم والاستنتاج.

وقد كان استشهاد الشهاب بالحديث النبوي للأغراض التالية:

أولاً: الاستدلال بالحديث في توضيح وتجلية معنى الآية:

قال تعالى: **{رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو كَانُوا مُسْلِمِينَ}** [الحجر: ٢]، حيث ذكر الشهاب أن ذلك يكون عند خروج العصاة من النار، واستشهد بما رواه الترمذي عن أبي هريرة

---

(١) المصدر السابق (٣٣٦/٢) وانظر أمثلة أخرى (١٥٢/١، ١٥٦، ٢٢٩ و٨٤/٢، ٢٦٠ و٤١٤/٨).

رضي الله عنه أن النبي × قال في تفسير هذه الآية: «إذا خرج أهل التوحيد من النار وأدخلوا الجنة ود الذين كفروا لو كانوا مسلمين»(١).

ثانيًا: الاستدلال بالحديث على مسألة لغوية:

قال تعالى: **{وَجَعَلَ لَكُم مِنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً}** [النحل: ٧٢]. قال الشهاب (٢): «قوله: **{وَحَفَدَةً}** الحفدة: جمع حافد ككاتب وكتبة – كما أشار إليه المصنف رحمه الله تعالى – وهو من قولهم: حفد يحفد حفدًا وحفودًا وحفدانًا إذا أسرع في الخدمة والطاعة، وفي الحديث: «إليك نسعى ونحفد»».

ثالثًا: الاستدلال بالحديث على مسألة نحوية:

قال تعالى: **{قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيكُمُ اليَومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُم}** [يوسف: ٩٢]. قال الشهاب(٣): «صرح في متون النحو بأن شبيه المضاف سمع فيه عدم التنوين نحو: (لا طالعَ جبلاً)، ووقع في الحديث: «لا مانع لما أعطيت ولا معطيَ لما منعت» باتفاق الرواة فيه».

رابعًا: الاستدلال بالحديث على مسألة عقدية:

قال تعالى: **{لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُم وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا}** [النساء: ١٢٣]. قال البيضاوي: «أي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بأمانيكم أيها المسلمون ولا بأماني أهل الكتاب، وإنما ينال بالإيمان والعمل الصالح».

---

(١) المصدر السابق (٢٨١/٥) وانظر أمثلة أخرى (١٣٩/١ و١٦٦/٢ و٩٦/٣ و٣١٢/٤ و٢٠/٥ و٣٥٦/٦).

(٢) المصدر السابق (٣٥٢/٥) وانظر أمثلة أخرى (٦٥/١، ٢٠٣ و١٩/٢ و١١٧/٥، ٣٠٦).

(٣) المصدر السابق (٢٠٤/٥) وانظر: القضاة، الشهاب الخفاجي نحويًّا ص ٥٩-٦٠، وانظر أمثلة أخرى (٣٢/١، ١٥١و ٢/ ٢٤ و١٩٦/٦ و٣٧١/٨).

قال الشهاب [١]: «وعن الحسن: ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب، وصدقه العمل، إن قومًا ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل له، وهذا أخرجه ابن أبي شيبة موقوفًا على الحسن، وأخرجه البخاري في «تاريخه» عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن هو ما وقر في القلب»».

خامسًا: الاستدلال بالحديث على مسألة فقهية:

قال تعالى: {**إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**} [البقرة: ١٥٨]. ذكر البيضاوي عند تفسيره لهذه الآية أقوال العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة، فعلق الشهاب على كلام البيضاوي ذاكرًا أدلة مذهب أبي حنيفة – مذهب الشهاب – الذي يقول بوجوبه لا بركنيته، ورادًّا على أدلة المخالفين، ومن ضمن الأدلة التي استدل بها حديث عروة بن مضرس الطائي عندما أتى النبي × بالمزدلفة فقال له: يا رسول الله، جئت من جبل طي، ما تركت جبلاً إلا وقفت عليه، فهل لي من حج؟ فقال النبي ×: «من صلى معنا هذه الصلاة، ووقف معنا هذا الموقف، وقد أدرك عرفة قبل ذلك ليلاً أو نهارًا، فقد تم حجه وقضى تفثه»». فعدم ذكر النبي × للسعي يدل على أنه ليس ركنًا – كما يرى الشهاب – [٢].

سادسًا: إزالة التعارض الظاهري بين الأحاديث:

والشهاب وهو يستشهد بالحديث الشريف لا يقف موقف الناقل فقط، بل نراه يبحث –أحيانًا– في متن الحديث، فإذا خالف نصوصًا أخرى صحيحة، فإنه يعمد إلى إزالة هذا التعارض، والتوفيق بين النصوص.

---

(١) المصدر السابق (٣/١٨٠) وانظر أمثلة أخرى (١/٩٠ ٢/٦٥ و٥/٣٦٧ و٨/٤١٢).

(٢) المصدر السابق ٢/٢٦٠-٢٦١) وانظر أمثلة أخرى (١/٣٠-٣١ و٢/٢١٣ و٣/١٢٣، ١٧٢).

ففي تفسير قوله تعالى: **{هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ}** [الأنعام: ١٥٨] ساق الشهاب حديث مسلم: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض»[١].

فهذا الحديث معارض لحديث الصحيحين: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها، ثم قرأ الآية»[٢]. دل هذا الحديث على أن عدم قبول الإيمان والتوبة مخصوص بطلوع الشمس من مغربها – كما نقل الشهاب عن العراقي –[٣]، وأيضا فإن نزول عيسى عليه السلام بعد خروج الدجال، فكيف لا ينفع الإيمان بعد خروجه – كما جاء في الحديث الأول –.

وقد تكلم الشهاب في إزالة التعارض الظاهري بين هذه النصوص بكلام طويل، ونقل أقوال العلماء والمحدثين، ولا يتسع المجال لنقل كلامه كله[٤]؛ ولذلك سأكتفي بنقل خلاصة ما قال، فقد شعر الشهاب أنه توسع في تحقيق هذه المسألة فلخصها بقوله: «فتلخص من هذا أن الآية المانعة من قبول الإيمان والتوبة إنما هي طلوع الشمس من مغربها، وهو الصحيح عند المفسرين والمحدثين، والأحاديث الأخر غير منافية لها، أما من جعلها عدة آيات فهي آخرها المتحقق بها ذلك، وأما كونها إحدى آيات فهي محمولة على المعينة في الحديث لأنها أعظمها»، ثم قال رحمه الله: «وإنما ذكرنا هذا مع طوله لأنه من أنفس الذخائر، التي يجب

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الايمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، حديث رقم (٣٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب التفسير، باب لا ينفع نفسًا إيمانها، حديث رقم (٤٣٥٩)، ورواه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، حديث رقم (٣٩٤).

(٣) انظر: الحاشية (١٤١/٤).

(٤) انظر كلامه حول هذه المسألة: المصدر السابق (١٤٠/٤-١٤٢) وانظر أمثلة أخرى (٣٧/١-٣٨ و١١٥/٢، ٣٢١).

حفظها في كنوز الدفاتر».

المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

القارئ «لحاشية الشهاب» يجد نقله لتفسير الكثير من آيات القرآن عن بعض الصحابة والتابعين، حيث كان ينقل أقوالهم في بيان ما أجمل أو أبهم من مفردات وآيات القرآن، وفي بيان أسباب النزول، وفي المسائل اللغوية والفقهية والعقدية.

وكما هو الحال في الأحاديث الواردة في «الحاشية»، فإن الآثار المروية عن الصحابة والتابعين تقسم أيضًا إلى قسمين: آثار ذكرها البيضاوي وعلق عليها الشهاب، وآثار ذكرها الشهاب أثناء مناقشته لبعض المسائل الواردة في «حاشيته».

الفرع الأول: منهجه في التعليق على أقوال الصحابة والتابعين التي يذكرها البيضاوي:

أولاً: قد يذكر المصنف القول ولا يذكر قائله فيحقق الشهاب ذلك:

قال تعالى: **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}** [يونس: ٢٦]. قال البيضاوي: «وقيل: الحسنى الجنة والزيادة هي اللقاء».

قال الشهاب [(١)]: «هذا هو التفسير المأثور عن الصحابة كأبي بكر رضي الله عنه وأبي موسى وحذيفة وعبادة والحسن وعكرمة وعطاء ومقاتل والضحاك والسدي رحمهم الله».

ثانيًا: تخريج كلام الصحابي أو التابعي:

قال تعالى: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** [الفاتحة: ٥]. قال البيضاوي: «وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر؛ ولذلك قال ابن عباس: رضي الله عنهما: معناه

---

(١) المصدر السابق (٢٢/٥) وانظر أمثلة أخرى (١٣٢/١، ١٧٧ و٢٢٦/٣ و٢٦٦/٥ و٢٦٦/٧ و٢٧٦/٨).

نعبدك ولا نعبد غيرك».

قال الشهاب [(١)]: قوله: (ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما... إلخ) إشارة إلى ما استدل به على إفادة التقديم للحصر، كالأثر الذي يرويه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو صحيح مأثور عنه كما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق الضحاك».

ثالثًا: شرح الأثر وتوضيحه:

قال البيضاوي - في بيان معاني الحروف المقطعة في أول البقرة -: «روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه».

قال الشهاب [(٢)]: «والآلاء بوزن (أفعال) ممدود مهموز الأول والآخر، ومعناه: النعم وهو جمع واحده (ألى)، وفيه لغات: فتح الهمزة وسكون اللام وكسرها وسكون اللام، و (أَلْو) بالفتح والسكون أيضًا و (إِلَى) بكسر الهمزة وفتح اللام والقصر كإلى الجارة، وقد جوز هذا في قوله تعالى: **{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}** [القيامة: ٢٣] كما سيأتي، واللطف معروف، وقوله: (ملكه) بضم الميم ويحتمل الكسر، قيل: المعنى على هذا أن القرآن يشتمل على آلاء الله ولطفه وملكه، وقيل: إنه يحتمل أن يكون المعنى: أذكر آلاء الله ولطفه وملكه لتعلم أن القرآن من أعظمها، إذ لطف بإنزاله على مماليكه رحمة عليهم، وهذا بطريق الرمز والإيماء».

رابعًا: قد يشير المصنف إلى الأثر فيذكر الشهاب نص كلام الصحابي أو التابعي:

قال البيضاوي - في بيان معاني الحروف المقطعة في أول البقرة -: «وقيل: إنه سر استأثر الله بعلمه[(٣)]، وقد روي عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه».

---

(١) المصدر السابق (١٢٠/١) وانظر أمثلة أخرى (١٧١/١، ١٧٢ و٢٠٨/٢، ٣٢٥ و١٧٢/٣، ٢٢٥).

(٢) المصدر السابق (١٧١/١) وانظر أمثلة أخرى (٢٠٨/٢).

(٣) ليس في القرآن أسرار، فمن العبث مخاطبة الغير بما لا يدرك معناه، فكيف بكلام الله عز وجل؟!

قال الشهاب [١]: «قوله: (وقد روي عن الخلفاء... إلخ): فعن الصديق رضي الله عنه: في كل كتاب سر، وسر الله في القرآن: أوائل السور، وعن عمر وعثمان رضي الله عنهما: الحروف المقطعة من السر المكتوم الذي لا يفسر، وعن علي رضي الله عنه ما هو بمعناه».

الفرع الثاني: منهجه في الاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين:

ذكرنا أن الشهاب كان يستعين بأقوال الصحابة والتابعين في «حاشيته»، ومما يدل على اهتمامه بأقوالهم أنه كان يرجح أحد الأقوال في تفسير الآية لأنه مأثور عن بعض الصحابة والتابعين [٢].

والشهاب لا يكتفي بالنقل السلبي للروايات، بل نراه – في كثير من الأحايين – ينظر في هذه الأقوال، يشرحها ويوضحها ويرجح الصحيح منها.

ولذلك فإن موقفه من تفسير الصحابة والتابعين ينحصر في الأمور التالية:

أولاً: موقف النقل:

حيث ينقل القول ولا يعقب عليه بشيء، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

قال الشهاب –في تفسير قوله تعالى: **﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾** [سبأ:١١]–[٣]: «نقل في «الدر المنثور»[٤] عن قتادة وابن عباس ومجاهد من طرق مختلفة أن السرد في الآية بمعنى: المسامير».

ثانيًا: موقف النقد:

١ – نقد السند: أي بيان حال السند والحكم عليه بالصحة أو الضعف ومن الأمثلة على

---

(١) المصدر السابق (١٧٨/١).

(٢) انظر الحاشية (١٧٧/١، ١٧٨و ٣٨١/٥).

(٣) المصدر السابق (١٩٣/٧) وانظر أمثلة أخرى (١٦٩/١ و١٢٧/٢ و١٨٠/٣و ٢٥٢/٤ و٣٥٥/٦).

(٤) انظر: السيوطي، الدر المنثور (٦٧٦/٦).

ذلك:

قال تعالى: **{لَـكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ}** [النساء: ١٦٢].

قال الشهاب – أثناء بحثه لمسألة نصب **{المقيمين الصلاة}**[(١)] –: «وفي «الكشاف»[(٢)]: «ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنًا في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب، ولم يعرف مذاهب العرب فيما لهم من النصب على الاختصاص من الافتنان، وغبي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أنفذ همة في الغيرة على الإسلام وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم، وخرقًا يرفوه من يلحق بهم»...

أقول –أي الشهاب–: هذا إشارة إلى ما نقله الشاطبي رحمه الله في «الرائية» وبينه شراحه وعلماء الرسم العثماني[(٣)] بسند متصل إلى عثمان رضي الله تعالى عنه أنه لما فرغ من المصحف أتي به إليه فقال: «قد أحسنتم وأجملتم، أرى شيئًا من لحن ستقيمه العرب بألسنتها، ولو كان المملي من هذيل، والكاتب من قريش لم يوجد فيه هذا». قال السخاوي [(٤)]: «وهو ضعيف، والإسناد فيه اضطراب وانقطاع». وهكذا نرى الشهاب يعقب على هذا الأثر بنقل تضعيف السخاوي له.

٢ – نقد المتن: أي ذكر كلام الصحابي أو التابعي في تفسير اللفظ أو الآية، ورد

---

(١) انظر الحاشية (٢٠١/٣) وانظر أمثلة أخرى (٢٦٠/٢).

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف (٦٢٣/١).

(٣) انظر: السخاوي، علم الدين علي بن محمد، الوسيلة إلى كشف العقيلة، تحقيق مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، ص٣٦؛ القاصح؛ أبو البقاء علي بن عثمان بن محمد، شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد على عقيلة أتراب القصائد، تحقيق عبدالفتاح القاضي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٣٦٨ هـ – ١٩٤٩ م، ص ٦.

(٤) انظر: السخاوي، المصدر السابق، ص٣٦ .

هذا القول بالاعتماد على دليل من القرآن أو السنة أو اللغة أو السياق.

ومن الأمثلة على ذلك رده للأثر المروي عن عائشة رضي الله عنها في تفسير قوله تعالى: **{فِيْمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا}** [النازعات: ٤٣]، فقد ذكر البيضاوي ثلاثة أقوال في بيان معنى الآية، ولم يذكر قول عائشة رضي الله عنها – كما فعل الزمخشري –[١]، فعلق الشهاب على كلام البيضاوي، وشرح الأقوال الثلاثة، ثم قال[٢]: «وروي عن عائشة رضي الله عنها ما يدل على أن المراد التعجب من كثرة ذكره لها[٣]، كأنه قيل: في أي شغل من الاهتمام بذكرها والسؤال عنها – كما في «الكشاف» –[٤]، ولم يذكره المصنف لضعفه، ولأن قوله: **{كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا}** [الأعراف: ١٨٧] ينافيه –كما في الانتصاف –[٥]، وهكذا نرى الشهاب يرد هذا القول لتعارضه مع الآية.

ثالثًا: موقفه عند تعدد أقوال الصحابة والتابعين:

١ – ذكر الأقوال من غير تعقيب:

قال تعالى: **{إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ**

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف (٤/ ٦٦٩).

(٢) الحاشية (٨/ ٣١٩) وانظر أمثلة أخرى (١/ ٣٣١ و٣/ ٥٨ و٨/ ٣٧٦، ٣٩١).

(٣) أخرجه الحاكم في «مستدركه»، والطبري في «تفسيره» برقم (٣٦٣١٤)، والبزار في «مسنده» (٢٢٧٩) من حديث عائشة قالت: «لم يزل رسول الله × يسأل عن الساعة، حتى نزلت: {فِيْمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا}. وأخرجه عبدالرزاق في «تفسيره» برقم (٣٤٩٢)، والشافعي في «مسنده» (١١٨٣)، عن عروة مرسلاً.

(٤) عبارة الزمخشري هي: «كأنه قيل: في أي شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها»، وهي أوضح من عبارة الشهاب.

(٥) انظر: ابن المنير، ناصر الدين أحمد بن محمد، الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (مطبوع بهامش الكشاف) (٤/ ٦٩٩).

الْكَافِرُونَ} [المائدة: ٤٤]. يقول الشهاب [(١)]: «لما وصف في هذه الآيات من لم يحكم بالكافرين ثم بالظالمين والفاسقين اختلفوا فيه: فعند ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها في أهل الكتاب، وأن قوله: **{وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ}** مخصوص بهم، وأن الخطاب في قوله: **{فَلا تَخْشَوا}** لهم. وعن الشعبي أن الآية التي فيها الكافرون في المسلمين، والخطاب في **{فَلا تَخْشَوا}** لهم».

٢ – ذكر الأقوال والترجيح بينها:

قال تعالى: **{وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُم}** [المائدة: ٨٩]. قال الشهاب[(٢)]: «وللسلف في الحفظ هنا تفاسير: فقال قوم: معناه: احفظوا أنفسكم عن الحنث فيها، وإن لم يكن الحنث معصية. وقال آخرون: معناه أقلوا من الأيمان؛ لقوله تعالى: **{وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُم}** [البقرة: ٢٢٤] وعليه قول الشاعر:

قليل الألايا حافظ ليمينه   إذا بدرت منه الألية برّت

وقال قوم: راعوها لكي تؤدوا الكفارة إذا حنثتم فيها؛ لأن حفظ الشيء رعايته. قالوا: وهذا هو الصحيح، أما الأول فلا معنى له؛ لأنه غير منهي عن الحنث إذا لم يكن الفعل معصية، وقد قال ×: «فليأت الذي هو خير، وليكفر» – كما مر–، وقال تعالى: **{قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم}** [التحريم: ٢] فثبت أنه غير منهي عن الحنث إذا لم يكن معصية، فلا يجوز أن يكون **{احْفَظُوا أَيْمَانَكُم}** نهيًا عن الحنث.

وأما القول بأنه نهي عن الحلف فساقط واه؛ لأنه كيف يكون الأمر بحفظ اليمين نهيًا عن اليمين، وهل هو إلا كقولك: (احفظ المال) بمعنى: لا تكسبه، وأما البيت فلا شاهد فيه؛ لأن معنى حافظ ليمينه: أنه مراع بأداء الكفارة ولو كان معناه ما ذكر لكان مكرّراً مع ما

---

(١) الحاشية (٢٤٦/٣) وانظر أمثلة أخرى (٦٨/٢، ٣٢٥ و١٢٢/٣ و٢٣٧/٧).

(٢) الحاشية (٣/ ٢٧٩) وانظر أمثلة أخرى (٢/ ٦٨ و٣/ ٢٨٢ و٤/ ٢٧١-٢٧٢ و٦/ ٢، ٥٧- ٥٨ و٨/ ١٩١، ٢٧٢).

قبله».

المطلب الرابع: مآخذ على منهجه في التفسير بالمأثور:

أولا: الحكم على الحديث (نقد الحديث):

لم يحظ هذا الجانب إلا بالنزر اليسير من عنايته؛ فكثيرًا ما كان يذكر الحديث دون بيان درجته من الصحة أو الضعف، مما أدى إلى أن يدخل في «حاشيته» كثير من الأحاديث الضعيفة التي لم ينبه على ضعفها.

ومن الأمثلة على ذلك قوله [١]: «روي أن تحت العرش نهرًا إذا اغتسل فيه جبريل عليه الصلاة والسلام وانتفض، يخلق من كل قطرة منه ملك».

هذا الحديث موضوع – كما ذكر ابن الجوزي [٢] والألباني [٣]–، أخرجه ابن عدي [٤] من طريق زياد بن المنذر عن عطية عن أبي سعيد. قال رسول الله ×: فذكره، وآفته زياد ابن المنذر، قال عنه ابن عدي [٥]: «عامة أحاديثه غير محفوظة... وهو من أهل الكوفة الغالين»، «وقال ابن معين: كذاب، وقال النسائي وغيره: متروك، وقال ابن حبان: كان رافضيًّا يضع الحديث في الفضائل والمثالب، وقال الدارقطني: متروك»[٦].

---

(١) الحاشية (١٣٤/٢) وانظر أمثلة أخرى (١٤٢/١ و٣١٩/٢ و٢٧٣/٣ و٣٢٣/٤ و٢٩٧/٥).

(٢) انظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، الموضوعات، تحقيق: نور الدين بن شكري ابن علي بويا جيلار، مكتبة اضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م، (٢١٨/١–٢١٩) حديث رقم (٣٠٣ و٣٠٤).

(٣) انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م، (٦٨٧/٣) حديث رقم (١٤٩٥).

(٤) ابن عدي، عبد الله بن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩ هـ– ١٩٨٨م، (١٨٩/٣).

(٥) ابن عدي، المصدر السابق (١٩٠/٣).

(٦) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، (١٣٧/٣).

وأخرجه ابن عدي – أيضًا – في ترجمة روح بن جناح [١] من طريقه عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة مرفوعًا، قال ابن الجوزي [٢]: «هذا حديث لايتهم به إلا روح بن جناح فإنه يعرف به ولم يتابعه عليه أحد»، وقال ابن حبان [٣]: «روح يروي عن الثقات ما إذا سمعه من ليس بمتبحر في هذه الصناعة شهد له بالوضع».

وقد يستشهد المصنف بأحاديث ضعيفة أو موضوعة، فيسكت الشهاب عنها، مع تعرضه لشرحها، وكان ينتظر منه أن ينبه إلى ذلك كما في المثال التالي:

قال البيضاوي: «قال عليه الصلاة والسلام: الحرائر صلاح البيت، والإماء هلاكه»». قال الشهاب [٤]: «والحديث المذكور في «مسند الديلمي» و«الفردوس»[٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو كقوله:

ومن لم يكن في بيته قهرمانة ... فذلك بيت لا أبا لك ضائع»

قلت: هذا الحديث ضعيف، رواه الثعلبي – كما ذكر المناوي [٦] – من رواية أحمد بن محمد بن عمر بن يونس اليمامي، حدثنا أحمد بن يوسف العجلي، حدثنا يونس بن مرداس – خادم أنس – قال كنت بين أنس وأبي هريرة، فقال أنس: سمعت رسول الله × يقول: «من

---

(١) انظر: ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال (٣/١٤٤–١٤٥).

(٢) ابن الجوزي، الموضوعات (١/٢١٩).

(٣) ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، المجروحين، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، د.ت، (١/٣٠٠).

(٤) الحاشية (٣/١٢٧) وانظر أمثلة أخرى (٢/٣٥٦ و٤/٣٦٠ و٥/٣٠٩ و٦/٢٦٣).

(٥) أما «الفردوس»؛ فهو للحافظ شيرويه بن شهردار الديلمي، وأما «مسند الديلمي» فهو لابنه شهردار، وفيه أسند الأحاديث التي رواها عن والده، وزاد أحاديث رواها بإسناده. قال الإسنوي في «طبقاته»: «مزج أسانيد كتاب والده المسمى «بالفردوس»، ورتبه ترتيبًا حسنًا». انظر: الديلمي، أبو شجاع شيرويه بن شهردار، فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب، تحقيق فواز زمرلي ومحمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨٧م، (١/ ١٤) مقدمة المحقق. وانظر الحديث المذكور في «الفردوس» (٢/ ٢٦١) حديث رقم (٢٦٤٢).

(٦) المناوي، الفتح السماوي (٢/٤٧٧) حديث رقم (٣٥٨).

أحب أن يلقى الله طاهرًا مطهرًا فليتزوج الحرائر»، وقال أبو هريرة: سمعته يقول: «الحرائر صلاح البيت، والإماء فساد البيت، أو قال: هلاك البيت». قال ابن حجر [١]: «في إسناده أحمد ابن محمد وهو متروك، وكذبه أبو حاتم، ويونس لا أعرفه».

وأما حديث أبي هريرة: «الحرائر صلاح البيت»؛ فقد عزاه الألباني للديلمي وقال [٢]: «موضوع».

ثانيًا: تصحيح بعض الأحاديث الضعيفة:

فقد يذكر البيضاوي حديثًا ضعيفًا، فيصححه الشهاب أو يعلق عليه بما يدل على أنه صحيح عنده أو ينقل كلام من صححه، ولكن عند التحقيق نجد أن هذا الحديث ضعيف، كالحديث الذي رواه البيضاوي – في تفسير قوله تعالى: {**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَماَّ تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ**} [الأعراف: ١٨٩ – ١٩١] – قال البيضاوي: «يعني الأصنام، وقيل لما حملت حواء أتاها إبليس في صورة رجل فقال لها: ما يدريك ما في بطنك، لعله بهيمة أو كلب، وما يدريك من أين يخرج، فخافت من ذلك، وذكرت لآدم فهما منه، ثم عاد إليها وقال: إني من الله بمنزلة؛ فإن دعوت الله أن يجعله خلقًا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث، وكان اسمه حارثًا بين الملائكة، فلما ولدت سمياه عبد الحارث، وأمثال ذلك لا تليق بالأنبياء».

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي، الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (المطبوع في آخر الكشاف)، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، ١٣٥٤هـ، ص ٤٢.

(٢) الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي (١١٠/٣) حديث رقم (٢٧٧٦).

قال الشهاب [١]: «وقوله: **{فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}** ابتداء كلام لتوبيخ المشركين، بعد إنكار ما يشبهه مما صدر عنهما، وقد استضعفه المصنف رحمه الله، لكنه -كما قالوا- مقتبس من مشكاة النبوة، فإنه أخرجه أحمد، والترمذي وحسنه، [و] [٢] الحاكم وصححه عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ×: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال لها: سميه عبد الحارث فإنه يعيش، فسمته بذلك فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره». وهو قول السلف كابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم، وما قيل إنه آحاد وليس في معرض تفسير الآية وبيانها ليس بشيء».

هذا الحديث ضعيف. أخرجه الترمذي [٣] والحاكم [٤] والطبري [٥] وأحمد [٦]، من طريق عبد الصمد بن عبد الحارث عن عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب مرفوعًا.

وعمر بن إبراهيم منكر الحديث، قال: أحمد [٧]: «يروي عن قتادة أحاديث مناكير»، وقال أبو حاتم [٨]: «لا يحتج به»، وقال ابن عدي [٩]: «يروي عن قتادة أشياء لا يوافق عليها».

---

(١) الحاشية (٤/٢٤٥) وانظر أمثلة أخرى (٣/١٣١ و٦/٢٦، ٢٦٣).

(٢) ليست في الأصل ولا بد منها ليستقيم الكلام.

(٣) انظر: الترمذي، جامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب (٧) ومن سورة الاعراف، حديث (٣٠٧٧).

(٤) انظر: الحاكم، المستدرك (٢/٥٤٥).

(٥) انظر: الطبري (١٥٥٢٤).

(٦) انظر: المسند (٢٣/٣٠٥) حديث رقم (٢٠١١٧).

(٧) المزي، أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن، تهذيب الكمال، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، (٢١/٢٧٠).

(٨) الذهبي، ميزان الاعتدال (٥/٢١٦).

(٩) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال (٥/٤٢).

وقال الترمذي [١]: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه».

وقال ابن كثير [٢]: «هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري، وقد وثقة ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي: لا يحتج به. ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعًا، فالله أعلم.

الثاني: أنه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعًا، كما قال ابن جرير: حدثنا ابن عبدالأعلى: حدثنا المعتمر عن أبيه: حدثنا بكر بن عبد الله، عن سليمان التيمي، عن أبي العلاء بن الشخير، عن سمرة بن جندب، قال: سمى آدم ابنه عبد الحارث[٣].

الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعًا لما عدل عنه. قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن: **{جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا}** قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم[٤]: وحدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال: قال الحسن: عنى بها ذرية آدم، من أشرك منهم بعده – يعني: **{جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا}**[٥]–، وحدثنا بشر: حدثنا يزيد: حدثنا سعيد عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادًا فهودوا ونصروا[٦]، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك، وهو من

---

(١) الترمذي، جامع الترمذي ص ٤٨٩.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، ط ٢، ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م، (٢/٢٦٣).

(٣) الطبري (١٥٥٢٥ و١٥٥٢٦).

(٤) الطبري (١٥٥٣٧).

(٥) الطبري (١٥٥٣٨).

(٦) الطبري (١٥٥٣٩).

أحسن التفاسير، وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظًا عن رسول الله × لما عدل عنه هو ولا غيره، ولا سيما مع تقواه الله وورعه، فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي.

ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم، مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما -كما سيأتي بيانه إن شاء الله- إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع، والله أعلم».

ثالثًا: معظم الأحكام التي أطلقها الشهاب على الأسانيد منقولة عمن سبقه من العلماء، وهناك جزء يسير من هذه الأحكام توصل إليه الشهاب بنفسه من خلال دراسة الأسانيد والتدقيق فيها.

وهذه الأحكام التي نقلها عن العلماء إما أن تكون منقولة عن العلماء المتقدمين الذين صنفوا كتب الحديث ورووا الأحاديث بأسانيدهم وحكموا عليها كالترمذي والحاكم وغيرهم، وإما أن تكون منقولة عن العلماء المتأخرين الذين درسوا أسانيد المتقدمين وحكموا عليها كابن حجر والسيوطي وغيرهم [١].

وقد أدى هذا إلى ذكر أقوال متناقضة في الحكم على بعض الأحاديث بدون ترجيح أيٍّ منها كما في المثال التالي:

قال تعالى – على لسان يوسف عليه السلام –: {**إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُم لِي سَاجِدِينَ**} [يوسف: ٤]. قال البيضاوي: «روي عن جابر رضي الله تعالى عنه أن يهوديًّا جاء إلى رسول الله × فقال: أخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف، فسكت؛ فنزل جبريل عليه السلام؛ فأخبره بذلك؛ فقال: «إذا أخبرتك فهل تسلم؟»، قال: نعم. قال: «جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب

(١) انظر الحاشية (١٤٦/١ و١٤٤/٢ و٢٢٠/٣ و٢٨٠/٥ و٣٠٦/٦ و١٠٤/٧).

وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء، وسجدن له»، فقال: اليهودي: إي والله إنها لأسماؤها».

قال الشهاب [(١)]: قوله: (روي عن جابر رضي الله تعالى عنه... إلخ) هذا الحديث أخرجه جماعة كابن أبي حاتم والحاكم وجماعة من المفسرين واختلف في صحته، فقال أبو زرعة وابن الجوزي إنه: منكر موضوع، وقال الحاكم: إنه صحيح على شرط مسلم».

ولا تعني هذه المآخذ التقليل من شأن الشهاب في علم الحديث، بل على العكس من ذلك؛ فتعليقه على أحاديث «البيضاوي» يدل على أنه لم يكن متبحرًا في التفسير فحسب، بل كان على علم واسع بصناعة الحديث متنًا وسندًا وتحقيقًا في هذا الفن، وتتبعًا للمصادر ومعرفة بكتب الحديث وخبرة واسعة بمسالكها قل نظيرها في عصره، ولعل الأمثلة التي ذكرناها – أثناء الكلام عن منهجه في التفسير بالسنة وأقوال الصحابة والتابعين – خير دليل على ذلك.

(١) المصدر السابق (٥/١٥٤-١٥٥).

المبحث الثاني

منهجه في التفسير بالرأي

«التفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر" [١].

وهذا النوع من التفسير اختلف فيه العلماء، فمنهم من أجازه ومنهم من منعه، وليس الآن مجال تفصيل هذا الخلاف، فلينظر ما قاله الدكتور الذهبي في «التفسير والمفسرون» ، فقد أجاد –رحمه الله– في بيان هذه المسألة وتفصيلها [٢].

وقد عرض الشهاب للتفسير بالرأي أثناء شرحه لمقدمة «البيضاوي»، ووقف عند هذه القضية بإيجاز، وبين أن النهي عن القول بالرأي في التفسير – الذي جاء في حديث النبي ×: «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» [٣] – متوجه إلى «ما كان بمجرد التشهي، وما يتكلف فيه، أو يجزم فيه بأنه مراد الله تعالى» [٤].

وقد ذكرنا – في المبحث السابق – أن الشهاب يرى عدم جواز التفسير بالرأي إذا وجد في التفسير المأثور ما يوضح معنى الآية [٥]، ولذلك فإن الأساس الذي يعتمده في التفسير يقوم

---

(١) د. الذهبي، التفسير والمفسرون (١/٢٥٥).

(٢) انظر: د. الذهبي، المصدر السابق (١/٢٥٥–٢٦٥).

(٣) أخرجه الترمذي في «جامعه»، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ×، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، حديث رقم (٢٩٥١)، والنسائي في «الكبرى»، كتاب فضائل القرآن، باب من قال في القرآن بغير علم، حديث رقم (٨٠٨٤، ٨٠٨٥).

(٤) الحاشية (١/١٠).

(٥) انظر ص ١٣٣ من هذه الرسالة.

على تفسير القرآن بالقرآن، وبما جاء عن النبي ×، وبما أثر عن الصحابة والتابعين.

فإن عجز عن هذا كله ولم يظفر بشيء من تلك المصادر، وجدناه يعمل العقل، ويجتهد الوسع في الكشف عن مراد الله تعالى، مستندًا إلى الأصول المعتبرة، مبتعدًا عن الهوى والتعصب.

ويلاحظ الباحث في مناهج المفسرين أن كل من برع في فن من فنون العلم من المفسرين، يهتم في تفسيره بالفن الذي برع فيه، فاللغوي يميل إلى ذكر مسائل اللغة، والفقيه يعنى بتقرير الأدلة للفروع الفقهية، وصاحب العلوم العقلية يعنى في تفسيره بأقوال الفلاسفة... إلخ، إلا أن الشهاب كان جامعًا في «حاشيته» لكل فنون التفسير، موائمًا بين الجانبين النقلي والعقلي.

والشهاب على الرغم من اعتماده في بيان معنى الآية على المأثور، لكنه ينبه إلى كون المعاني الأخرى مرادة، كما في قوله تعالى: **{وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي}** [طه: ١٤]، فالبيضاوي ذكر عدة أقوال في معنى الآية، ومن ضمن تلك الأقوال أن **{لِذِكْرِي}** أي: لذكر صلاتي، واستشهد عليه بقول النبي ×: «من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها إذا ذكرها؛ إن الله تعالى يقول: **{وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي}**، ثم قال الشهاب – معلقًا على هذا الحديث[١] –: هذا حديث صحيح، رواه أصحاب السنن، ووقع في البخاري، ولذا قال التوربشتي: «إن الآية تحتمل وجوهًا، ولكن الواجب المصير إلى وجه يوافق الحديث؛ فالمعنى: أقم الصلاة لذكرها؛ لأنه إذا ذكرها فقد ذكر الله، أو يقدر فيه مضاف؛ أي: لذكر صلاتي، أو وقع ضمير الله موقع ضمير الصلاة لشرفها وخصوصيتها» ا.هـ.

وقيل – تبعًا لصاحب «الكشف»[٢] وغيره –: لا نسلم أن الحديث يقتضي تعيين هذا

---

(١) الحاشية (١٩٤/٦).

(٢) وهو عمر بن عبدالرحمن الفارسي، صاحب «الكشف عن مشكلات الكشاف»، وهي حاشية على «تفسير الزمخشري».

الوجه لصحة إرادة الوجه الأول منه؛ لأن وضع الصلاة إذا كان لتذكر المعبود وهي محله، فإذا ذكرها المكلف تبادرت الحكمة في مشروعيتها إلى ذهنه، فيكون حاملاً على إقامتها؛ ولذا جعل الزمخشري تأويل الحديث تمحلاً، وبهذا اندفع ما قيل إنه لو أريد هذا لقيل: أقم الصلاة لذكرها -كما في الحديث-، والجواب بأن ذكر الصلاة سبب لذكر الله، فأطلق المسبب على السبب، أو المضاف مقدر، أو المراد للذكر الحاصل مني، فأضيف الذكر إلى الله لهذه الملابسة تكلف. ولا يخفى أنه لا يزيل التكلف بل يزيده، ثم إنه لا وجه لتخصيص الوجه الأول كما سترى.

والأظهر ما في بعض شروح «الكشاف» من أنه لما جعل المقصود الأصلي من الصلاة ذكر الله، وهو حاصل مطلوب في كل وقت، فإذا فاته الوقت المحدود له ينبغي المبادرة إليه ما أمكنه، فهو من إشارة النص لا من منطوقه حتى يحتاج لما ذكر؛ ولذا قال في «أحكام الجصاص»[1]: «هذا لا ينافي كون المعاني الأخر مرادة من الآية، فكأنه قال: أقم الصلاة المنسية لتذكرني فيها بالتسبيح والتعظيم أو لأذكرك بالثناء والمدح»، أو لأنها مكتوبة، أو لتخصني بالذكر فيها فتدبر».

وهكذا فإن الشهاب يرى أن اللفظ القرآني يحتمل وجوها كثيرة من المعاني، فإذا أمكن الجمع بين المأثور والمعقول فإنه يحمل النظم الكريم عليهما.

---

(١) الجصاص، أحكام القرآن (٣/ ٢٨٨).

الفصل الخامس

عنايته بعلوم العربية

لا شك في أن علوم العربية هي من أول الأولويات التي ينبغي لمن أراد ولوج عالم التفسير أن يلم بها ويحيط بدقائقها؛ فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، ولا بد لمفسره من أن يكون على دراية بمسائل العربية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وغيرها.

وقد اعتنى الشهاب في «عنايته» بهذه العلوم، واهتم بها اهتماماً عظيماً – ولا غرابة في ذلك فقد كان نحوياً لغوياً أديباً – حتى غدت هذه السمة، هي السمة البارزة في هذا الكتاب، وأصبح من الممكن تصنيفه ضمن الاتجاه اللغوي البياني في التفسير.

ولأن هذا الفصل هو عماد هذه الرسالة، فسينال نصيباً من التفصيل والتمثيل أكثر من غيره، وفي الصفحات التالية جولة في «عناية القاضي» تبين مقدار عنايته بعلوم العربية، وتعمقه في إدراك لطائفها وأسرارها، واستخدامه ذلك كلِّه في تفسير كتاب الله عز وجل.

المبحث الأول

اللغة

شكل البحث اللغوي جانباً مهماً في «حاشية الشهاب»، وكان هدف الشهاب الكشف عن أسرار لغة القرآن ودقائقها، وسأتعرض – إن شاء الله – لدراسة الجانب اللغوي عند الشهاب من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: بيان معاني الألفاظ:

يقول الراغب الأصفهاني(١): «أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن: العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة»؛ ولذلك اهتم الشهاب بمفردات القرآن اهتماماً كبيراً، وهو ما يتبين من خلال عرض مصادره المتنوعة في هذا الجانب، حيث اعتمد على أمهات كتب اللغة –كما سبق أن بينا أثناء الحديث عن مصادره–(٢).

والشهاب يحلل مفردات القرآن بدقة وتوسع يبلغ أحياناً كثيرة إلى درجة المعاجم اللغوية، ويقف عند التطور التاريخي للمفردة، ويدعم ذلك بأدلة من القرآن والسنة والشعر، مما يدل على التمكن من اللغة العربية، وحفظ شواهدها، وتبحره في علومها، وقد كان منهجه في بيان معاني الألفاظ القرآنية كما يلي:

أولاً: بيان المعاني المختلفة للكلمة في اللغة وقد يبين معناها في موضعها من السياق:

ومن الأمثلة على ذلك بيانه لمعنى النُّزُل في قوله تعالى: **{أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ**

---

(١) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٨.

(٢) انظر ص ٨٩ – ٩٤ عن هذه الرسالة.

الزَّقُومْ} [الصافات: ٦٢]. قال الشهاب[1]: «والنُّزُل – بضمتين وبالزاي – ما يعد للنازل من الطعام، أو هو مستعار من الحاصل للشيء، وله معانٍ أخر كريع الطعام، والفضل، والبركة، ولكن الأول هو المراد ليدل على ما ذكره من الدلالة والإشارة إلى ما مرّ من قوله: **{رِزْقٌ مَعْلُومٌ فَوَاكِهِ}** [الصافات: ٤١-٤٢] إلخ؛ لأنه رجوع إليه، والقصة المذكورة بينهما ذكرت بطريقة الاستطراد كما ذكره الزمخشري»[2].

ثانيًا: التأصيل اللغوي والتطور:

يتميز الشهاب بوقوفه على التطور التاريخي للكلمة وبيان التدرج في استعمالها عبر الفترات التي مرت بها اللغة العربية، والأمثلة على بيانه لأصل المفردة وتطورها في الاستعمال كثيرة اخترت منها المثالين التاليين:

أما المثال الأول: فكلامه عن أصل الوضع اللغوي لكلمة: (الكتاب) وتطور معناها، قال الشهاب – في تفسير قوله تعالى: **{ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ}** [البقرة:٢]–[3]: «قال الراغب[4]: «الكتب ضم أديم إلى أديم بالخياطة، يقال: (كتبت السقاء). وفي المتعارف: ضم الحروف بعضها إلى بعض، والأصل في الكتابة: النظم بالخط، وقد يقال ذلك للمضموم بعضه إلى بعض باللفظ، لكن قد يستعار كل واحد للآخر؛ ولذا سمي (كتاب الله) وإن لم يكن كتاباً، والكتاب في الأصل مصدر ثم سمي المكتوب كتاباً والمكتوب فيه كالكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها ا.هـ» ... وحاصله أن أصل حقيقته في اللغة: مطلق الضم، ثم خص بفرد منه وهو ضم الحروف بعضها إلى بعض في الخط، وصار

---

(١) الحاشية (٢٧٣/٧) وانظر أمثلة أخرى (٣٨/٢ و ٢٣٣/٣ و ٢٣٦/٤ و ٣٥٦/٦ و ٣٩٧/٨).

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف (٤٨/٤). ونص كلام الزمخشري هو: ««تمت قصة المؤمن وقرينه، ثم رجع إلى ذكر الرزق المعلوم فقال: {أذلك} ...».

(٣) الحاشية (١٨٦/١) وانظر أمثلة أخرى (٢٢٣/١-٢٢٥ و ٣٦/٢ و ٢٦٠/٤ و٥٣/٥ و ٣٣٦/٦ و ٨٥/٧).

(٤) انظر: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٤٧٢.

حقيقة فيه لغة أيضاً، ثم شاع في عرف اللغة إطلاقه على الخط والصحيفة المكتوب فيها، فلا يسمى قبل الكتابة كتاباً».

وأما المثال الثاني: قال تعالى: **{وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ}** [النساء: ٦]. فقد توقف الشهاب عند كلمة: **{آنَسْتُمْ}** وتكلم عن معنى الإيناس. قال – رحمه الله –[١]: «أصل معنى الإيناس: النظر من بعد مع وضع اليد على العين إلى قادم ونحوه مما يؤنس به، ثم عم في كلامهم. قال الشاعر:

آنستْ نبأة وأفزعها القناص عصراً وقد دنا الإمساء

أي: أحست أو أبصرت كما فسره به أهل اللغة، ثم استعير للتبين؛ أي: علم الشيء بيناً؛ إذ الرشد مما يعلم ولا يبصر».

ثالثًا: بيان معنى الكلمة عن طريق التفريق بينها وبين كلمة أخرى:

كتفريقه بين الخوف والخشية في قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ}** [الرعد: ٢١]. قال الشهاب[٢]: «في «فروق العسكري»[٣]: «الخوف متعلق بالمكروه ومُنْزِل المكروه، تقول: (خفت زيداً وخفت المرض)، والخشية تتعلق بمُنْزِلِ المكروه دون المكروه نفسه؛ ولذا قال تعالى: **{يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ}**»... وليس هذا بمسلم؛ لقوله: **{خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ}** [الإسراء: ٣١]، وقوله: **{لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ}** [النساء: ٢٥]، وقد فرق الراغب رحمه الله في

---

(١) الحاشية (١٠٦/٣).

(٢) المصدر السابق (٢٣٥/٥) وانظر أمثلة أخرى (٧٥/١ و١٩٠/٢ و٥٨/٣ و٨٠/٤ و٧٩/٦ و٤١٦/٨).

(٣) انظر: العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الفروق في اللغة، تحقيق جمال عبد الغني مدغمش، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، ص ٤٢٦.

«مفرداته» بينهما بفرق آخر فقال[١]: «الخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم؛ ولذلك خص العلماء بها في قوله تعالى: {**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**} [فاطر: ٢٨]» ومثله من الفروق أغلبي لا كلي وضعي».

رابعًا: الكلام عن إعمال اللفظ في كل واحد من مفهوميه:

وقد بين الشهاب معنى هذه العبارة أثناء كلامه عن استعمال كلمة (السجود) في قوله تعالى: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ ا÷ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ**} [الحج: ١٨]؛ حيث ذكر أن إعمال اللفظ يعني: «جعله دالاً على معنييه الحقيقيين، أو الحقيقي والمجازي، على القول بجواز استعمال المشترك في معنييه، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه»[٢].

ودلالة اللفظ على معنييه الحقيقيين يكون عند استعمال المشترك في معنييه، وقد أشار الشهاب إلى هذه المسألة في بعض المواضع من «حاشيته» كما في المثال التالي: قال تعالى: {**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ ا÷ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**} [يونس: ٦٢]. قال البيضاوي: «{**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ**} الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة».

قال الشهاب[٣]: «الولي ضد العدو؛ فهو المحب، ومحبة العباد طاعتهم، ومحبته لهم إكرامه ... وعلى الأول يكون فعيل بمعنى فاعل، وعلى الثاني بمعنى مفعول؛ فهو مشترك؛ فتفسير المصنف رحمه الله له بهما إما بناء على جواز استعمال المشترك في معنييه، وإما باستعماله في أحدهما وإرادة الآخر؛ لأنه لازم له، كما قيل: ما جزاء من يُحِب إلا أن يُحَب».

وأما دلالة اللفظ على معنييه الحقيقي والمجازي فهو استعماله في حقيقته ومجازه كما

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص١٦٧.

(٢) الحاشية (٢٨٨/٦).

(٣) المصدر السابق (٤٥/٥) وانظر أمثلة أخرى (٣١١/٢ و ٣٣٤/٤).

في المثال التالي: قال تعالى: **{يَحْلِفُونَ بِا÷ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ}** [التوبة: ٧٤]. قال البيضاوي – في بيان سبب نزول هذه الآية –: «روي أنه × أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين، فقال الجُلاَس بن سويد: لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقاً؛ لَنَحْنُ شرّ من الحمير، فبلغ رسول الله × فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت؛ فتاب الجلاس وحسنت توبته».

قال الشهاب –بعد أن خرّج الحديث وأعطى تعريفاً مختصراً بالجُلاَس وضبط اسمه–(١): «إسناد الحلف في الآية للجميع مع صدوره عن الجلاس وحده؛ لأنهم رضوا به واتفقوا عليه، فهو من إسناد الفعل إلى سببه، أو جعل الكل لرضاهم به كأنهم فعلوه – كما تقدم –، إذ لولا رضاهم ما باشره، ولا حاجة إلى عموم المجاز لأن الجمع بين الحقيقة والمجاز جائز في المجاز العقلي وليس محلاً للخلاف».

وهكذا نرى الشهاب يجمع بين الحقيقة والمجاز، ويرى جواز استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، ولعله يقصر ذلك على المجاز العقلي فقط، كما رأينا هنا عندما قيّد الجواز بالمجاز العقلي، وهذا القيد ذكره الشهاب أيضاً في موضع سابق عندما تكلم عن مسألة (التوسع في الظروف) فقال(٢): «الجمع بين الحقيقة والمجاز في المجاز الحكمي(٣) ليس محل الخلاف»، وقال أيضاً – أثناء كلامه عن قضية نسبة الفعل الواحد إلى فاعلين مختلفين باعتبارين مختلفين أحدهما حقيقياً والآخر مجازياً –(٤): «والجمع بين الحقيقة والمجاز في المجاز العقلي سائغ شائع – كما مر –».

---

(١) المصر السابق (٣٤٥/٤).

(٢) المصدر السابق (١٠٠/١).

(٣) المجاز الحكمي هو نفسه المجاز العقلي، وسمي حكمياً؛ لأن المجاز ليس في ذوات الكلم وأنفس الألفاظ، ولكن في أحكام أجريت عليها. انظر: مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م، ص٥٩٨.

(٤) المصدر السابق (١٨٣/٣).

ومما يدل على ذلك أنه جعل الجمع بين الحقيقة والمجاز إشكالاً ينبغي دفعه – كما في المثال التالي –: قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ}** [المائدة: ٦]. قال البيضاوي: **{وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَينِ}** نصبه نافع ... وجرّه الباقون ... وفائدته – أي الجرّ – التنبيه على أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلاً يقرب من المسح». قال الشهاب[١]: «قوله: (وفائدته التنبيه ... إلخ) ... وهذا يستفاد من صورة العطف لا من جعله معطوفاً على الممسوح ليفيد ما ذكره – كما قيل –. فإن قيل: العطف على الممسوح لا للمسح يكون جمعاً بين الحقيقة والمجاز، حيث أريد بالمسح بالنسبة إلى المعطوف عليه حقيقته، وبالنسبة إلى المعطوف الغسل الشبيه بالمسح في قلة استعمال الماء، قيل إنه إشكال قوي لا محيص عنه سوى الحمل على تقدير إعادة العامل في المعطوف مرادًا به المعنى المجازي؛ فتكون الأرجل معطوفة على الرأس في الظاهر، وهو من عطف الجمل في التحقيق؛ أي: وامسحوا بأرجلكم ...».

ومن الأدلة أيضاً على أنه يقصر جواز استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه على المجاز العقلي فقط هو أنه نسب القول بجواز استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه مطلقاً إلى الشافعية، مما يدل على مخالفته وعدم تبنيه لهذا الرأي[٢].

المطلب الثاني: الاشتقاق:

من المباحث اللغوية المهمة التي اهتم بها الشهاب: مبحث الاشتقاق؛ وذلك لأن معرفة اشتقاق الكلمة يزيد في بيان معناها ويوضحه، وقد كان الشهاب يبحث عن أصل المادة، ويقلب تصاريف اللفظة وصورها، مستعرضاً أقوال أئمة اللغة واتجاهاتهم المختلفة.

---

(١) الحاشية (٣/٢٢١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٦/ ٨٧ و٧/١٨٤).

وقد تكلم الشهاب في بداية «حاشيته» عن أنواع الاشتقاق وعرّفها وفرّق بينها فقال[١]: «الاشتقاق إن اعتُبِرَ فيه الحروف الأصول مع الترتيب وموافقة الأصل في المعنى فهو الاشتقاق الصغير، وإلا فإن اعتبر الحروف الأصول مع عدم الترتيب فالكبير، وإلا فإن اعتبر مناسبة الحروف في النوعية أو المخرج مع عدم الموافقة في جميع الحروف الأصول فالأكبر...».

وقد اعتنى الشهاب بهذه الأنواع الثلاثة في «عنايته»؛ ولذلك سأتناول هذا المطلب من خلالها، مع إعطاء تعريف مبسّط بكل نوع، ومثال من «الحاشية»:

أولاً: الاشتقاق الصغير: وهو أخذ كلمة من كلمة، بشرط أن يكون بين الكلمتين تناسب في اللفظ والمعنى وترتيب الحروف، مع تغاير الصيغة، كما تأخذ (اكتب) من (يكتب) وهذه من (كتب) وهذه من (الكتابة)[٢].

ومن أمثلة الاشتقاق الصغير قوله – عند الآية: **{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً}** [البقرة: ٢٢]–[٣]: «السماء من السمو؛ فلذا قالوا: إن أصل معناها لغة: كل ما علا سواء كان فلكاً أو سحاباً أو نفقاً».

وقد يورد أكثر من أصل اشتقاقي مرجحاً بينها، وقد يكتفي بذكر مختلف الاشتقاقات دون ترجيح، ومن الأمثلة على ذلك: قال تعالى: **{فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ}** [البقرة: ١٣٧]. قال الشهاب – في بيان الأقوال في اشتقاق كلمة (الشقاق)[٤] –: «واختلف في اشتقاق الشقاق: فقيل من الشق – بالكسر – أي الجانب؛

---

(١) المصدر السابق (٦٢/١)

(٢) غلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت – صيدا، ط٢٥، ١٤١٢هـ –١٩٩١م، (٢٠٨/١).

(٣) الحاشية (١٩/٢) وانظر أمثلة أخرى (٢٢٣/١ و ٢٠٤/٢ و ٣٥٢/٥ و ٤٠٠/٨).

(٤) المصدر السابق (٢٤٧/٢) وانظر أمثلة أخرى (٤٣/١–٤٥، ٥٤ – ٦٢، ٨٨–٨٩ و ١٨١/٣ و١١٠/٥–١١١، ١٨٨)

لأن كلا منهما في جانب غير الذي فيه الآخر ... وقيل إنه من المشقة، وقيل مأخوذ من قولهم: شق العصا إذا أظهر العداوة».

ثانيًا: الاشتقاق الكبير: وهو أن يكون بين الكلمتين تناسب في اللفظ والمعنى دون ترتيب الحروف، كجذب وجبذ[١].

ومن أمثلة هذا النوع: قال تعالى: **{وَادْعُو شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ ا÷ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}** [البقرة: ٢٣]. قال البيضاوي: «ومعنى **{دون}** أدنى مكان من الشيء». قال الشهاب[٢]: «(دون): يكون ظرف مكان في الأمكنة المتفاوتة والمتقاربة كـــ (عند)، إلا أنه ينبئ عن دنو وانحطاط؛ ولذا قيل: إنه مقلوب عن الدنو – كما ذكره الراغب[٣] –، ولا يخرج عن الظرفية إلا نادراً ... وإلى ما ذكر من الدنوّ أشار المصنف رحمه الله بقوله: (أدنى مكان) – كما في الكشاف[٤] وغيره – فبين دون والدنوّ مناسبة معنوية واشتقاق كبير، من غير حاجة لادعاء القلب فيه، بل لا يصح لاستوائهما في التصرف».

ثالثًا: الاشتقاق الأكبر: وهو أن يكون بين الكلمتين تناسب في مخارج الحروف، كنهق ونعق[٥].

ومن أمثلة الاشتقاق الأكبر تعليقه على كلام البيضاوي عند قوله تعالى: **{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}** [البقرة: ٣]. قال البيضاوي: «وأنفق الشيء وأنفذه أخوان». قال الشهاب[٦]: «والمراد بالأخوة: توافقهما في الاشتقاق، وهو هنا الاشتقاق الأكبر، وهو الاشتراك في أصل المعنى وأكثر الحروف مع التناسب في الباقي مخرجاً».

---

(١) غلاييني، جامع الدروس العربية (٢٠٨/١).

(٢) الحاشية (٤٠/٢) وانظر أمثلة أخرى (٥١/٥).

(٣) انظر: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص١٩٦.

(٤) انظر: الزمخشري، الكشاف (١٢٩/١).

(٥) غلاييني، جامع الدروس العربية (٢٠٨/١).

(٦) الحاشية (٢٢٩/١) وانظر أمثلة أخرى (٢٧٩/١ و ٢١٥/٤).

المطلب الثالث: التعليل اللغوي:

القارئ في «حاشية الشهاب» يلحظ لجوء الشهاب إلى التعليل أثناء مناقشته لبعض المسائل اللغوية بهدف إيضاح المعنى وزيادة الفائدة، فنراه يبين معنى اللفظة ويذكر سبب تسميتها بهذا الاسم، ومن أمثلة تعليلاته اللغوية:

أولاً: تعليل تسمية (الناس) بهذا الاسم[(١)]، حيث ذكر ذلك عند قوله تعالى: **{وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَا باللهِ وَباليَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بمُؤْمِنِين}** [البقرة: ٨]، فبين الأقوال في هذا المسألة وملخص كلامه أن:

١- هذه الكلمة مأخوذة من (أَنِس) من (الأُنْس) ضد الوحشة؛ لأن الإنسان يأنس بجنسه، واستشهد على ذلك بقول الشاعر:

وما سمي الإنسان إلا لأنسه   ولا القلب إلا أنه يتقلب

٢- هذه الكلمة مأخوذة من (آنس) بمعنى: أبصر، فسمي الإنسان بذلك؛ لأنه ظاهر محسوس.

٣- من (نسي) بالقلب؛ لقوله تعالى في آدم **{فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً}** [طه: ١١٥]، قال الشاعر:

نسيت وعدك والنسيان مغتفر   فاغفر فأول ناس أول الناس

ثانيًا: تعليله اشتقاق (الميسر) عند قوله تعالى: **{يَسْأَلُونَكَ عَنْ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ}** [البقرة: ٢١٩]، فذكر أن الميسر «مصدر وفعله: (أيسر) من اليسار؛ لأنه يأخذ ما يأخذه بيسر؛ أي: سهولة، أو الهمزة فيه للسلب، لأنه يسلب اليسار»[(٢)].

---

(١) الحاشية (٣٠٢/١).

(٢) المصدر السابق (٣٠٤/٢).

ثالثًا: بيان سبب تسمية (المسجد الأقصى) بهذا الاسم، ذكره عند قوله تعالى: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى}** [الإسراء: ١]. قال البيضاوي: «**{إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى}** بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد».

قال الشهاب[١]: «قوله (لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد). وجهٌ لتسميته بالأقصى بمعنى الأبعد، فهو أبعد بالنسبة إلى من بالحجاز، وفي «تاريخ القدس» أنه سمي به لأنه أبعد المساجد التي تزار من المسجد، وقيل لأنه ليس وراءه موضع عبادة، وقيل لبعده عن الأقذار والخبائث». هذه بعض الأمثلة على تعليلاته اللغوية وأشير إلى مواضع بعضها الآخر خشية الإطالة[٢].

---

(١) المصدر السابق (٧/٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٤٣/٢، ٢٤٧ و ٣٠٤/٤).

المبحث الثاني

النحو

أكد العلماء على أهمية علم النحو وعظم فائدته، فأفرد له الزركشي في «برهانه» مبحثاً خاصاً، وجعل معرفة النحو أحد أنواع علوم التنزيل[١]، كما عقد السيوطي في «إتقانه» النوع الحادي والأربعين لمعرفة إعراب القرآن، وفيه نوه بأهمية النحو والإعراب ومعرفة المعنى[٢].

والجانب النحوي ظهر جلياً في «حاشية الشهاب» فقد «نهج فيها نهج معربي القرآن الكريم»[٣]، وكان يطيل الكلام في عرض المباحث النحوية، ويستعرض مذاهب النحويين وآراءهم، ويستعرض خلافاتهم في الإعراب، حتى أصبحت هذه «الحاشية» «من أوفر كتبه حظاً في بحث المسائل النحوية»[٤]، وهدفه كمفسر أن يكشف المعنى ويجليه، ولعل السبب في ذلك كثرة المسائل النحوية التي أثارها البيضاوي في «تفسيره»، والتي رأى الشهاب أنها بحاجة إلى تنبيه أو تعليق أو شرح.

وهكذا أخذت المسائل النحوية حيزًا واسعًا من «حاشية الشهاب»، واهتم بها اهتماماً بالغاً، أبرز من خلاله دراية واسعة في هذا العلم، فنجده ينقل فيه عن أعلام النحاة كسيبويه والفراء وغيرهم، ويبين مختلف المذاهب النحوية من بصرية وكوفية، كما ينقل عن بعض

---

(١) انظر: الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، (٣٠١/١).

(٢) انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م (٥٧٥/١).

(٣) القضاة، الشهاب الخفاجي نحويًا ص٣٣.

(٤) القضاة، المصدر السابق ص٣٣.

المفسرين المهتمين بهذا الجانب كالزمخشري وأبي حيان وغيرهم، وهو في ذلك يقارن ويناقش ويرجح، مستعرضاً أثناء ذلك شتى الوجوه والأقوال، «ولعل تأخر عصره قد مكنه من الاطلاع على كثير من الآراء النحوية، فأتاح له ذلك فرصة أكبر في الموازنة بين الآراء، واختيار ما يراه مناسباً، وبهذا فقد كان نهجه توفيقياً أو انتقائياً»(١).

هذه المقدمة تعطي فكرة عامة عن منهجه في تناول القضايا النحوية، ولعل في الصفحات التالية توضيح وتفصيل لما قلناه، فقد كان منهجه كما يلي:

أولاً: ذكر وجوه الأعاريب في اللفظ القرآني أو التركيب، ثم بيان ما يترتب عليها من المعاني، فيربط بين الإعراب والتفسير، وكثيراً ما كان يرجح أحد تلك الوجوه.

ومن الأمثلة على ذلك إعراب (كما) في قوله تعالى: {**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ**} [البقرة: ١٣]. قال الشهاب(٢): «(كما) بعد الجمل في الأكثر: إما نعت لمصدر، وإما حال كما صرح به النحاة، والثاني مذهب سيبويه؛ لأن الصفة لا تقوم مقام موصوفها إلا في مواضع مخصوصة، فهي عنده حال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل، ولم تجعل متعلقه بـــ {**آمِنُواْ**} على أنّ الظرف لغو بناءً على أن الكاف لا تكون كذلك، وإذا كانت (ما) كافة للكاف عن العمل مصححة لدخولها على الجمل فالتقدير: حققوا إيمانكم كما تحقق إيمانهم، وإن كانت مصدرية فالمعنى: آمنوا إيماناً مشابهاً لإيمانهم، ولم تجعل موصولة لما فيه من التكلف».

وهكذا يسهم الشهاب – بمعرفته الواسعة، وإحاطته بشتى آراء النحاة – في توجيه مختلف الآراء التفسيرية، حسب الحالة الإعرابية التي تدل على المعنى المراد؛ إذ إن فهم الآية يتوقف على إعرابها.

---

(١) القضاة، المصدر السابق ص٣١.

(٢) الحاشية (٣٣٤/١) وانظر أمثلة أخرى (١٣٨/١-١٣٩ و ٩٤/٢ و ٢٢٠/٣ و ١٤٧/٤ و ١٤٣/٥-١٤٤ و ٣٢٤/٦).

ثانيًا: التحقيقات العلمية للقضايا النحوية، فهو لا يسلك سبيل النقل المجرد عن النظرة الذاتية وإثبات شخصيته العلمية، فنراه في كثير من المسائل النحوية يوجه أقوال من ينقل عنهم وينقد آراءهم ويضعفها وينتصر لما يظهر له أنه أرجح.

ومن الأمثلة على تحقيقات الشهاب ما قاله أثناء حديثه عن إعراب فواتح السور وجواز كونها في موضع جر بإسقاط حرف القسم، حيث ناقش قضية الاستغناء عن جواب القسم، وجعل محور حديثه رأي ابن هشام، فنقل كلامه ثم رد عليه، قال الشهاب[(١)]: «قال في «المغني»[(٢)]: «من الوهم قول كثير من المعربين والمفسرين في فواتح السور: إنه يجوز كونها في موضع جرّ بإسقاط حرف القسم، وهذا مردود؛ فإن ذلك مختص عند البصريين باسم الله سبحانه، وبأنه لا أجوبة للقسم في سورة البقرة وآل عمران ويونس وهود ونحوهنّ، ولا يصح أن يقال: قدر: **{ذَلِكَ الْكِتَابُ}** [البقرة: ٢] في البقرة، و **{اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ}** [آل عمران: ٢] في آل عمران جواباً، وحذفت اللام من الجملة الاسمية كحذفها في قوله:

ورب السماوات العلا وبروجها   والأرض وما فيها المقدر كائن

لأن ذلك على قلته مخصوص باستطالة القسم» ا.هـ ولعمري قد استسمن ذا ورم، وقد وهمهم وهم الواهم، وقد ساقه هنا بعضهم ظناً منه أنه وارد غير مندفع، وهو كلام واه؛ فإن اتباع البصريين ليس بفرض، فكفى لصحة ما ذكر كونه على مذهب الكوفيين.

وأما اعتراضه الثاني بأنه ليس في تلك السور أجوبة فجوابه ظاهر؛ لأنه كثيرًا ما يستغنى عن الجواب بما يدل عليه كمتعلقه في قوله تعالى: **{يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ}** [النازعات: ٦] أي: ليبعثنّ».

---

(١) المصدر السابق (١٧٩/١). وانظر: القضاة، الشهاب الخفاجي نحوياً، ص٤١-٤٣، وانظر أمثلة أخرى (٤٠١/١ و ٢/ ١٤٧-١٤٩ و ١٥٢/٣-١٥٣ و ١٤٩/٤-١٥٠ و ٨١/٦ و ٤٠١/٨).

(٢) انظر: ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، (٣٤٢/٢-٣٤٣).

وهكذا نرى الشهاب يتعقب النحاة في آرائهم ومذاهبهم، والمدارس النحوية في تشعب تياراتها، لا يرتضي الرأي إلا إذا لمس صوابيته، ولا يتبنى مذهباً إلا إذا ارتضاه عقله، فلا هو بصري ولا هو كوفي، ولا هو منقاد انقياداً أعمى لسيبويه أو الفراء، إنما هو الباحث الذي يتقصى الحقائق، والنحوي الذي يفرض شخصيته العلمية على ما يبحثه من قضايا.

ثالثًا: عدم التعصب لمذهب أو عالم، فآراؤه النحوية «يراوح فيها بين المذهبين: الكوفي والبصري، فقد وافق الفريق الأول في مسائل، ووافقه الفريق الثاني في مسائل أخرى»[١]، مع ميل إلى المذهب البصري[٢].

ومن الأمثلة على موافقته للبصريين ذهابه إلى جواز إعمال (إنْ) المخففة في الاسم الظاهر، فقد قال – عند قوله تعالى: **{وإِنْ كَانُواْ مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}** [آل عمران: ١٦٤]–[٣]: «و(إنْ) هذه إنْ دخلت على جملة اسمية، جاز إعمالها في الاسم الظاهر خلافاً للكوفيين، والسماع يبطل مذهبهم».

وقد وافق الكوفيين في بعض المسائل كالمثال الذي ذكرناه على تحقيقاته العلمية في النقطة السابقة، وكتقليده للفراء في إعراب كلمة **{هدى}** في قوله تعالى: **{ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ}** [البقرة: ٢]، حيث أعرب الشهاب **{هدىً}** حالاً من الضمير المجرور، وقال[٤]: «والمصدر يقع حالاً مبالغة بجعله عين الهدى أو مؤولاً بالتأويل المشهور»، ففي هذا النص نرى الشهاب يميل إلى رأي الفراء –شيخ المدرسة الكوفية–[٥].

---

(١) القضاة، الشهاب الخفاجي نحوياً، ص١٣٨.

(٢) انظر: القضاة، المصدر السابق، ص١٤٨.

(٣) الحاشية (٧٨/٣). وانظر: القضاة، المصدر السابق، ص١٤٨، وانظر أمثلة أخرى (٦٤/١ و ٢٣٠/٢ و ٨٨/٣ و ١٤٦/٦ –٢٤٧ و ٢٣٩/٧).

(٤) المصدر السابق (١٨٩/١). وانظر: القضاة، المصدر السابق، ص٤٤، وانظر أمثلة أخرى (١٧٩/١ و ٩٧/٣).

(٥) انظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق عبد الفتاح شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،

وهكذا فإن الشهاب لا يكتفي بنقل الآراء لمجرد العرض، بل يعقب برأيه المستند إلى حجته في الترجيح، ويعزز ذلك بأقوال النحويين المنتصرين لنفس الرأي.

رابعًا: بيان معاني الحروف:

يهتم الشهاب ببيان معاني الحروف المختلفة، مما له أثر في فهم النص، وما يترتب على ذلك من اختلاف التفسير كما نرى في المثالين التاليين.

قال تعالى: **{فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَذَا الْبَيْت * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْف}** [قريش: ٣-٤]. قال الشهاب[1]: «قوله تعالى: **{مِنْ جُوعٍ}** (من) تعليلية؛ أي: أنعم عليهم وأطعمهم لإزالة الجوع عنهم، فعلى التعليل يقدَّر فيه مضاف، أو هو علة باعثة عليه؛ فلا يرد عليه أن الإطعام لا يجامع الجوع كما قيل. وقيل: هي بدلية».

وهكذا يذكر الشهاب قولين في معنى حرف الجر (من): التعليل والبدل، وأشار إلى القول الثاني بصيغة التمريض (قيل)، مما يدل على تضعيفه لهذا القول.

مثال آخر كلامه عند قوله تعالى: **{وكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُون}** [الأعراف: ٤]. قال الشهاب – في بيان معاني (الفاء) في: **{فَجَاءهَا}**[2] –: «لما كانت الفاء للتعقيب، والهلاك بعد مجيء البأس بحسب الظاهر أولوا النظم بوجوه: أحدها: أن (أهلكنا) مجاز بمعنى: أردنا إهلاكها، كما في: **{إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ}** [المائدة: ٦]. الثاني: أن المراد بالإهلاك: الخذلان وعدم التوفيق؛ فهو استعارة، أو من إطلاق المسبب على السبب، أو المراد: حكمنا بإهلاكها، وقيل: تفسيرية، نحو: توضأ فغسل وجهه ... إلخ، وقيل للترتيب الذكري، وقيل: إنه من القلب، وقيل: (الفاء) بمعنى (الواو)، أو المراد: فظهر مجيء

(١٢/١).

(١) الحاشية (٤٠٠/٨) وانظر أمثلة أخرى (٣٧/١-٤٠ و ٣٥/٢-٣٧ و ٢٢٠/٣ و ٢٤٢/٤ و ٢٩٨/٥ و ١٥١/٦).

(٢) المصدر السابق (١٤٨/٤).

بأسنا واشتهر».

وهكذا نرى الشهاب يذكر الحالات المختلفة للحرف، ويبين المعاني التي يمكن أن تكون صحيحة ومقبولة، والمعاني التي تستبعد ولا تجوز، ولا ينسى أن يبين الآية بناءً على معنى الحرف.

خامسًا: توجيه النحو في تقرير عقيدته الأشعرية:

لا شك أن عقيدة أي باحث ومذهبه يؤثران في بحثه لكثير من القضايا التي يتناولها، ولا سيما أولئك الذين عنوا بالتأليف النحوي والبلاغي في تفسير القرآن، إذ أثرت مذاهبهم بصورة أو بأخرى في جوانب من بحوثهم ودراساتهم، والشهاب أشعري العقيدة؛ فلا غرابة إذن أن نلمح للعقيدة الأشعرية أثراً في تناوله بعض المسائل النحوية والبلاغية وتوجيهه لها.

والمثال الذي سأذكره في هذه النقطة – إن شاء الله – يدل على استخدامه للنحو في توجيه آيات القرآن لتتوافق مع عقيدته، وأما بالنسبة لأثر المذهب الأشعري في تناوله للمسائل البلاغية فسأتكلم عنه – بإذن الله – في المبحث المخصص للبلاغة في «حاشية الشهاب»[(١)].

ورد وصف الله سبحانه وتعالى بأنه فوق عباده في غير موضع في القرآن، وقد ذهب الأشاعرة إلى حمل الفوقية فيها على معنى القهر والقدرة، أو القدْر والمنزلة؛ ولذلك قال الشهاب – عند قوله تعالى: **{يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}** [النحل:٥٠][(٢)]–: «**{مِنْ فَوْقِهِمْ}** إما متعلق بـــ **{يَخَافُونَ}** وخوف ربهم كناية عن خوف عذابه، أو هو على تقدير مضاف ... أو هو حال من **{رَبِّهِمْ}** أي كائناً من فوقهم، ومعنى كونه فوقهم: قهره وغلبته».

---

(١) انظر ص ١٩٠ – ١٩٢ من هذه الرسالة

(٢) الحاشية (٥/٣٣٨). وانظر: ذياب، شاهر فارس حسين، أثر العقيدة الأشعرية في التوجيه النحوي واللغوي لنصوص القرآن والسنة (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م، ص١٣٢–١٣٤. وانظر أمثلة أخرى (٢/ ٢٩٧).

وهكذا نرى الشهاب يذكر عدة وجوه في إعراب **{مِنْ فَوْقِهِمْ}** بهدف إثبات ما ذهب إليه من أن الفوقية هنا بمعنى القهر والغلبة، فذكر أن الجار والمجرور **{مِنْ فَوْقِهِمْ}** إما أن يكون متعلقاً بالفعل **{يَخَافُونَ}** وخوف ربهم كناية عن خوف عذابه، ومن عادة العذاب أن يكون من جهة فوق، أو هو على تقدير مضاف؛ أي: يخافون عذاب ربهم، وإما أن يكون: **{مِنْ فَوْقِهِمْ}** حالاً من **{رَبِّهِمْ}**؛ فالفوقية – حينئذٍ – فوقية قهر وغلبة.

المبحث الثالث

الصرف

عرّف الأستاذ الغلاييني علم الصرف بقوله(١): «هو العلم بأحكام بِنْية الكلمة، وبما لأحرفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وإبدال وشبه ذلك».

«والصرف من أهم العلوم العربية؛ لأن عليه المعول في ضبط صيغ الكلم، ومعرفة تصغيرها والنسبة إليها والعلم بالجموع القياسية والسماعية والشاذة، ومعرفة ما يعتري الكلمات من إعلال أو إدغام أو إبدال، وغير ذلك من الأصول التي يجب على كل أديب وعالم أن يعرفها»(٢).

وقد اهتم الشهاب بهذا الفن؛ إذ كان يبين الميزان الصرفي لألفاظ القرآن، ويذكر ما جرى على الكلمة من إدغام وإعلال وقلب وإبدال، كما كان يعرض لأقوال التصريفيين وخلافهم في وزن الكلمة وكثيراً ما كان يرجح وجهاً على وجه، ويمكننا أن نلخص منهجه في النقاط التالية:

أولاً: بيان الميزان الصرفي للألفاظ القرآنية وذكر الخلاف مع الترجيح أحياناً: ومن الأمثلة على ذلك كلامه عن أصل كلمة (آية) ووزنها عند قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}** [البقرة: ٣٩]. قال الشهاب(٣): «وفي أصلها ووزنها ستة أقوال: فمذهب سيبويه والخليل أن أصلها: (أيية) – بفتحات – قلبت ياؤها الأولى ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها على خلاف القياس؛ لأنه إذا اجتمع حرفا علة أعلّ

---

(١) غلاييني، جامع الدروس العربية (٢٠٧/١).

(٢) غلاييني، المصدر السابق (٩/١).

(٣) الحاشية (١٤٣/٢) وانظر أمثلة أخرى (١١٩/٢ و ٢٨٧/٣-٢٨٨ و ١٦٩/٤ و ٤٠٢/٨).

الآخر لأنه محل التغيير ...، ومذهب الكسائي أن وزنها: (آئية) على وزن: (فاعلة)، فكان القياس أن تدغم كداية إلا أنه ترك ذلك تخفيفاً فحذفوا عينها كما خففوا كينونة، ومذهب الفراء أنها: (فعلة) – بسكون العين – من تأيا القوم إذا اجتمعوا...، وذهب بعض الكوفيين إلى أنّ وزنها: (أيية) كنبقة فأعل، وهو في الشذوذ كمذهب سيبويه والخليل، وقيل وزنها: (فعلة) – بضم العين –، وقيل أصلها: (أياة) فقدمت اللام وأخرت العين، وهو ضعيف. فهذه ستة مذاهب لا يخلو واحد منها من شذوذ».

ثانيًا: يذكر المعاني المختلفة للصيغ المختلفة:

كتعليله لاستخدام كلمة (الحيوان) في وصف الدار الآخرة – وأنها أبلغ من كلمة (الحياة) – في قوله تعالى: {**وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيْوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ**} [العنكبوت: ٦٤]. قال الشهاب[١]: «والحيوان مصدر سمي به ذو الحياة في غير هذا المحل، وكلاهما مصدر، لكن الحيوان أبلغ؛ لأن فعلان – بفتح العين – [من] [٢] المصادر الدالة على الحركة».

ثالثًا: إبداء رأيه فيما ينقل:

لا يسوق الشهاب المعلومات سوق المعجب أو الموافق دائماً، وإنما يبدي رأيه فيما يذكر، وينقد آراء من ينقل عنهم وينتصر لما يراه صواباً:

قال الشهاب – في تعليقه على القاعدة الصرفية (زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى)[٣]–: «هذه القاعدة أول من أسسها ابن جني في «الخصائص»[٤]، وقررها في «المثل

---

(١) المصدر السابق (١٠٩/٧) وانظر أمثلة أخرى (٢٧٩/١-٢٨٠و ٢٩٤/٤).

(٢) في الأصل: (في) ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) الحاشية (٦٦/١) وانظر أمثلة أخرى (٢٧٩/١-٢٨٠ و ٢٤٦/٢ و ٢٦٠/٤).

(٤) انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق عبدالحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، (٢/ ٤٦٨).

السائر»[١] بما حاصله: أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه لا لغرض آخر لفظي كالإلحاق، فلا بد أن يتضمن المنقول إليه معنى أكثر مما تضمنه الأول؛ لأن الألفاظ ظروف المعاني، فإفراغها في ظرف أوسع مما كانت فيه من غير فائدة عبث، وهذا مما لا نزاع فيه نحو: خشن واخشوشن، وقال: إنه لا بد أن يكون ذلك في فعل أو مشتق، وظنه بعضهم مطلقاً؛ فأورد عليه أن عليماً أبلغ من عالم مع تساويهما، وأورد غيره نحو: رجل ورجيل ...

وأنت إذا تنبهت [إلى أن] [٢] القاعدة مخصوصة بالأكثر الذي نقلته العرب عن الأقل وغيرته عنه علمت أن أكثر ما أورد مدفوع بالتي هي أحسن، وأن قوله قدس سره[٣] – كغيره –: إنه منقوض بمثل: حذر وحاذر. وجوابه بأن شرطه بعد تلاقي الكلمتين في الاشتقاق اتحادهما في النوع كفرح فرحاً، وأنه أكثري فلا نقض، وبأن (حذر) إنما كان أبلغ لإلحاقه في الثبوت بالأمور الجبلية كشره وفطن؛ فجاز أن يكون (حاذر) أبلغ من (حذر) لدلالته على زيادة الحذر، وإن لم يدل على ثبوته ولزومه...».

رابعًا: ذكر ما جرى للكلمة من إدغام وإعلال وقلب وإبدال:

مثال ذلك ما ذكره في (خطايا) وما جرى لها من إبدال وقلب. يقول الشهاب – عند قوله تعالى: **{وَادْخُلُوا البَابَ سُجداً وَقُولُوا حِطّة نَغْفِر لَكُمْ خَطايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ المُحْسِنِينَ}** [البقرة: ٥٨]، حيث تكلم عن أصل كلمة (خطايا) –[٤]: «فيه أقوال:

---

(١) انظر: ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق كامل عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٨٨ م، (٢/ ٤١).

(٢) في الأصل: (لأن) ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) انظر: السيد الشريف، حاشية السيد الشريف على الكشاف (٤١/١).

(٤) الحاشية (١٦٥/٢) وانظر أمثلة أخرى (١١٩/٢ و٢٨٧/٣–٢٨٨ و١٣٤/٤ و٢٩٨/٥ و٣٧٥/٦).

الأول: قول الخليل: إن أصلها (خطايئ) بياء بعد ألف ثم همزة؛ لأنها جمع خطيئة كصحيفة وصحائف، فلو تركت على حالها لوجب قلب الياء للهمزة – كما تقرر في التصريف –؛ فقدمت لئلا يجتمع همزتان، فقلب فصار: (خطائي)، فاستثقلوا كسرة بعدها ياء؛ فقلبوها فتحة والياء ألفاً، فصارت: (خطاآ) بهمزة بين ألفين، فقلبت الهمزة ياءً لئلا يجتمع أمثال؛ لأنها من جنس الألف، فوزنه: (فعالى)، وفيه أربعة أعمال.

والثاني: أن أصله: (خطايئ) بهمزتين: منقلبة وأصلية، فأخروا الأولى لتصير المكسورة طرفاً، فتنقلب ياء، فتصير: (فعالى)، ثم فتحوا الأولى فانقلبت الياء بعدها ألفاً، وأبدلت ياء لوقوعها بين ألفين – كما مر – ففيه خمس تغييرات والأول أقوى.

والثالث: قول الفراء: إنه جمعٌ لِـ (خطية) كهدية وهدايا».

المبحث الرابع

البلاغة

عُنِي الشهاب في «حاشيته» بالبلاغة عناية خاصة، فتوقف عند القضايا البلاغية التي أثارها البيضاوي، فشرحها ووضحها وناقشه فيها أحياناً، ولم يكتف بذلك، بل كان الشهاب يستخرج «المسائل البلاغية من الآيات، سواء كانت تلك المسائل تختص بعلم المعاني أو البيان أو البديع. وقد كان له في ذلك الباع الطويل، حيث نالت مسائل البلاغة منه الحظ الوافر، والبحث الدقيق المتأني؛ لإبراز بلاغة القرآن في أعظم صورها، وأبهى حللها، وهو لا يدخر وسعاً في ذلك، بل يبذل أقصى ما يمكن في بيان الأغراض والنكات البلاغية»[1].

وقد جاءت البلاغة في «حاشية الشهاب» متناثرة، وفقاً لما يثيره البيضاوي منها، دون ترتيب أو تبويب من أي نوع، وذلك أمر طبيعي؛ «فالحاشية» ليست كتاب بلاغة، وإنما هي شرح «لأنوار التنزيل»، يدور معه حيث يدور.

هذا الأمر الأول، وأما الأمر الثاني فهو أن البلاغة قد جاءت في «الحاشية» تطبيقية، لا نظرية مجردة، فالشهاب كثيراً ما يشرح الصورة البلاغية بأسلوبه الأدبي الذي تحدثنا عنه[2]، ويزيدها وضوحًا بضرب الأمثلة والشواهد من القرآن والشعر والنثر.

ويمكن القول: إن الشهاب قد تناول في «حاشيته» معظم فنون البلاغة بعلومها الثلاثة، ولكن قبل عرض جهود الشهاب في علوم المعاني والبيان والبديع، سأتناول بإيجاز منهجه في الكلام عن القضايا البلاغية في «حاشيته»، وهذا ما سيكون في المطلب الأول من هذا المبحث – إن شاء الله تعالى –.

---

(١) النكلاوي، البيان عند الشهاب الخفاجي (٢٠/١).

(٢) انظر ص ٦٦ من هذه الرسالة.

المطلب الأول: منهجه في عرض المسائل البلاغية وتحقيقها:

أولاً: يأخذ الشهاب في استنباطه النكات البلاغية من الآيات بمذهب جمهور البلاغيين، وإن كان يخرّج بعض النكات أحياناً على مذهب القلة، أو يأخذ بآراء مخالفة لما عليه الجمهور(١).

ومن ذلك موافقته لرأي السكاكي في عده ما أفاد التشبيه من أسلوب التجريد(٢) تشبيهاً بليغاً، مخالفاً بذلك رأي الجمهور(٣)، كما في المثال التالي:

في قوله تعالى: **{فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنْ الأَوْثَانِ}** [الحج: ٣٠] قال البيضاوي: «فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، كما تجتنب الأنجاس، وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها». قال الشهاب(٤): «قوله (كما تجتنب الأنجاس) إشارة إلى أنه تشبيه بليغ على طريق التجريد، وغاية المبالغة والتنفير من جعلها نجاسة».

---

(١) انظر: النكلاوي، البيان عند الشهاب الخفاجي (٢١/١)؛ هاشم، الالتفات في حاشية الشهاب ص٤٨-٤٩.

(٢) التجريد: هو أن يُنْتَزَعَ من أمر ذي صفة أمرٌ آخرُ مثله في تلك الصفة مبالغةً في كمالها فيه. وهو أحد أنواع البديع. ومن الأمثلة عليه قوله تعالى: {لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ} [فصلت: ٢٨] فإن جهنم هي دار الخلد، لكن انتزع منها مثلها، وجُعِلَ مُعَدًا فيها للكفار؛ تهويلاً لأمرها. انظر: الخطيب القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص٣٧٤.

(٣) انظر: السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٤٦٣. وقال العلامة سعد الدين التفتازاني - مبيناً رأي الجمهور وأنهم لا يدخلون هذا النوع في التشبيه ولا في الاستعارة -: «... هذا إذا كان اسم المشبه به خبراً عن اسم المشبه، أو في حكم الخبر، وإن لم يكن كذلك نحو: (رأيت بزيد أسداً) و (لقيني منه أسد) فلا يسمى استعارة بالاتفاق؛ لأنه لم يجر اسم المشبه به على ما يدعى استعارته له، لا باستعماله فيه، كما في: (لقيت أسداً) ولا بإثبات معناه له، كما في: (زيد أسد) على اختلاف المذهبين. ولا يسمى تشبيهاً أيضاً؛ لأن الإتيان باسم المشبه به ليس لإثبات التشبيه، إذ لم تقصد الدلالة على المشاركين، وإنما التشبيه مكنون في الضمير لا يظهر إلا بعد تأمل خلافاً للسكاكي؛ فإنه سمى مثل ذلك تشبيهاً». انظر: التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، المطول، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص٥٦٤-٥٦٥.

(٤) الحاشية (٢٩٥/٦) وانظر: النكلاوي، البيان عند الشهاب الخفاجي (٦٤/١-٦٥).

ثانيًا: تحقيقاته العلمية للقضايا البلاغية سمة ظاهرة في «حاشية الشهاب»، «فالمطلع على هذه «الحاشية» لا يتطرق إليه شك أن الرجل اطلع على جُل كتب البلاغة السابقة عليه، وفهمها جيداً، وطبقها على «شرحه لتفسير البيضاوي»»»[١]؛ ولذلك تناثرت في «الحاشية» كثير من المباحث البلاغية المستقلة، فكان الشهاب يأخذ قضية ما، يبحثها ويحققها حتى يجليها ويجعلها واضحة للقارئ.

وفيما يلي قائمة ببعض المباحث البلاغية في «حاشيته»:

١- دلالة الجملة الاسمية على الثبوت والفعلية على التجدد[٢].

٢- الالتفات[٣].

٣- التضمين[٤].

٤- السجع في القرآن[٥].

٥- المعاريض[٦].

٦- الترشيح وأقسامه[٧].

٧- الكلام على الاستعارة والتشبيه البليغ[٨].

٨- الفرق بين التجريد والقرينة[١].

---

(١) هاشم، الالتفات في حاشية الشهاب ص١٤.

(٢) انظر: الحاشية (١/٨٢-٨٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/١١٣-١١٦).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/٢١١-٢١٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (١/٢٣٠).

(٦) انظر: المصدر السابق (١/٣٢٥-٣٢٦).

(٧) انظر: المصدر السابق (١/٣٥٨-٣٥٩).

(٨) انظر: المصدر السابق (١/٣٨١-٣٨٢).

٩- الفرق بين التهكم والتنويع(٢).

١٠- الفرق بين الكناية والتعريض(٣).

١١- الكناية على الكناية(٤).

١٢- الصورة البيانية في قولهم: (سقط في يده) (٥).

١٣- الجمع بين الحقيقة والمجاز جائز في المجاز العقلي(٦).

١٤- الكلام على أحد أنواع البديع وهو: (تسمية النوع) وأنه وقع في القرآن(٧).

١٥- الكلام على الوصل الخفي(٨).

ثالثًا: والشهاب في نقله للأقوال والآراء، تبدو شخصيته بارزة - كعادته -، فهو لا ينقل فقط، بل يبدي وجهة نظره فيما ينقل، فيخالف بعض البلاغيين فيما ذهبوا إليه، ويرجح أقوال بعضهم.

ففي قوله تعالى: **{تَبّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَب}** [المسد: ١] قال البيضاوي: «**{يَدَا أَبِي لَهَبْ}** نفسه، كقوله: **{وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التّهْلُكَةِ}** [البقرة: ١٩٥]، وقيل إنما خصتا لأنه عليه السلام لما نزل عليه: **{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِين}** [الشعراء: ٢١٤] جمع أقاربه فأنذرهم، فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا دعوتنا، وأخذ حجراً ليرميه به، فنزلت، وقيل: المراد

---

(١) انظر: المصدر السابق (٣٨٣/١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٦٠/٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (٣٢٢/٢).

(٤) انظر: المصدر السابق (٥٩/٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (٢١٩/٤-٢٢٠).

(٦) انظر: المصدر السابق (٣٤٥/٤).

(٧) انظر: المصدر السابق (١٢١/٥).

(٨) انظر: المصدر السابق (٢٣٠/٦-٢٣١).

بهما دنياه وأخراه».

قال الشهاب – مناقشاً لمن رد القول بأن هذه الآية مجاز علاقته الجزئية؛ لفقدها بعض شروط هذه العلاقة[١] –: «قوله: (نفسه) فاليدان: إما كناية عن الذات والنفس لما بينهما من اللزوم في الجملة، أو مجاز من باب إطلاق الجزء على الكل – كما قاله محيي السنة[٢] –، ورده بأنه يشترط فيه أن يكون الكل يعدم بعدمه كالرأس، واليد ليست كذلك، غير مُسَلَّم وإن ذكر في الأصول؛ لتصريح من يقتدى به بخلافه هنا وفي قوله: **{وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}** – كما مرّ في سورة البقرة –، أو المراد بذلك الشرط أنه يعدم حقيقة أو حكماً، كما في إطلاق العين على الربيئة، واليد على المعطي أو المتعاطي لبعض الأفعال، فإن ذاته من حيث اتصافها بما قصد اتصافها به تعدم بعدم ذلك العضو؛ إذ لا تكون رؤية بدون عين، كما لا يكون معطياً بغير يد فتدبر».

رابعًا: توجيه البلاغة في تقرير عقيدته الأشعرية:

تكلمت أثناء تناولي لمنهج الشهاب في القضايا النحوية عن أثر عقيدته الأشعرية في التوجيه النحوي لآيات القرآن، وقلت بأنني سأتكلم عن أثر أشعريته في التوجيه البلاغي للآيات في المبحث المخصص للبلاغة عند الشهاب، وهذا ما سنراه في المثال التالي[٣]:

ورد إسناد الرحمة والغضب إلى الله سبحانه في آيات عديدة من القرآن، ويذهب الأشاعرة إلى أن هذه الصفات تستحيل حقيقة على الله تعالى؛ فيجب حملها على المجاز.

---

(١) المصدر السابق (٤٠٨/٨). وانظر: النكلاوي، البيان عند الشهاب الخفاجي (٣٧١/٢-٣٧٣). وانظر أمثلة أخرى (١/ ٣٥٧، ٣٩٩ و ٨٥/٢ و ٣٢٠/٥-٣٢١ و ١٢٥/٨-١٢٦).

(٢) انظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، (٨/ ٥٨١).

(٣) الحاشية (١٤٢/١-١٤٤). وانظر: ذياب، أثر العقيدة الأشعرية في التوجيه النحوي واللغوي لنصوص القرآن والسنة ص ٧٤- ٧٩، وانظر أمثلة أخرى (٨٥/٢ و ٤٧/٤ و ١٣٤/٨).

قال الشهاب – في تفسير قوله تعالى: **{غَيْرِ المَغْضُوب عَلَيْهِمْ}** [الفاتحة: ٧]–: «قال العلامة القرافي في كتاب «القواعد»: «كل ما يستحيل حقيقة عليه تعالى فهو محمول على المجاز كالرحمة والغضب ...»».

ثم نقل الشهاب كلام الشريف الجرجاني في شرح قول الزمخشري(١): «فإن قلت: ما معنى غضب الله؟ قلت: هو إرادة الانتقام من العصاة، وإنزال العقوبة بهم، وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده». قال الشهاب: «وقال قدس سره(٢): «الغضب والرحمة من الأعراض النفسانية المستحيل إطلاقها عليه تعالى، فيصرف الكلام عن ظاهره، وذلك من وجوه:

الأول: أن تجعل الرحمة: إرادة الإنعام، والغضب: إرادة الانتقام؛ إطلاقاً لاسم السبب على المسبب القريب.

الثاني: أن يجعلا مجازاً عن الإنعام والانتقام؛ إطلاقاً لاسم السبب على المسبب البعيد.

الثالث: أن يحمل الكلام على الاستعارة التمثيلية. والمصنف – أي الزمخشري – اختار في الرحمة: الثاني، وفي الغضب: التمثيلية؛ بأن تشبه حاله تعالى مع العصاة في عصيانهم له، وإرادته الانتقام منهم وإنزاله العقوبة بهم بحال الملك إذا غضب على من عصاه فأراد أن ينتقم منه ويعاقبه ...»».

ثم شرع الشهاب في التعقيب على كلام الشريف واستطرد – كعادته –، بعدها ختم كلامه عن هذه القضية بقوله: «ثم إن الغضب وإن كان منفياً صريحاً فهو مثبت ضمناً، وقد أسند إليه في غير هذه الآية – أي قوله تعالى: **{غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}** –، فلا يرد أن

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف (٥٩/١).

(٢) انظر:السيد الشريف ، حاشيةالسيد الشريف على الكشاف (٧١/١-٧٢).

الغضب منفي فلا حاجة للتجوز فيه وسيأتي تحقيقه[١] في قوله تعالى: **{إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي...}** الآية [البقرة: ٢٦]. وأما ما قيل من أن الغضب مشترك بين ما ذكروه، وبين ما يصح إطلاقه عليه تعالى كالإرادة المذكورة؛ فإطلاقه على الله حقيقة كغيره من الصفات التي تطلق على العباد كالسميع البصير، إن أراد أنه كذلك في الوضع اللغوي؛ فمخالف للمعقول والمنقول، وإن أراد في عرف الشرع ولسانه جاز، لكنه لا يرد على من حقق مجازيته. ونحن أطلنا هنا، فإنه لا يسأم من الخير».

المطلب الثاني: جهود الشهاب البلاغية في «حاشيته»:

كما ذكرنا – في مقدمة هذا المبحث – فقد تناول الشهاب في «حاشيته» معظم فنون البلاغة بعلومها الثلاثة؛ ولذا فقد عمدت إلى جمع ما تناثر منها في «عنايته»، وترتيبها وتصنيفها تبعاً لما استقرت عليه البلاغة في تقسيماتها الأخيرة، وسأصدر كل فن بلاغي يتم بحثه بتعريفه اعتماداً على كتاب: «البلاغة: فنونها وأفنانها» لشيخنا الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس حفظه الله، ثم أعرض القضية البلاغية كما جاءت في «الحاشية» مع بعض التوضيح.

وأود أن أنبه إلى أنني لن أتناول جميع المسائل البلاغية التي عرض لها الشهاب؛ فهي كثيرة، ولكنني سأختار نماذج منها، وفيما يلي عرض لجهود الشهاب في علوم المعاني والبيان والبديع:

الفرع الأول: علم المعاني:

علم المعاني: هوالعلم الذي نؤدي به الكلام حتى يكون مطابقاً لمقتضى الحال، من تقديم وتأخير، وحذف وذكر، وفصل ووصل، وتعريف وتنكير، وقصر، وإيجاز وإطناب[٢].

---

(١) انظر: الحاشية (٢/٨٥).

(٢) عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط٤، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م،

وقد تناول الشهاب مباحث هذا العلم في «حاشيته» ومن الأمثلة على ذلك:

أولاً: التقديم والتأخير:

يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني – في بيان أهمية التقديم والتأخير[١]–: «هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، ولا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان».

ومن الأمثلة عليه كلامه عن الغرض البلاغي من تقديم المسند[٢] في قوله تعالى: **{لا فِيهَا غَوْلٌ}** [الصافات: ٤٧]. قال الشهاب[٣]: «قوله تعالى: **{لا فِيهَا غَوْلٌ}** قدم فيه الظرف للتخصيص، والمعنى: ليس فيها ما في خمور الدنيا من الخمار، وفيه كلام في كتب المعاني».

ثانياً: الحذف والذكر:

يقول الشيخ عبد القاهر – في بيان مزايا الحذف[٤]–: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ،

ص٨٨.

(١) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م، ص٨٥.

(٢) المسند حقه التأخير، ولكننا نقدمه إذا اقتضى الحال تقديمه كتخصيصه بالمسند إليه أو التنبيه على الخبرية أو التشويق. انظر: البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني ص٢٢٩–٢٣٣.

(٣) الحاشية (٢٧٠/٧). وانظر (٢٠١/١) حيث قارن الشهاب بين هذه الآية وبين قوله تعالى: {ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ} [البقرة: ٢] وتكلم عن تقديم المسند – (فيه) – في هذه الآية وتقديم المسند إليه – (ريب) – في آية البقرة. وانظر أمثلة أخرى (١/ ٣٥–٣٦ و ٥٢/٢ و ٥٥/٣ و ١٩٢/٤ و ٢٥٨/٦ و ٣٥٥/٨).

(٤) الجرجاني، دلائل الإعجاز ص١٠٦.

وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها متى تنظر».

ومن ذلك ما جاء عند قوله تعالى: **{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}** [القصص: ٢٣-٢٤]، فقد تكلم الشهاب عن حذف المفعول في عدة مواضع من هاتين الآيتين – وهي: يسقون، تذودان، لا نسقي، فسقى لهما–، وذكر أقوال العلماء في الغرض البلاغي من هذا الحذف.

يقول الشهاب – معلقاً على قول البيضاوي: «فحذف المفعول لأن الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما، ويدعوه إلى السقي لهما»[١]–: «قوله (فحذف المفعول) أي: في الأفعال الثلاثة أو الأربعة، وهذان مذهبان: مذهب الزمخشري[٢] وعبد القاهر[٣]، وهو أن القصد إلى نفس الفعل، فنزل منزلة اللازم؛ أي: يصدر منهم السقي، ومنهما الذود. وأما أن المسقي والمذود إبل أو غنم فخارج عن المقصود، بل ربما يوهم خلافه، إذ لو قيل أو قدر: يسقون إبلهم، ويذودان غنمهما لتوهم أن الترحم لهما ليس من جهة أنهما على الذود، والناس على السقي، بل من جهة أن مذودهما غنم، ومسقيهم إبل، كما إذا قلت: مالك تمنع أخاك، فالمنكر منع الأخ، لا المنع من حيث هو.

وخالفهما صاحب «المفتاح»[٤] فذهب إلى أنه محذوف للاختصار، والمراد: يسقون مواشيهم، ويذودان غنمهما، وكذا سائر الأفعال في الآية؛ لأن الترحم لم يكن من جهة صدور

---

(١) الحاشية (٦٩/٧-٧٠) وانظر أمثلة أخرى (٣٥/١ و٢٦٤/٣ و٨٨/٤ و١٣/٦ و٣٥٤/٧ و٣٩٤/٨).

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف (٤٠٥/٣).

(٣) انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز ص١١٦.

(٤) انظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٣٣٤.

الذود عنهما، والسقي من الناس، بل من جهة ذودهما غنمهما وسقي الناس مواشيهم حتى لو ذادا غير غنمهما، وسقى الناس غير مواشيهم لم يصح الترحم».

ومن الأمثلة على الذِّكر نقله لكلام الزمخشري في تكرير اسم الإشارة **{أولَئِكَ}** في قوله تعالى: **{أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** [البقرة: ٥]. يقول الشهاب[١]: «وفي تكرير **{أولَئِكَ}** تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الأثرة بالهدى، فهي ثابتة لهم بالفلاح».

يقول الدكتور فضل عباس عن هذه الآية ولعل في كلامه – حفظه الله – توضيحًا لكلام الشهاب[٢]: «فإن اسم الإشارة – وهو المسند إليه – ذكر أولاً في قوله تعالى: **{أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَبِّهِمْ}**، وذكر ثانياً في قوله تعالى: **{وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**، وهذا الذكر لزيادة الإيضاح والتقرير وليؤكد اختصاصه بالمسند، فهؤلاء الذين ثبتت لهم الهداية هم الذين ثبت لهم الفلاح، واختصوا به دون غيرهم».

ثالثًا: التعريف والتنكير:

أما التعريف فيكون بالضمير وبالعلمية وباسم الإشارة وبالاسم الموصول وبـــ (أل)[٣] وبالإضافة[٤]، ومن الأمثلة عليه: تعريف الخبر في قوله تعالى: **{اللَّهُ الصَّمَدُ}** [الإخلاص: ٢]، فقد جاءت كلمة **{الصَّمَدُ}** معرفة، ويقول الدكتور فضل عباس – في تعليل ذلك[٥] –: «أما الصمدية، فمع أنهم كانوا يعترفون بها لله، فإنهم كانوا يعترفون بها لغيره كذلك، فجاء النظم

---

(١) الحاشية (٢٥٠/١). وانظر: الزمخشري، الكشاف (٨٥/١). وانظر أمثلة أخرى (٨٨/٤ و ٤١٢/٨).

(٢) عباس، البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني ص٢٥٠.

(٣) انظر كلام الشهاب عن التعريف باللام وأنواعه: الحاشية (٨٤/١).

(٤) انظر: عباس، البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني ص٢٩٧-٣٢٨.

(٥) عباس، المصدر السابق ص٣٢٤.

في الآية الكريمة، فعرّف الجزئين **{اللَّهُ الصَّمَدُ}** أي: الله وحده الذي ينبغي أن تكون له هذه الصفة، فالصمدية له وحده لا يشاركه فيها غيره. ذلكم هو سر النظم».

أما البيضاوي فقد جعل السر في ذلك هو علمهم بصمديته، فعلق الشهاب على ما ذهب إليه البيضاوي بقوله(١): «قال المحقق الدواني(٢): «هذا لا يخلو عن كدر؛ لأن علم المخاطب بمضمون الخبر لا يقتضي تعريفه، بل إنما يقتضي أن لا يلقى إليه إلا بعد تنزيله منزلة الجاهل؛ لأن إفادة لازم فائدة الخبر بمعزل عن هذا المقام، فالأولى أن يقال: التعريف لإفادة الحصر، كقولك: زيد الرجل» ا.هـ.

وهو يقتضي أن الخبر إذا كان معلوماً للمخاطب لا يخبر به إلا بتنزيله منزلة الجاهل، أو إفادة لازم فائدة الخبر، أو إذا قصد الحصر، وهو ينافي ما تقرر في المعاني من أن كون المبتدأ والخبر معلومين لا ينافي كون الكلام مفيداً للسامع فائدة مجهولة؛ لأن ما يستفيده السامع من الكلام هو انتساب أحدهما للآخر، وكونه هو هو؛ لأنهم يعرفون الله بوجه ما، ويعرفون معنى المصمود، سواء كان هو الله أو غيره عندهم، ولكن لا يعرفون أنه هو سواء كان بمعنى الفرد الكامل المعهود منه، أو الجنس، فعينه الله تعالى لهم، على أنه إذا قصد الحصر فقد أفاد فائدة الخبر وإلا لاختلّ كلام أهل المعاني فيه ...».

وأما التنكير فمثاله: تنكير كلمة (حَيَاة) في قوله تعالى: **{وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ}** [البقرة: ٩٦]. قال الشهاب(٣): «وتنكير الحياة؛ لأنه أريد بها فرد؛ أي: فرد نوعي، وهو حياة الدنيا، وقيل: التنكير للتحقير؛ أي: الحياة الدنيا، وهو المطابق لقراءة أبي رضي

---

(١) الحاشية (٤١٢/٨) وانظر أمثلة أخرى على التعريف (١٨٣/١-١٨٤، ٢٥٢-٢٥٧، ٣٣٤-٣٣٥ و ٢١/٣ - ٢٢ و ٢٠٨/٤ و ٢٩٥/٥ و ١٤٣/٦ و ٣٩٦/٨).

(٢) أي في «حاشيته على البيضاوي» وهي غير مطبوعة -فيما أعلم -. انظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه (٢/ ٣٢١).

(٣) الحاشية (٢٠٩/٢) وانظر أمثلة أخرى (٢٠٨/٤ و ٢٢٦/٦ و ١٩١/٧ و ٣٩٧/٨).

الله عنه بالتعريف؛ لأنه المعهود المعروف منها. وقال أبو حيان[١]: «إنه على تقدير مضاف أو صفة؛ أي: طول حياة أو حياة طويلة، ولو لم يقدر لصح المعنى بأن يكونوا أحرص على أيِّ مقدار منها ولو قليلاً فكيف بغيره»».

رابعاً: القصر:

وهو تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص[٢]. وأقسامه من حيث المخاطبون ثلاثة أقسام:

١- قصر قلب: إذا كان المخاطب يعتقد عكس ما نقول؛ لأننا أردنا أن نقلب له معتقده رأساً على عقب.

٢- قصر إفراد: إذا كان المخاطب يعتقد الشركة؛ لأننا قصرنا فيه الحكم على فرد واحد دون غيره.

٣- قصر تعيين: إذا كان شاكاً؛ لأننا خلصناه من شبهة الشك، وعيّنا له ما ينبغي أن يقصر عليه هذا الحكم[٣].

وقد أشار الشهاب إلى بعض هذه الأقسام في سياق تعليقه على كلام البيضاوي في تفسير قوله تعالى: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ}**[البقرة:١١-١٢]. قال البيضاوي: «**{قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}** جواب لـــ **{إِذَا}**، ورد للناصح على سبيل المبالغة، والمعنى: أنه لا يصح مخاطبتنا بذلك، فإن شأننا ليس إلا الإصلاح وإن حالنا متمحضة عن شوائب الفساد». قال الشهاب[٤]: «الشائبة

---

(١) أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣م، (٣١٣/١).

(٢) عباس، البلاغة فنونها وأفنانها - علم المعاني ص٣٥٨.

(٣) انظر: عباس، المصدر السابق ص٣٦٤-٣٦٦.

(٤) الحاشية (٣٣١/١) وانظر أمثلة أخرى على أسلوب القصر (٣٦/١، ١٠٥-١٠٧، ١١٢ و ٢٦٨/٢ و ٦٨/٣ و ١٩٢/٤ و

واحدة الشوائب، وهي الأدناس والأقذار. وفيه إشارة إلى أن القصر فيه إفرادي؛ فإنهم لما نهوا عن الفساد والإفساد توهموا بأنهم حكموا عليهم بأنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فأجابوهم بأنهم مقصورون على محض الإصلاح الذي لم يَشُبْهُ شيء من وجوه الفساد، واختاروا **{إنما}** إيماءً إلى أن ذلك مكشوف لا سترة عليه، ولا ينبغي أن يشك فيه».

ثم يمضي البيضاوي في تفسيره فيقول: «**{أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ}** رد لما ادعوه أبلغ رد؛ للاستئناف به، وتصديره بحرفي التأكيد: (ألا) المنبه على تحقق ما بعدها ... و (إن) المقررة للنسبة، وتعريف الخبر، وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم: **{إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}** من التعريض للمؤمنين، والاستدراك بـ **{لاَّ يَشْعُرُونَ}**». قال الشهاب[1]: «قوله (رد لما ادعوه أبلغ رد ... إلخ) لما بولغ في كونهم مصلحين، بولغ في رده وتقرير ضده من جهات ... قوله (وتعريف الخبر... إلخ) هو وما عطف عليه –أي توسيط الفصل– مجرور لما مر، ووجه المبالغة على ما قالوه: أن الأول – أي تعريف الخبر – يفيد حصر المسند إليه في المسند، والثاني – أي توسيط الفصل – يفيد تأكيد هذا الحصر، وهذا وإن كان مناسباً لرد دعواهم الكاذبة؛ فإنهم لما قصروا أنفسهم على الإصلاح قصر إفراد، ناسب في ردهم أن يُقصروا على الإفساد قصر قلب، فهم مقصورون على الإفساد، لا حظ لهم في الإصلاح ...».

خامساً: الفصل والوصل:

وهو العلم بمواضع العطف أو الاستئناف، والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند عدم الحاجة إليها[2].

٤٧/٥ و ٢٧٣/٧).

(١) المصدر السابق (٣٣٢/١).

(٢) عباس، البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني ص٣٩٣-٣٩٤.

ومواطن الفصل باختصار هي: كمال الاتصال، وشبه كمال الاتصال، وكمال الانقطاع، وشبه كمال الانقطاع، والتوسط بين الكمالين. أما مواطن الوصل فهي: اتفاق الجملتين خبراً وإنشاءً، وكون الفصل مخلاً بالمعنى(١).

ومن الأمثلة على الفصل والوصل في «الحاشية» كلام الشهاب عن سبب الوصل في قوله تعالى: **{أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** [البقرة: ٥] وتركه في: **{أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}** [الأعراف: ١٧٩] مع تشابههما من حيث التركيب، يقول الشهاب(٢): «**{عَلَى هُدًى}** و **{الْمُفْلِحُون}** مع تناسبهما معنى مختلفان مفهوماً ووجوداً؛ فإن الهدى في الدنيا، والفلاح في العقبى، وإثبات كل منهما على حدة أمر مقصود في نفسه، فالجملتان المشتملتان عليهما المتحدتان في المخبر عنه بين كمال الاتصال والانفصال؛ فلذا عطفت إحداهما على الأخرى، وأما **{كَالأَنْعَام}** و **{الْغَافِلُون}** وإن اختلفا مفهوماً فقد اتحدا مقصوداً إذ المراد بالتشبيه بالأنعام: المبالغة في الغفلة؛ فالجملة الثانية مع مشاركتها للأولى في المحكوم عليه مؤكدة لها؛ فلا مجال للعطف».

سادساً: الإيجاز والإطناب:

أما الإيجاز فهو نوعان: إيجاز الحذف، وإيجاز القصر(٣). ومن أمثلة إيجاز الحذف: حذف جواب الشرط في قوله تعالى: **{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ }** [الأنعام: ٢٧]. قال الشهاب(٤): «وحذف الجواب لتذهب نفس السامع كل مذهب؛ فيكون أدخل في التهويل؛ أي: لرأيت أمراً مهولاً».

---

(١) انظر: عباس، المصدر السابق ص٤٠٥-٤٢٨.

(٢) الحاشية (٢٥٠/١-٢٥١). وانظر: عباس، المصدر السابق ص٤٢٧-٤٢٨، وانظر أمثلة أخرى (٢٠٢/١، ٢٥٨ و ٦٨/٢ و ٣٥٥/٤ و ٤١٧/٧ و ١٢٤/٨، ٤١٢-٤١٣).

(٣) انظر: عباس، البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني ص٤٥٩.

(٤) الحاشية (٤٣/٤) وانظر أمثلة أخرى (٢٠٤/١-٢٠٥ و ٢١٢/٢ و ٢٠٠/٥، ٢٠١-٢٠٢ و ٢٧٤/٦ و ٢٣٧/٧ و ٨/ ١٩٤).

وأما الإطناب، فمن أسبابه الإيضاح بعد الإبهام، وذكر الخاص بعد العام، والتكرير لفائدة، والإيغال، والتذييل، والاحتراس، والتتميم، والاعتراض، ووضع الظاهر مكان المضمر، وغيرها[١].

ومن الأمثلة عليه: الاحتراس[٢] في قوله تعالى: **{وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ}** [طه: ٢٢]. قال الشهاب[٣]: «قوله: **{تَخْرُجْ}** مجزوم في جواب أمر مقدر، كأنه كما قال المعرب: اضمم يدك تنضم وأخرجها تخرج. فحذف من الأول والثاني، وأبقى ما يدل عليه، فهو إيجاز يسمى بالاحتباك[٤] ... وقوله: **{مِنْ غَيْرِ سُوءٍ}** (من) تعليلية، وهو احتراس». وهكذا نرى هذه الآية الكريمة قد جمعت بين الإيجاز والإطناب: الإيجاز بسبب الاحتباك الذي هو أحد أقسام إيجاز الحذف[٥]، والإطناب بسبب الاحتراس الذي هو أحد أنواعه.

سابعاً: الالتفات:

قال الخطيب القزويني رحمه الله – ناقلاً كلام السكاكي في تعريف الالتفات[٦]–: «««التكلم والخطاب والغيبة مطلقاً يُنقل كل واحد منها إلى الآخر، ويسمى هذا النقل التفاتاً عند

---

(١) انظر: عباس، البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني ص٤٨٢.

(٢) الاحتراس: هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه. ومنه قول الشاعر:

واصْفَحْ عن سباب الناس حلماً   وشر الناس من يهوى السبابا

والاحتراس في قوله: «حلماً»؛ حتى لا يظن أن صفحه عن السباب من أجل ضعفه. انظر: عباس، المصدر السابق ص٤٩٥–٤٩٨.

(٣) الحاشية (٦/١٩٧) وانظر أمثلة أخرى (٥/٣٠٣ و ٦/١٩٨ و ٧/٢٢، ٢٤٥).

(٤) الاحتباك: هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه. انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٣/١٢٩).

(٥) انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٢/٨٣١).

(٦) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ص٧٤–٧٥.

علماء المعاني»[١] ... والمشهور عند الجمهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها. وهذا أخص من تفسير السكاكي؛ لأنه أراد بالنقل أن يُعَبَّر بطريق من هذه الطرق عما عُبِّرَ عنه بغيره، أو كان مقتضى الظاهر أن يُعَبِّر عنه بغيره منها، فكل التفات عندهم التفات عنده من غير عكس».

والالتفات عند الجمهور يتضمن ست صور: الانتقال من التكلم إلى الخطاب، ومن التكلم إلى الغيبة، ومن الخطاب إلى التكلم، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم، ومن الغيبة إلى الخطاب[٢].

وقد «سار الشهاب الخفاجي في توضيح الالتفات على رأي الجمهور، فذكر الصور الست المشهورة، ووقف عند جل الآيات التي فيها التفات، ولكنه لم يترك رأي السكاكي بل كان يحتاج إليه – أحياناً – لتوضيح رأيه»[٣].

وقد تكلم الشهاب عن الالفتات محشياً على كلام البيضاوي في تفسيره لقوله تعالى: **{إيّاكَ نَعْبُدُ وإيّاكَ نَسْتَعِين}** [الفاتحة: ٥] فذكر تعريفه وأقسامه وفوائده وهل هو حقيقة أم مجاز والفرق بينه وبين التجريد[٤]، وتكلم عن الالتفات في قصيدة امرئ القيس التي يقول في مطلعها:

تطــاول ليــلك بالأثــمد   ونــام الخلــي ولــم ترقــد

وتوسع الشهاب في ذلك كله، مما لا يتسع المقام لذكره[٥].

---

(١) انظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٢٩٦.

(٢) انظر: هاشم، الالفتات في حاشية الشهاب الخفاجي ص٤٧.

(٣) هاشم، المصدر السابق ص٤٨.

(٤) انظر تعريف التجريد ص ١٨٧ من هذه الرسالة.

(٥) انظر: الحاشية (١/١١٣-١١٦).

ومن أمثلة الالتفات في «الحاشية» ما جاء عند قوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ}** [الأنعام: ٢].

قال الشهاب[١]: «وفي الآية التفات لأن الخطاب وإن صح كونه عاماً، لكنه خاص بالذين كفروا، كما يقتضيه **{ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُون}** ونكتته أن دليل الأنفس أقرب إلى الناظر من دليل الآفاق الذي في الآية السابقة - أي قوله تعالى: **{الْحَمْدُ ÷ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}** [الأنعام: ١]- والشكر عليه أوجب، وقد أشير في كل من الدليلين إلى المبدأ أو المعاد وما بينهما». والالتفات الذي يقصده وذكر نكتته هو من الغيبة **{ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ}** إلى الخطاب **{خَلَقَكُمْ}**.

الفرع الثاني: علم البيان:

وهو العلم الذي نستطيع بواسطته أن نؤدي المعنى الواحد بطرق مختلفة من اللفظ، بعضها أوضح من بعض، أو بعضها أكثر تأثيراً من بعضها الآخر[٢].

وقد اهتم الشهاب بعرض علم البيان من خلال «الحاشية»، حيث كان يبين الصورة البيانية أثناء تفسيره لآيات القرآن، أو تعليقه على كلام البيضاوي، فعرض للتشبيه والمجاز والكناية. وفيما يلي بعض الأمثلة التي توضح ذلك:

أولاً: التشبيه:

وهو إلحاق أمر بأمر بأداة التشبيه لجامع بينهما[٣].

---

(١) المصدر السابق (١٢/٤-١٣). وانظر: هاشم، الالتفات في حاشية الشهاب الخفاجي ص٧٢-٧٤، وانظر أمثلة أخرى (٣/٢ و ٢٥٨/٤ و ٧/٦ و ٢٦٨/٧).

(٢) انظر: عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها - علم البيان والبديع، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ص١٢-١٣.

(٣) انظر: عباس، المصدر السابق ص١٧.

وقد خصص الدكتور فريد النكلاوي الجزء الأول من كتابه «البيان عند الشهاب الخفاجي» للكلام عن التشبيه في «حاشية الشهاب»، فعرض للتشبيهات المفردة والمذكور فيها أداة التشبيه، وللتشبيه البليغ، وللتشبيه المركب والتمثيل، وغيرها من أنواع التشبيه.

ومن الأمثلة التي ذكرها: التشبيه التخييلي في قوله تعالى: **{طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ}** [الصافات: ٦٥]. قال البيضاوي: «في تناهي القبح والهول، وهو تشبيه بالمتخيل، كتشبيه الفائق في الحسن بالملك».

قال الشهاب[١]: «قوله (وهو تشبيه بالمتخيل ... إلخ) رد على بعض الملاحدة – إذ طعن فيه بأنه تشبيه بما لا يعرف – بأنه لا يشترط أن يكون معروفاً في الخارج، بل يكفي كونه مركوزاً في الذهن والخيال. ألا ترى امرأ القيس – وهو ملك الشعر – يقول:

ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهو لم ير الغول. والغول نوع من الشياطين؛ لأنه في خيال كل أحد مرتسم بصورة قبيحة، وإن كان قابلاً للتشكل، كما أنهم إذا استحسنوا شيئاً قالوا: ما هو إلا ملك، كما قرره أهل المعاني».

مثال آخر: التشبيه في قوله تعالى: **{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ}** [الحجر: ٢٢] حيث ذكر الشهاب أنه من التشبيه البليغ[٢]. قال رحمه الله[٣]: «جمع لاقح بمعنى: حامل. يقال: ناقة لاقح بمعنى: حامل؛ فهو من التشبيه البليغ: شبهت الريح التي تأتي بالسحب الماطرة بالناقة

---

(١) الحاشية (٢٣٢/٧). وانظر: النكلاوي، البيان عند الشهاب الخفاجي (٣١/١-٣٢). وانظر أمثلة أخرى (٣٤٦/٢ و٥٤/٣ و ٢٨٥/٤ و٢٣/٥ و ١٣/٦).

(٢) التشبيه البليغ عند الشهاب: هو ما حذف منه الأداة والوجه، وهو بهذا يتفق مع معظم علماء البلاغة الذين يعدون مضمر الأداة والوجه تشبيهاً بليغاً. انظر: النكلاوي، البيان عند الشهاب الخفاجي (٥٣/١).

(٣) الحاشية (٢٨٩/٥). وانظر: النكلاوي، المصدر السابق (٦١/١).

الحامل؛ لأنها حاملة للسحاب الماطر، أو الماء الذي فيه».

ثانياً: المجاز:

وهو قسمان: المجاز العقلي والمجاز اللغوي وينقسم إلى: استعارة ومجاز مرسل[١]. وفيما يلي أمثلة على كل قسم من «الحاشية».

١- المجاز العقلي:

وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له[٢]. ويسمى: مجازاً إسنادياً، ومجازاً تركيبياً، ومجازاً حكمياً، وإسناداً مجازياً[٣].

ومنه قوله تعالى: {**فَقُلْنَا يَآدَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى**} [طه: ١١٧]. قال الشهاب[٤]: «الإسناد إلى الشيطان مجازي؛ لأنه سبب. والمخرج هو الله».

٢- المجاز اللغوي:

هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة تمنع إيراد المعنى الحقيقي[٥]. وهذه العلاقة إما أن تكون المشابهة؛ أي: تصلح أن تكون وجه شبه بين المعنى الأصلي الذي وضعت له الكلمة، وبين المعنى الثاني الذي استعملت فيه، بحيث يمكن أن يكون تشبيهاً. وقد تكون العلاقة غير المشابهة، فلا يمكننا أن نكون تشبيهاً بين المعنيين.

---

(١) عباس، البلاغة فنونها وأفنانها - علم البيان والبديع، ص١٣٨.

(٢) عباس، المصدر السابق ص١٣٩.

(٣) انظر: التفتازاني، المطول ص١٩٧؛ مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية ص٥٩٩.

(٤) الحاشية (٦/٢٣٠) وانظر أمثلة أخرى (١/ ٣٢١-٣٢٢ و ٤/٢٦ و ٧/١١٠ و ٨/٣٤٧).

(٥) عباس، البلاغة فنونها وأفنانها - علم البيان والبديع ص١٢٨.

والأول يُسمى: استعارة، والثاني يسمى: مجازاً مرسلاً، فالاستعارة – إذن – مجاز لغوي علاقته المشابهة، والمجاز المرسل مجاز لغوي علاقته غير المشابهة(١).

أ- الاستعارة:

كما في قوله تعالى: **{صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ}** [البقرة: ١٣٨]. قال الشهاب(٢): «الصبغة – كالجلسة –: مصدر صبغ الثوب، ونحوه. وهو معروف. ولما كان في الصبغ تزيين للمصبوغ، ودخول فيه، وظهور أثره عليه جاز أن يستعار للفطرة والطبيعة التي خلقهم الله عليها؛ لأنهم يتزينون كما يتزين الثوب بصبغه، أو للهداية التي هداهم الله بها لذلك، أو للإيمان الذي أظهره الله عليهم، كما يظهر أثر الصبغ على المصبوغ، ويؤيده أن العرب سمت الديانات والاتصاف بها صبغة، كما قال الشاعر:

وكــل أنــاس لهم صبــغة   وصبغــة همدان خير الصبـــغ

قالوا: وعلى هذه الأقوال هو من الاستعارة التصريحية التحقيقية، والقرينة: الإضافة إلى الله، والجامع: التأثر والظهور والتزين».

ب- المجاز المرسل:

المجاز المرسل مجاز لغوي – كما ذكرنا آنفاً – علاقته غير المشابهة، وسمي مرسلاً؛ لأن الإرسال هو الإطلاق، فهو مطلق في علاقاته؛ أي: ليس له علاقة معينة، ومن هذه العلاقات: السببية والمسببية والجزئية والكلية واعتبار ما كان واعتبار ما يكون والحالّية والمحلية والآلية والمجاورة(٣).

و «لقد ذكر الشهاب الخفاجي في «حاشيته على البيضاوي» معظم العلاقات التي

---

(١) عباس، المصدر السابق ص١٣٧.

(٢) الحاشية (٢/٢٤٧-٢٤٨) وانظر أمثلة أخرى (١/١٠١ و ٢/٣٠٨ و ٣/٧٣ و ٤/٤٧ و ٥/٢٠ و٦/٢١٦).

(٣) انظر: عباس، البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع ص١٤٩-١٥٦.

ذكرها العلماء للمجاز المرسل، وذكر الآيات التي يمكن أن تندرج تحت كل علاقة»[١].

ومما جاء من الآيات على علاقة الكلية قوله تعالى: **{يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنْ الصَوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بَالكَافِرِين}** [البقرة: ١٩]. قال الشهاب[٢]: «فإن قلت: هل هذا من المجاز اللغوي لتسمية الكل باسم جزئه، أو للتجوز في الجعل[٣]، أو هو من المجاز العقلي بأن ينسب الجعل للأصابع وهو للأنامل؟

قلت: الذي ذكروه في كتب المعاني وغيرها أنه من الأول[٤]، إلا أن للمتأخرين فيه كلاماً. فقال خاتمة المحققين ابن كمال في «تكميل الفرائد» أيضاً إنهم ظنوه مجازاً لغوياً وهو مجاز عقلي، بإسناد ما للبعض إلى الكل؛ لأن المبالغة في الاحتراز عن استماع الصاعقة لفرط الخوف إنما تكون على هذا لا على ما قالوه.

ولخفاء الفرق بين الاعتبارين قال في «شرح المفتاح»: في إطلاق الأصابع على الأنامل مبالغة يخلو عنها ذكر الأنامل، والمبالغة إنما تتأتى إذا كانت الأصابع باقية على حقيقتها؛ إذ لا مبالغة في ذكرها مراداً بها الأنامل، كما لا مبالغة في رجل عدل إذا أوّل بعادل على ما صرّح به القوم تبعاً لصاحب «الدلائل».

وإرادة الأنامل من الأصابع مجاز مرسل، وإنما المبالغة في جعل أجزاء الأصابع في الأذن، والتجوز في تعلق الجعل، لا في متعلقه وهو الأصابع.

---

(١) النكلاوي، البيان عند الشهاب الخفاجي (٢/٦٣).

(٢) الحاشية (١/٣٩٩). وانظر: النكلاوي، المصدر السابق (٢/١٨-٢١). وانظر أمثلة أخرى (٢/٢٢٤ و ٣/٢٥١ و ٦/٨٦ و ٧/٤٠).

(٣) بأن قال يجعلون مكان يدخلون. قال القونوي: «وقيل في قوله: {يجعلون} مبالغة في فرط حيرتهم من وجوه... وثالثها: وضع ذلك الجعل موضع الإدخال، فإن جعل شيء في شيء أدل على إحاطة الثاني بالأول من إدخاله فيه». انظر: القونوي، حاشية القونوي على البيضاوي (٢/ ٢٩٩).

(٤) انظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ص٢٧٩؛ التفتازاني، المطول ص٥٧٦.

ثم إن بعض فضلاء العصر قال: فيما قرره القوم نظر آخر، لأنه قد يقال: إنه لا مجاز هنا؛ وذلك لأن نسبة بعض الأفعال إلى ذي أجزاء تنقسم، يكفي فيها تلبسه ببعض أجزائه، كما يقال: دخلت البلد، وجئت ليلة الخميس، ومسحت بالمنديل، ونحوه؛ فمعنى نسبة الجعل في الأذن إلى الأصبع إذا تلبس ببعض منه وهو الأنملة صحيح حقيقة من غير احتياج إلى التجوز في الكلمة أو الإسناد أو على تقدير مضاف كأنملة أصابعهم.

أقول: الذي غره في هذا قول بعض أهل المعاني: إن المجاز المرسل لا يفيد مبالغة كالاستعارة، وهو غير مسلم عند العلامة [لتصريحه][1] بخلافه في مواضع من «الكشاف»، وبه نطقت زبر المتقدمين. ولو لم يكن كذلك كان العدول عن الحقيقة في أمثاله عبثاً لا يحوم مثله حول حمى التنزيل، ويكفي في المبالغة تبادر الذهن إلى أن الكل أدخل في الأذن قبل النظر للقرينة، كما لا يخفى على ذي بصيرة نقادة، وفطنة وقادة. وأما كون مثل: دخلت البلد، لمن دخل داراً منها حقيقة فليس على إطلاقه».

ثالثاً: الكناية:

الكناية: هي أن تطلق اللفظ وتريد لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي[2].

ومن أمثلة الكناية قوله تعالى: **{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ}** [البقرة: ١٨٧]. قال الشهاب[3]: «الرفث: كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه، وهو هنا كناية عن الجماع، ولم يجعل مجازاً لعدم المانع من الحقيقة، وعدي بإلى لتضمن معنى الإفضاء، يقال: رفث وأرفث بمعنى: صار ذا رفث، ووجه دلالته على معنى القبح من جهة

---

(١) في الأصل: (لتصريحهم)، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) عباس، البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع ص٢٤٣. وانظر تعريف الشهاب للكناية والفرق بينها وبين التعريض: الحاشية (٣٢٢/٢).

(٣) الحاشية (٢٨٠/٢) وانظر أمثلة أخرى (٣٨/٢ و ٥٩/٣، ٢٨٧ و ٢١٩/٤ و ٢٩/٨)

أنه الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه، فذكر لتقبيح ما فعلوه؛ ولذا سماه خيانة في قوله: **{كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ}** [البقرة: ١٨٧] بعده، فلم يقل: أفضيتم أو باشرتم أو نحوه كما في أمثاله.

فإن قيل: لم لا يجعل من أول الأمر كناية عن الإفضاء، كما في «الأساس[١]»، قيل: لأن المقصود هو الجماع. والإفضاء أيضاً كناية عنه».

الفرع الثالث: علم البديع:

علم البديع: هو العلم الذي يوشّى به الكلام بأوجه الحسن[٢]. ومن أقسام هذا العلم:

أولاً: الطباق:

وهو الجمع بين الشيء وضده[٣]. كما في قوله تعالى: **{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَا يَعْرِشُون * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ}** [النحل: ٦٨ –٦٩]. قال الشهاب – أثناء كلامه عن حرف الجر **{مِنْ}** في الآية الأولى وأنه للتبعيض[٤] –: «وفيه من البديع مع قوله: **{مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ}** صنعة الطباق».

ثانياً: التورية:

وهي أن يذكر اللفظ المفرد ويكون له معنيان، أحدهما قريب والآخر بعيد، ويكون البعيد هو المراد، ولا بد لها من قرينة تبين المعنى المراد، وهذه القرينة تدرك بالتأمل[٥].

ومن الأمثلة عليها في «الحاشية» كلمة **{النَّجْمِ}** في قوله تعالى: **{الشَّمْسُ وَالقَمَرُ**

---

(١) انظر: الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، دار الكتب المصرية، ١٣٤١ هـ، ص ١٦٩.

(٢)عباس، البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع ص٢٧٣.

(٣) عباس، المصدر السابق ص٢٧٥.

(٤) الحاشية (٣٤٨/٥) وانظر أمثلة أخرى (٨٩/٥).

(٥) عباس، البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع ص٢٨٠.

بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ} [الرحمن: ٥-٦]. حيث علل الشهاب تفسير من فسر النجم بالنبات بقوله[١]: «لأن اقترانه بالشجر يدل عليه، وإن كان تقدم الشمس والقمر يتوهم منه أنه بمعناه المعروف، ففيه تورية ظاهرة».

ثالثاً: تأكيد المدح بما يشبه الذم:

قال البيضاوي -في تفسير قوله تعالى: **{لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلا سَلاَمَا}** [مريم: ٦٢]-: «أو على معنى أن التسليم إن كان لغواً فلا يسمعون لغواً سواه». قال الشهاب[٢]: «قوله (أو على معنى أن التسليم ... إلخ) فهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم المذكور في البديع».

رابعاً: أسلوب الحكيم:

قال تعالى: **{وَقَالَ المَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِـي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ * قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا با÷ وَاصْبِرُواْ}** [الأعراف: ١٢٧-١٢٨]. قال البيضاوي: «لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكيناً لهم». قال الشهاب[٣]: «يعني أنه من الأسلوب الحكيم؛ أي: ليس كما قال فرعون: إنا فوقهم قاهرون؛ فإن القهر والغلبة لمن صبر واستعان بالله ولمن وعده الله توريثه الأرض ...».

خامساً: المشاكلة:

وهي أن نقصد شيئاً بلفظ آخر، أعني أن نذكر كلمة ولكننا لا نريد معنى هذه الكلمة، وإنما ذكرناها لوقوعها في مصاحبة لفظة تشبهها[٤].

---

(١) الحاشية (١٣٠/٨).

(٢) الحاشية (١٦٩/٦) وانظر أمثلة أخرى (٢٠٦/٤).

(٣) المصدر السابق (٢٠٧/٤) وانظر أمثلة أخرى (٣٠٠/٢-٣٠١).

(٤) عباس، البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع ص٢٩٤.

قال الشهاب – شارحاً لكلام البيضاوي وهو يفسر (السيئة) في قوله تعالى: **{وَجَزَاءُ سَيِئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا}** [الشورى: ٤٠] بقوله: «وسمى الثانية سيئة للازدواج، أو لأنها تسوء من تنزل به»[١]–: «قوله (وسمى الثانية سيئة للازدواج) أي: المشاكلة. بيان لوجه تسمية كل من الإصابة للبغي وجزائها – وهو الانتصار – سيئة، مع أن الجزاء ليس بسيئة في نفسها، فإما أن يكون تسمية الجزاء سيئة للمشاكلة، أو هما على حقيقتهما لغة؛ لأن كلا منهما يسوء من نزلت به».

سادساً: اللف والنشر:

وهو أن نذكر عدة أشياء ثم نذكر لكل واحد ما يناسبه وما يتصل به اعتماداً على فهم المخاطب[٢].

قال تعالى: **{وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْلِهِ}** [القصص: ٧٣]. قال البيضاوي: «**{لِتَسْكُنُواْ فِيهِ}** في الليل. **{وَلِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْلِهِ}** في النهار بأنواع المكاسب». قال الشهاب[٣]: «قوله: (في الليل) إشارة إلى أنه لف ونشر؛ ولذا قدّر (في النهار) بعده».

سابعاً: الجناس:

وهو أن يتفق اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى[٤].

وهو قسمان: تام وناقص. فالجناس التام: أن تتفق الكلمتان في نوع الحروف وفي الشكل وفي العدد وفي الترتيب. والجناس الناقص أن تختلف الكلمتان في واحد من هذه

---

(١) الحاشية (٤٢٦/٧) وانظر أمثلة أخرى (٨٧/٢ و ٢٤٥/٤ و ٩٦/٥ و ٣٠٩/٦ و ٣٧٩/٧).

(٢) عباس، البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع ص٢٩٤.

(٣) الحاشية (٥٨/٧) وانظر أمثلة أخرى (١٧٦/٣ و ٨٩/٥).

(٤) عباس، البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع ص٢٩٧.

الأربعة[١].

ومن أمثلة الجناس التام في «الحاشية» ما قاله الشهاب عند قوله تعالى: **{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ}** [الروم: ٥٥]. قال الشهاب[٢]: «وفي قوله: **{السَّاعَةُ}** و **{سَاعَةٍ}** جناس تام».

ثامناً: السجع:

وهو أن تتفق الفاصلتان في الحرف الأخير[٣].

وقد تكلم الشهاب عن قضية وقوع السجع في القرآن، وذكر اختلاف العلماء في ذلك، ورجح وقوعه «من غير التزام له في الأكثر»، ولعله يميل إلى تسميته: فواصل، فقد قال رحمه الله – في نهاية بحثه لهذه المسألة –: «والذي عليه العلماء أنه تطلق الفواصل عليه دون السجع»[٤].

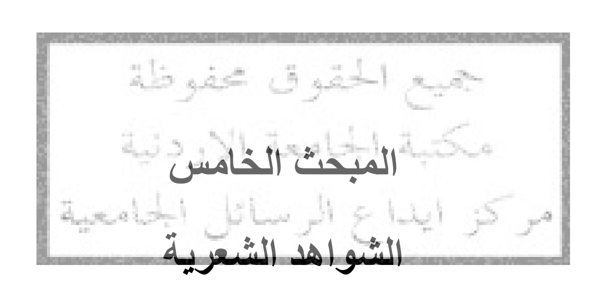
---

(١) انظر: عباس، المصدر السابق ص٢٩٧.

(٢) الحاشية (١٢٩/٧) وانظر أمثلة أخرى (٤٠٨/٨).

(٣) عباس، البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع ص٣٠٣.

(٤) انظر: الحاشية (٢٣٠/١) وانظر (١٢٢/١).



المبحث الخامس
الشواهد الشعرية

المطالع «للحاشية» يتبين مدى اهتمام الشهاب بالشواهد الشعرية، سواء تلك التي ذكرها البيضاوي، والتي قام الشهاب بالتعليق عليها وشرحها، أو التي يوردها الشهاب ابتداءً، وتتنوع طريقة الشهاب في إيراد هذه الشواهد وتناولها. وسأجعل – إن شاء الله – عرض منهجه في إيرادها ضمن المطلبين التاليين:

المطلب الأول: منهجه في التعليق على الشواهد الشعرية التي يذكرها البيضاوي:

بذل الشهاب جهداً علمياً متميزاً في العناية بشواهد «تفسير البيضاوي»، وقد تأتّى ذلك من خلال:

أولاً: عزو الأبيات الشعرية:

قام بنسبة بعض الشواهد التي لم تنسب، فكان يذكر الشاهد المستشهد به في «البيضاوي» ويبين قائله، من ذلك بيت:

قد قلت لمـــا جاءني فخره   سبحان من علقمة الفاخــر

قال الشهاب[١]: «هو من قصيدة طويلة للأعشى، أولها:

شاقتك من قبله أطلالها   بالشط فالجــزع إلى حاجر»

ثانيًا: التعريف بالقائل إذا ذكره البيضاوي:

قال البيضاوي: «... وقول أبي تمام:

هما أظلما حاليّ ثمت أجليا   ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب»

قال الشهاب[٢]: «أبو تمام كنيته، واسمه حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي قبيلةً، الشامي مولداً، وهو مع فصاحته التامة كان من كبار الأدباء والعلماء في عصره، وديوانه مشهور شرَحَهُ الكبار ...».

ثالثًا: بيان مناسبة الشاهد:

كما يذكر الشهاب البيت ليبين المناسبة التي قيل فيها، من ذلك بيت:

ليس من الله بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

فقد ذكر الشهاب أن البيت لأبي نواس، من قصيدة يمدح بها الفضل بن الربيع الوزير[٣].

رابعًا: بيان المعنى الإجمالي للبيت:

من ذلك أن البيضاوي ذكر بيت:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندا   فلم يستجبه عند ذاك مجيب

---

(١) الحاشية (٣/٦) وانظر أمثلة أخرى (٤٤/١ و ٣٢٩/٢ و ٨٧/٣ و ٣٦٤/٤ و ٣٧٩/٥ و ٣٩٠/٦ و ٢٧٠/٧ و ٤٠٩/٨).

(٢) المصدر السابق (٤٠٥/١) وانظر أمثلة أخرى (٤١/٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (٣٧٩/٥) وانظر أمثلة أخرى (١٤٨/١ و ٤٥/٢ و ١٢٧/٣ و٣/٦).

فقال الشهاب[١]: «وبعده:

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب

أي: رب داعٍ دعا الناس وقال: هل أحد يجيب سائل النداء، فلم يجبه أحد لقلة الكرام وغلبة اللئام».

خامسًا: الشرح اللغوي:

فيشرح معاني المفردات الصعبة، وأحياناً يضبط بعض كلمات البيت، من ذلك بيت:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولسـاني والضمير المحجبا

قال الشهاب[٢]: «وأفاد: من الفائدة، وهي الزيادة تحصل للإنسان، ومعناه: أعطى، يقال: أفدته مالاً إذا أعطيته، وأفدت منه مالاً: أخذت ... والنعماء – بفتح النون والمدّ – بمعنى: النعمة ... وضمير الإنسان: قلبه وباطنه ونيته المضمرة في قلبه، ويجمع على: ضمائر، على التشبيه بسريرة وسرائر، وحقه أن لا يجمع عليها، والمحجب: بمعنى الخفي».

سادسًا: الإعراب:

كان الشهاب يعرب ما يحتاج إلى إعراب من مفردات البيت لتوضيح المعنى، من ذلك بيت:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

فقام الشهاب بإعراب بعض مفردات البيت، حيث قال[٣]: «(ألا) للتنبيه، و (أيّ) منادى

---

(١) المصدر السابق (٧٩/٧) وانظر أمثلة أخرى (٤٢/٢ و ٣٠٢/٥ و ١٥٤/٧).

(٢) المصدر السابق (٧٧/١) وانظر أمثلة أخرى (٥٧/١ و ٣٦٤/٤ و ٧٢/٧).

(٣) المصدر السابق (١١٨/٧) وانظر أمثلة أخرى (٤٤/١ و ٣٧٥/٦ و ٤٣/٧).

حذف منه حرف النداء، و (هذا) صفة لِـــ (أيّ)، و (الزاجري) بدل منه، و (أل) فيه موصولة؛ ولذا ساغ فيه الإضافة لياء المتكلم، و (الوغى): الحرب، و (هل) للاستفهام الإنكاري، و (مخلدي) مضاف إلى ضمير المتكلم، وعَطْفُ قوله: (وأن أشهد) دليل على الحذف مما قبله».

سابعًا: بيان ما في الشاهد الشعري من نكات بلاغية:

ومن ذلك البيت الذي استشهد به البيضاوي على أن السورة تأتي بمعنى: الرتبة، قال البيضاوي:

وَلِرَهْطِ حَرّابٍ وقدٍّ سورةٌ   في المجد ليس غرابها بمطار

قال الشهاب - بعد أن عرّف بالعلمين المذكورين في البيت وهما: (حَرَّاب) و (قَدّ) و ضبطهما[1] -: «وقوله (ليس غرابها بمطار) هو مثل كني به عن الخصب وكثرة الثمار، بحيث إذا وقع الغراب والطير فيها لا يذاد عنها لكثرة ثمارها، وقيل: إنه كناية عن رفعة الشأن والمرتبة؛ أي: لا يصل إليها الغراب حتى يطار، أو لا تصل الإشارة إلى غرابها حتى يطار».

ثامنًا: إتمام البيت:

فأحياناً لا يذكر البيضاوي البيت كاملاً، وإنما يكتفي بشطر من البيت، وهو المتضمن للشاهد الذي ذهب إليه، فكان الشهاب يذكر أول البيت أو تمامه، ومن ذلك:

هم الآمرون الخير والفاعلونه

قال الشهاب[2]: «تمامه:

---

(١) المصدر السابق (٣٣/٢) وانظر أمثلة أخرى (١٤٠/١ و ٣٢٧/٦ و ٧٢/٧).

(٢) المصدر السابق (٢٧٢/٧) وانظر أمثلة أخرى (٤٢/٢ و ٣٣١/٦).

إذا ما خشوا من محدث الأمر معظما

تاسعًا: ذكر أبيات أخرى من القصيدة:

فإذا استشهد البيضاوي ببيت شعر، فإن الشهاب كثيراً ما يذكر أبياتًا أخرى من القصيدة ويشرحها، فقد يذكر بيتاً قبله أو بيتاً بعده، وقد يذكر مطلع القصيدة، وقد يذكر عدة أبيات من القصيدة ويستطرد في شرحها، والكلام عن مناسبتها، وقائلها – كما ذكرنا في المطلب الذي تناولنا فيه اهتمامات الشهاب الأدبية وأثرها في «الحاشية»[1] – ومن ذلك بيت:

إذا غير النأي المحبين لم يكد   رسيس الهوى من حب مية يبرح

قال الشهاب [2]: «والشعر المذكور لذي الرمة من قصيدة حائية له منها:

هي البرء والأسقام والهمّ والمنى   وموت الهوى في القلب مني المبرح

وكان الهوى بالنأي يمحى فيمحي   وحبك عندي منجد ومبرح

إذا غير النأي المحبين لم يكد   رسيس الهوى من حب مية يبرح

والنأي: البعد، وروي: الهجر، والرسيس: الثابت، والمراد: القديم العهد، وهو من إضافة الصفة للموصوف، وفيه إشارة إلى أن (كاد) كغيرها في النفي والإثبات، لا أن نفيها إثبات وإثباتها نفي مطلقاً أو في بعض الأحوال كما زعمه بعض النحاة».

عاشرًا: التعريف بالأعلام المذكورين في الشاهد:

ومن ذلك بيت:

وزيد الخيل قد لاقى صفاداً   يعض بساعد وبعظم ساق

قال الشهاب [1]: «وزيد الخيل: زيد بن مهلهل الطائي، أُضيف إلى الخيل لفروسيته،

---

(١) انظر ص ٦٨ من هذه الرسالة.

(٢) المصدر السابق (٣٩٠/٦) وانظر أمثلة أخرى (٤٦/١ و ٣٢٩/٢ و ٨٧/٣ و ٣٧٩/٥).

وهو صحابي رضي الله تعالى عنه، قدم على النبي × فسماه زيد الخير، وقال له: ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته إلا دون صفته غيرك».

حادي عشر: اختلاف الروايات:

يذكر اختلاف الرواية في الشاهد الذي يورده البيضاوي، ومن ذلك بيت:

كحَلْفة من أبي ربـــــــاح   يَشْهدهـــا لاهُـــهُ الكُبَار

قال الشهاب [٢]: «وحَلْفة – بفتح فسكون وفاء – : المرة من الحلف، وهو اليمين، وهو شاهد للاه بمعنى: أله، وروي: كدعوة ... ويشهدها: بمعنى يحضرها ويطلع عليها، وروي: يسمعها الواحد الكبار ... والمراد بلاهه الكبار: صنمه، وروي أيضاً: لاهمُ الكبار – بضم الميم –».

ثاني عشر: بيان وجه استشهاد المصنف بالبيت:

قال البيضاوي – في تفسير قوله تعالى: **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}** [آل عمران:١٨٥] –: «وعد ووعيد للمصدق والمكذب، وقرئ: **{ذَائِقَةُ المَوتِ}** بالنصب مع التنوين وعدمه، كقوله:

ولا ذاكرَ الله إلا قليلاً»

قال الشهاب [٣]: «والبيت شاهد للنصب مع عدم التنوين؛ لأنه المحتاج للإثبات».

المطلب الثاني: منهجه في الاستشهاد بالشعر:

يكثر الشهاب من الاستشهاد بالشعر، لبيان معنى من المعاني، أو لتأييد وجهة نظر، أو للاحتجاج على حكم نحوي، أو لقضية بلاغية، وتتفاوت طريقته في ذلك بين إيراد الشاهد

---

(١) المصدر السابق (٢٧٩/٥) وانظر أمثلة أخرى (٢٣٣/١ و ٣٣/٢ و ٣/٦).

(٢) المصدر السابق (٥٧/١) وانظر أمثلة أخرى (٦٤/١ و ٣٣/٢ و ٢٧١/٧).

(٣) المصدر السابق (٨٧/٣) وانظر أمثلة أخرى (١٠٠/١ و ٤٢/٢ و ٨٩/٥ و ٣/٦).

مجرداً من أي تعليق، أو شرحه وشرح مفرداته، أو ذكر الشاعر، أو ذكر موطن الشاهد وبيانه، هذا وقد وكانت أغراض الاستشهاد بالشعر عند الشهاب كما يلي:

أولاً: الاستشهاد اللغوي:

فيستشهد بالشعر لبيان المعاني اللغوية للمفردات وتوضيح الغريب وبيان الاشتقاق: قال مستشهداً على أحد الأقوال في أصل كلمة (الله) وأنها من لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها إذا احتجب [١] -:

لاهت فما عرفت يوماً بجارحة   يا ليتها خرجت حتى رأيناها

ثانيًا: الاستشهاد النحوي:

«يستشهد الشهاب الخفاجي بالشعر في كثيرا من المواضع، وليس ذلك غريباً، فالشعر نبع غني للشواهد النحوية منذ بداية وضع القواعد الأولى، والجديد في تعامل الشهاب مع الشواهد الشعرية أنه يوسع دائرة الاحتجاج زمانياً فلا يقتصر على عصر الاحتجاج بل يحتج بالشعر المحدث» [٢].

وقد تكلم الشهاب عن هذه القضية أثناء ذكره لطبقات الشعراء، فأشار إلى الإجماع على جواز الاستشهاد بشعر الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين، وعلى عدم الجواز في شعر المتأخرين، وإلى الاختلاف في شعر المحدثين كأبي تمام والبحتري على ثلاثة أقوال: الاستشهاد بشعرهم مطلقاً، والاستشهاد به في المعاني دون الألفاظ، والاستشهاد بمن يوثق به منهم مطلقاً – وهو قول الزمخشري –، ولم يرجح أياً من هذه الأقوال [٣].

غير أنه يبدو أن الرأي الراجح عنده هو جواز الاستشهاد بمن يوثق به منهم، فقد

---

(١) المصدر السابق (٥٧/١) وانظر أمثلة أخرى (٥٥/١ و٣٩/٢ و١٤٦/٣ و٢٥٥/٤ و٣٣١/٦ و٤٠٠/٨).

(٢) القضاة، الشهاب الخفاجي نحوياً ص٦٣.

(٣) انظر: الحاشية (٤٠٦/١-٤٠٧).

استشهد بشعر المحدثين في غير ما موضع من «الحاشية» ومن الأمثلة على ذلك استشهاده بشعر للبحتري على جواز مجيء (عسى) فعلاً متصرفاً، رداً على من يقول بأن (عسى) جامدة مطلقاً قال الشهاب [١]: «وتكون (عسى) بمعنى: يبس أيضاً كقول البحتري:

يتعاطى القريض وهو جماد الذهن   يَجْفو عن القريض ويَعْسو».

ولكن رغم استشهاده بشعر المحدثين إلا أنه «يغلب الشعر الذي يدخل ضمن عصر الاحتجاج على ما يستشهد به الشهاب من شعر» [٢]، كاستشهاده بقول لبيد بن ربيعة:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما   ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

على زيادة كلمة (اسم) في قوله تعالى: **{تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ}** [الرحمن: ٧٨]. قال الشهاب [٣]: «فالمراد باسم السلام: السلام نفسه، وهو مسماه، فأضيف الاسم إلى مسماه، كما يضاف المسمى إلى الاسم في (يوم الأحد) ونحوه، والإقحام كثير في كلام العرب، ومقبول إذا كان لنكتة كما في الآيات».

ثالثًا: الاستشهاد البلاغي:

قال – في تعريف الاستتباع [٤] –: «وفي اصطلاح أهل البديع: أن يساق الكلام لمدح ونحوه، ثم يلوّح به لمعان أخر، كما في قوله:

نهبت من الأعمار ما لو حويته   لهنئت الدنيا بأنــك خالد»

---

(١) المصدر السابق (٤٠٤/١). وانظر: القضاة، الشهاب الخفاجي نحوياً ص٧٣-٧٤.

(٢) القضاة، المصدر السابق ص٦٣.

(٣) الحاشية (٤٦/١). وانظر: القضاة، الشهاب الخفاجي نحوياً ص٦٣-٦٤، وانظر أمثلة أخرى (١٦٦/٤ و ٣/٦).

(٤) المصدر السابق (٢٠٤/١) وانظر أمثلة أخرى (٧٩/١ و٢٤٧/٢ و٢٠٦/٤ و٣٨٨/٦ و٤١٠/٨).

الفصل السادس

تقويم «الحاشية»

المبحث الأول

مقارنة بين الشهاب والبيضاوي

«عناية القاضي» حاشية على «أنوار التنزيل»، ولكن هل كان الشهاب مجرد شارح فقط، أم كان له إضافات علمية أثرى بها تفسير البيضاوي لآيات القرآن. وهل تأثر به، وما مظاهر هذا التأثر. وما هو موقفه من البيضاوي وآرائه، هل هو موقف المنتصر دائماً، أم كان يخالفه أحياناً؟ هذا ما ستجيب عنه الصفحات التالية- إن شاء الله تعالى -:

المطلب الأول: مظاهر تأثر الشهاب بالبيضاوي:

١- الطريقة:

تابع الشهابُ البيضاوي في طريقته التي سار عليها في "تفسيره"، شارحاً لما جاء فيه، وموضحاً لما استغلق من عباراته[١].

٢- المنهج:

يقول الشيخ الزرقاني – ملخصاً منهج البيضاوي في عبارة جامعة مانعة[٢]-: «جمع بين التفسير والتأويل على قانون اللغة العربية». وهذا يعني أن تفسير البيضاوي، يقوم على ثلاثة أسس: المأثور، الرأي، اللغة. وهذه الأسس هي التي تقوم عليها «حاشية الشهاب» وهو ما خلصت إليه هذه الدراسة.

وبناءً على ذلك أقول: إن الشهاب في «حاشيته» قد تأثر بالبيضاوي في «تفسيره» من

---

(1) انظر ص ٦١ من هذه الرسالة.

(2) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، (١/ ٤٨٨).

حيث المنهج، ويبرز هذا في ناحيتين:

أ- الاهتمام بالتفسير بالمأثور والرأي والجمع بينهما.

ب- العناية بعلوم العربية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وشواهد شعرية.

٣- النقل:

يبدو تأثر الشهاب بالبيضاوي لا في النقل من «أنوار التنزيل» في مواضع مختلفة منه فقط[١]، بل في نقله من كتب أخرى للبيضاوي، ككتاب «لب الألباب في علم الإعراب»[٢] و«طوالع الأنوار»[٣]، و«شرح المصابيح»[٤]، و«منهاج الوصول إلى علم الأصول»[٥].

المطلب الثاني: مظاهر انتصار الشهاب للبيضاوي:

انتصر الشهاب للبيضاوي في مواضع كثيرة من «الحاشية» وهو معجب به ودقة فهمه أيما إعجاب، ولقد سجل ذلك في مقدمة «الحاشية» كما سبق[٦]. وهو لا يفتأ يثني على البيضاوي كلما استدعى الأمر ذلك، كقوله[٧]: «فلله دره ما أبعد مرماه»، وقوله[٨]: «فلله در المصنف فيما سدده، وبيض وجه البيان بما سوّده»، وقوله[٩]: «قد أجاد المصنف رحمه الله هنا كل الإجادة»، وقوله[١٠]: «فلله دره في بعد مغزاه، وإصابة مرماه»، وغيرها.

---

(1) انظر: الحاشية (٩٥/١، ١٢٩ و٢٦٢/٧ و٤١٤/٨).

(2) انظر: المصدر السابق (٣٢/١).

(3) انظر: المصدر السابق (٤٥/١، ٩١).

(4) انظر: المصدر السابق (١٣٤/١).

(5) انظر: المصدر السابق (١٣١/١).

(6) انظر ص ٥٦ من هذه الرسالة.

(7) انظر: الحاشية (١١٩/١).

(8) انظر: المصدر السابق (٣٢٥/٢).

(9) انظر: المصدر السابق (٣٠١/٤).

(10) انظر: المصدر السابق (٢٦١/٧).

وكثيراً ما كان الشهاب يرجح رأي البيضاوي، ويدافع عنه مبطلاً الاعتراضات التي وُجّهت إليه، وقد ذكرنا ذلك في الفصل الذي خصصناه للحديث عن منهج الشهاب في شرح «البيضاوي»، وأوردنا بعض الأمثلة على ذلك أثناء الكلام عن المقارنات التي عقدها الشهاب بين البيضاوي وغيره من العلماء[١]، وعن موقفه من الاعتراضات التي وجهت إليه[٢].

المطلب الثالث: مخالفته للبيضاوي في بعض المسائل:

لم يكتف الشهاب بإيضاح آراء البيضاوي والإضافة إليها، بل ذهب إلى مخالفته في بعض المسائل معتمداً على أصالته العلمية، وتنوع معرفته، وسعة اطلاعه، فلئن كان معجباً بالبيضاوي، ولئن كان ينتصر له في بعض المواقف، إلا أنه خالفه واعترض عليه في مواقف أخرى، وردَّ عليه بعض أقواله.

وللاختصار – كما فعلت في المطلب السابق – أحيل إلى الفصل الذي تناولت فيه منهج الشهاب في شرح كلام البيضاوي، فقد ذكرت فيه بعض الأمثلة على ترجيحه لكلام غيره[٣]، وعلى تأييده لبعض الاعتراضات التي وجهت إليه[٤]، وعلى اعتراضات أوردها الشهاب نفسه مخالفاً فيها رأي البيضاوي فيما ذهب إليه[٥].

وهذه الأمثلة تدل على أن الشهاب لم يكن مجرد ناقل أو شارح وحسب، بل كان ذا شخصية بارزة متميزة في كل موضوع من الموضوعات التي طرقها في «الحاشية».

---

(1) انظر ص ١١٢ من هذه الرسالة.

(2) انظر ص ١١٦ من هذه الرسالة.

(3) انظر ص ١١٣ من هذه الرسالة.

(4) انظر ص ١١٦ من هذه الرسالة.

(5) انظر ص ١١٧ من هذه الرسالة.

المطلب الرابع: استدراكاته على البيضاوي:

تكلمت عن استدراكات الشهاب على البيضاوي أثناء حديثي عن منهجه في شرح «تفسيره»، وبينت أن لها جوانب كثيرة كتخريج أحاديثه، والتعليق على الشواهد الشعرية التي يستشهد بها، والاستدلال على كلامه، وغيرها[١].

وهذه الاستدراكات هي من باب شرحه لكلام البيضاوي وتوضيحه، ولكن بقي جانب لم أتطرق إليه من قبل لأنه ليس من هذا الباب –وإن كنت قد أشرت إليه في غير ما موضع–، إنما هو إضافات واستطرادات وفوائد على ما في «البيضاوي»، وبحث في قضايا لم يعرض لها رحمه الله[٢].

ولا تكاد تخلو صفحة في «الحاشية» من مثال على هذا الجانب، فنرى الشهاب يعمد إلى «تفسير البيضاوي» يشرحه ويعلق عليه، وكثيراً ما يقوده ذلك إلى استطرادات فيمعن في تتبعها، ويشفعها بفيض من اللطائف والنكت والفوائد، ولعل الأمثلة التي ذكرتها في هذه الرسالة شاهد على ما أقول، ولكن لا بأس بذكر أمثلة أخرى –وهي قطرة من بحر الشهاب–، فمن الأمثلة على تحقيقاته العلمية:

أولاً: مسألة الموافاة: تكلم الشهاب عن هذه المسألة عند قوله تعالى: **{وَإِذْ قُلْنَا لِلمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ}** [البقرة: ٣٤]، فعرفها وتكلم عن بعض القضايا المتعلقة بها. قال رحمه الله[٣]: «ومعناها أن العبرة بالإيمان الذي يوافي العبد عليه؛ أي: يأتي متصفاً به في آخر حياته، وأول منازل آخرته، ومن فروع هذه المسألة أنه يصح أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله. وحيث أطلقت مسألة الموافاة فالمراد

---

(1) انظر ص ١١٨–١٢١ من هذه الرسالة.

(2) انظر ص ١١٨ من هذه الرسالة.

(3) الحاشية (١٣٥/٢).

بها ذلك. وهي مما اختلف فيها الشافعية والحنفية، والأشعرية والماتريدية. وللسبكي فيها تأليف مستقل. وينبني عليها مسألة الإحباط في الأعمال بالردة...

تنبيه: مسألة الموافاة من أمهات المسائل، وفصلها النسفي في «شرح التمهيد»، فقال ما حاصله: «إنّ الشافعي رحمه الله تعالى يقول: إنّ الشقي شقي في بطن أمه وكذا السعيد، فلا تبديل في ذلك، ويظهر ذلك عند الموت ولقاء الله، وهو معنى الموافاة. والماتريدية رحمهم الله يقولون: يمحو الله ما يشاء ويثبت، فيصير السعيد شقياً والشقي سعيداً، إلا أنهم يقولون: من مات مسلماً مخلد في الجنة، ومن مات كافراً مخلد في العذاب باتفاق الفريقين، فلا ثمرة للخلاف أصلاً إلا أن يقال: إن من كان مسلماً وورث أباه المسلم، إذا مات كافراً يُرَدُّ ما أخذه على بقية الورثة المسلمين، وكذا الكافر، وتبطل جميع أعماله، والمنقول في المذهب خلافه؛ فحينئذ لا ثمرة له إلا أنه يصح منه أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، بقصد التعليق في المستقبل، حتى لا يكون شكاً في الإيمان حالاً، ولا حاجة لتأويله، والماتردية يمنعون ذلك مطلقاً»».

ثانيًا: السؤال: في قوله تعالى: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ}** [الأنفال: ١]. قال الشهاب – مبيناً معنى السؤال[١] –: «السؤال: إما لاستدعاء معرفة أو ما يؤدي اليها، وإما لاستدعاء جداء أو ما يؤدي اليه. واستدعاء المعرفة جوابه باللسان، وينوب عنه اليد بالكتابة أو الإشارة، واستدعاء الجداء جوابه باليد، وينوب عنه اللسان موعداً وردّاً. وإذا كان للتعرف يعدّى بنفسه وعن والباء، وإذا كان لاستدعاء جداء يعدّى بنفسه أو بمن، وقد يتعدى لمفعولين كأعطى واختار، وقد يكون الثاني جملة استفهامية نحو: **{سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم}** [البقرة:٢١١]».

ثالثًا: حديث: «صدق الله، وكذب بطن أخيك»: ذكر البيضاوي هذا الحديث في معرض

---

(١) الحاشية (٤/٢٥٠).

تفسيره لقوله تعالى: **{يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ}** [النحل: ٦٩]، فقال رحمه الله: «وعن قتادة أن رجلاً جاء إلى رسول الله × فقال: إن أخي يشتكي بطنه، فقال: «اسقه العسل»، فذهب ثم رجع، فقال: قد سقيته فما نفع، فقال: «اذهب واسقه عسلاً، فقد صدق الله وكذب بطن أخيك»، فسقاه فشفاه الله تعالى فبرأ فكأنما أنشط من عقال».

قال الشهاب – بعد أن خرّج الحديث[١]–: «وما فعله النبي × من معجزاته الدالة على علمه بدقائق الطب من غير تعليم. قال في «طبقات الأطباء» المسمى «بالإنباء»: «روي عن النبي × أنه جاء إليه رجل من العرب، فقال: يا رسول الله إن أخي غلب عليه الجوف وداويناه فلم ينقطع عنه بشيء، فقال ×: «أطعمه عسل النحل»... وإنما قال ذلك لأنه علم أن في معدة المريض رطوبات لزجة غليظة قد أزلقت معدته، فكلما مرّ به شيء من الأدوية القابضة لم يؤثر فيه، والرطوبات باقية على حالها، والأطعمة تزلق عنها فيبقى الإسهال، فلما تناول العسل جلى تلك الرطوبات وأحدرها، فكثر الاسهال أولاً بخروجها، وتوالى ذلك حتى نفدت الرطوبة بأسرها فانقطع إسهاله وبرئ، فقوله: «صدق الله» يعني: بالعلم الذي عرف نبيه × به، وقوله: «كذب بطن أخيك» يعني: ما كان يظهر من بطنه من الإسهال وكثرته بطريق العرض، وليس هو إسهالاً ومرضاً حقيقياً فكأن بطنه كاذبة في ذلـــك». انتهى.

ففسر (صدق الله) في الحديث بما علمه في ذلك، وفسره غيره بجعل العسل شفاء ودواء في الآية، وجعل (كذب بطنه) استعارة مبنية على تشبيهها بالكاذب في كون ما ظهر من إسهالها ليس بأمر حقيقي، وإنما هو لما عرض لها؛ ولذا سمى مثله الأطباء زحيراً كاذباً، وفرقوا بينه وبين الزحير الصادق بما هو معروف في علم الطب وهو وجه حسن...».

وهكذا نرى الشهاب يستعين بعلم الطب في توضيح وتجلية معنى الآية و الحديث، وليست هذه المرة الوحيدة، ولعل في ذلك إشارة إلى ما في القرآن من إعجاز علمي، فيكون

---

(١) المصدر السابق (٣٥٠/٥).

الشهاب قد نبه إلى أهمية الاستفادة من العلوم الكونية في إثبات ربانية مصدر هذا الكتاب العظيم[١].

ونخلص من هذا المبحث إلى أن علاقة الشهاب بالبيضاوي كانت علاقة إعجاب وتقدير، لما تميز به «أنوار التنزيل» بين سائر كتب التفسير من الكشف عن كنوز القرآن الكريم، ومنهج يقوم على الاستنباط وإعمال الرأي مع عدم إقصاء المأثور، مما جعل الشهاب يتأثر به في كثير من سمات منهجه، وينقل عنه من كتبه المختلفة، وينتصر له في كثير من المواقف، ولكنه في الوقت نفسه عارضه في كثير من المسائل العلمية، مؤثراً الحق على رأي البيضاوي.

ونخلص أيضًا إلى أن الشهاب قد أثرى «تفسير البيضاوي»، بما أضافه من مباحث مستقلة وفوائد ونكت، تدل على موسوعيته العلمية واستيعابه لمعارف عصره، حتى أصبحت «حاشيته» روضة تجمع علومًا شتى ومعارف متنوعة.

---

(١) انظر أمثلة على استعانته بالعلوم الكونية في التفسير: المصدر السابق (٢٢٦/٣ و ٣٤٦/٥ و ٦/٦ و ٢٦٠/٧،٢٥٩، ٢٦٢ و٣٧٦/٨).

المبحث الثاني

القيمة العلمية «لحاشية الشهاب»

«تقاس القيمة العلمية لأي كتاب من الكتب أو مصنف من المصنفات العلمية بأمرين اثنين:

الأول: بمقدار ما يضفي العلماء والمؤرخون وأصحاب التراجم على ذلك المؤلف ومؤلَّفه من هالةٍ عظيمة، وما يطرونه من عبارات التمجيد والثناء، ويشهدون له من أهمية تقوم على أساس متين من المادة العلمية والحداثة والتجديد في التأليف أسلوباً ومنهجاً وموضوعاً.

الثاني: بمقدار التأثير الذي يحدثه ذلك المصنف في نفوس العلماء وطلبة العلم، فيكون أصلاً يعتمد عليه ومصدراً يفيء إليه من قصد الحق وابتغى هدف الصواب»[1].

ولذلك سأجعل هذا المبحث في مطلبين اثنين: المطلب الأول أتناول فيه أقوال العلماء في «حاشية الشهاب»، وأما المطلب الثاني فسأتكلم فيه عن أثر الشهاب فيمن جاء بعده من العلماء.

المطلب الأول: أقوال العلماء في «الحاشية»:

لا شك أن «لحاشية الشهاب» مكانة كبيرة، وفيما يلي عرض لبعض أقوال العلماء في المكانة التي احتلتها من بين حواشي البيضاوي خاصة، وجهود المفسّرين عامة.

---

(١) المشني، مصطفى إبراهيم ، مدرسة التفسير في الأندلس، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، ص٨٤٩.

يقول المحبي- يثني على الشهاب وتصانيفه وخاصة «حاشيته»[١]-: «وصنف التصانيف التي تشهد بكل فضل، وحسبك منها «عناية القاضي» فإنها خيرٌ من شاهِدَيْ عَدْل».

وقال الإدنه وي – عن الحاشية – [٢]: «جمع فيها لب الحواشي، وأجاد وأفاد».

ويقول الدكتور الذهبي – أثناء كلامه عن حواشي البيضاوي[٣]-: «أشهر هذه الحواشي وأكثرها تداولاً ونفعاً: «حاشية قاضي زاده»، و«حاشية الشهاب الخفاجي»، و «حاشية القونوي»».

وأما الزرقاني فقال -بعد أن أعطى فكرة مختصرة عن منهج البيضاوي في تفسيره[٤]-: «وأحسن حواشيه المتداولة «حاشية الشهاب الخفاجي»».

وقال الفاضل ابن عاشور عنها [٥]: «واسعة كثيرة المباحث والفوائد، وسَّعت دائرة «تفسير البيضاوي» علماً، أكثر مما وسعتها نقداً وبحثاً».

ويقول الدكتور فريد النكلاوي عن «عناية القاضي»[٦]: «وهو بحر زاخر بشتى موضوعات البلاغة، وقد أعجبت بهذا الكتاب وملك مشاعري؛ لما فيه من الدقة في عرض الآيات، واستنباط المسائل والأغراض البلاغية منها، إلى جانب ذكر الآراء المختلفة، وترجيح بعضها أو نقضه».

---

(١) المحبي، نفحة الريحانة (٣٩٦/٤).

(٢) الإدنة وي، طبقات المفسرين ص٤١٥

(٣) د. الذهبي، التفسير والمفسرون (٣٠٣/١).

(٤) الزرقاني، مناهل العرفان (٤٨٨/١)

(٥) ابن عاشور، التفسير ورجاله ص ١١٦.

(٦) النكلاوي، البيان عند الشهاب الخفاجي (٣/١).

ويصف هاشم محمد هاشم «الحاشية» بقوله [١]: «المطلع على «حاشية الشهاب» يدرك أنها من أجل الحواشي وأعظمها؛ لما احتوت عليه من مسائل علمية دقيقة ومتعددة في جل الفنون، فقد جمعت بين دفتيها كثيراً – بعد التفسير وعلومه – من العلوم، الحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والقراءات، وعلوم اللغة، والأدب، والبلاغة، وعلم الكلام والفلسفة، والتراجم والتاريخ، والفلك والرياضة والطب».

وقال شوقي الدهان[٢]: «وهذه الحاشية تعتبر من أهم الحواشي التي كتبت على هذا التفسير؛ لأنها كما قيل في مقدمتها: «وعناية الشهاب جمعت ما تفرق فيها – أي في باقي الحواشي– وكل الصيد في جوف الفرا [٣]»».

المطلب الثاني: أثر الشهاب فيمن جاء بعده:

رأينا أثناء عرضنا لأقوال العلماء في «الحاشية» ما حظيت به من قيمة علمية عالية، وهذا الأمر جعل الكثير ممن جاء بعد الشهاب يتأثر به، ويقتبس وينقل آراءه وأقواله في تفاسيرهم ومصنفاتهم.

ومن أشهر العلماء الذين تأثروا بالشهاب: البغدادي والآلوسي والقونوي والعظيم آبادي والعجلوني وصديق حسن خان والفاضل ابن عاشور وبعض المعاصرين.

ولم يقتصر موقف هؤلاء العلماء على موقف الناقل فقط، بل نجد بعضهم –أحياناً– يتعقب الشهاب ويناقشه ويرد عليه، كما سنرى في الأمثلة التالية –إن شاء الله تعالى–.

أولاً: أثر الشهاب في البغدادي:

ذكرنا أثناء تعريفنا بتلاميذ الشهاب أن من أبرز تلاميذه عبد القادر البغدادي، فليس

---

(١) هاشم، الالتفات في حاشية الشهاب ص١٣-١٤.

(٢) الدهان، منهج البيضاوي ص١٤١.

(٣) انظر: الحاشية (٢/١) المقدمة.

غريباً – إذن– أن نجد التلميذ متأثراً بشيخه، موافقاً إياه في مسائل، ومخالفاً إياه في غيرها. وقد أكد البغدادي نفسه فضل الشهاب عليه عندما قال لأحد المبهورين بسعة علمه(١): «جميع ما حفظته قطرة من غدير الشهاب، وما استفدت هذه العلوم الأدبية إلا منه».

ويقول محقق «خزانة الأدب»(٢): «ويظهر في مؤلفات البغدادي تقديره للشهاب فهو لا يذكره في «خزانة الأدب» إلا بلفظ (شيخنا)». وفيما يلي مثال على نقل البغدادي في «خزانته» عن الشهاب في «حاشيته»:

يقول البغدادي – ناقلاً كلام الشهاب في شرح كلام لعمر بن عبد الرحمن الفارسي صاحب «الكشف عن مشكلات الكشاف» في تفسير قوله تعالى: **﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ [فاطر:٤٢]**» (٣)–: «قال صاحب «الكشف»: «أقول: دلالتها على تفضيلها على سائر الأمم ليس بواضح، بخلاف واحد القوم ونحوه ثم وجهها بأنه على أسلوب:

أو يرتبط بعضَ النفوس حمامُها» انتهى.

قال شيخنا الخفاجي: «يريد أن (واحداً) بمعنى منفرد، ويلزم من انفراده امتيازه وعظمته، بخلاف (إحدى) فإنه اسم لجزء الشيء، فلا دلالة له على التعظيم، إلا أن يقال: إن البعض يدل عليه كما في البيت؛ لأن فيه إبهاماً، والإبهام يستعمل للتعظيم، ولك أن تقول: لا حاجة إلى هذا؛ لأن الزمخشري أشار إلى أن (إحدى) هنا بمعنى: (واحدة)» انتهى».

ثانياً: أثر الشهاب في الآلوسي:

الناظر في «تفسير الآلوسي» يلحظ مدى إعجابه بالشهاب وتقديره له، ومما يدل على ذلك أمران:

---

(١) المحبي، خلاصة الأثر (٤٥٢/٢). وانظر الخفاجي، ريحانة الألبا (٩/١) مقدمة المحقق.

(٢) البغدادي، خزانة الأدب (٦/١) مقدمة المحقق.

(٣) البغدادي، خزانة الأدب (٣٤٩/٧). وانظر الحاشية (٢٣٠/٧). وانظر أمثلة أخرى: الخزانة (٣٥١/٧ و ٢٦٥/٩).

١- ثناؤه عليه في مواضع كثيرة من «تفسيره»، فكثيراً ما يصفه أثناء نقله عنه بقوله: «مولانا الشهاب» [(١)]، أو «وقد صرح بذلك شهاب فلك الفضل الخفاجي» [(٢)]، أو «ولله تعالى در الخفاجي حيث يقول:...»[(٣)]، أو «وإلى هذا ذهب العلامة شهاب الدين الخفاجي عليه الرحمة» [(٤)].

٢- نقله في أثناء بحثه لكثير من القضايا التي يعرض لها في «تفسيره» [(٥)]: وكان كثيراً ما ينقل عنه وينسب إليه ذلك صراحة، كما أنه في بعض الأحيان ينقل عنه دون أن يشير إليه، كنقله عنه تفسيره لقوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِنْ طِيْنٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُم تَمْتَرُونَ}** [الأنعام:٢] حيث نقل كلام الشهاب بتصرف [(٦)].

هذا وينحصر موقفه فيما ينقل عن الشهاب في المواقف التالية:

أ- الموافقة:

تابع الشهاب الآلوسي الشهاب الخفاجي في كثير من آرائه، ومن ذلك كلامه عن كلمة **{إستبرق}** في قوله تعالى: **{عَالِيَهُم ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ}** [الإنسان: ٢١]. قال الآلوسي[(٧)]: «اختلفوا هل هو نكرة أو علم جنس مبني أو معرب أو ممنوع من الصرف

---

(١) انظر: الآلوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ت، (١٥٥/١ و ١٦٢/٢٠).

(٢) انظر: الآلوسي، المصدر السابق (١٠٩/١٢).

(٣) انظر: الآلوسي، المصدر السابق (٥٦/١٥).

(٤) انظر: الآلوسي، المصدر السابق (٢١٣/٣٠).

(٥) بلغ عدد المواضع التي استشهد فيها الآلوسي بأقوال الشهاب -مصرحاً بذلك- (٤٩٦) موضعاً. انظر: عبد الحميد ، محسن، الآلوسي مفسراً، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٩٦٨م، ص ٢٠٩ .

(٦) انظر: الآلوسي، روح المعاني، (٨٧/٧). وانظر الحاشية (١٢/٤-١٣). وانظر أمثلة أخرى على نقله عنه بدون عزو (١٥/٦ و ١٠/ ١٣٨).

(٧) الآلوسي، المصدر السابق (١٦٢/٢٩). وانظر الحاشية (٢٩١/٨). وانظر أمثلة أخرى على موافقاته للشهاب: روح المعاني (٢٢/١٧ و ٢٥/٢٢).

وهمزته همزة قطع أو وصل؟ والصحيح على ما قال الخفاجي: أنه نكرة معرب مصروف مقطوع الهمزة كما يشهد به القراءة المتواترة».

ب- المخالفة:

ففي قوله تعالى: **{قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِم لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيهِم مَسْجِداً}** [الكهف: ٢١] قال الشهاب الآلوسي[(١)]: «هذا واستدل بالآية على جواز البناء على قبور الصلحاء واتخاذ مسجد عليها وجواز الصلاة في ذلك، وممن ذكر ذلك الشهاب الخفاجي في «حواشيه على البيضاوي»، وهو قول باطل عاطل فاسد كاسد، فقد روى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ×: «لعن الله تعالى زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»، ومسلم: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»، وأحمد عن أسامة، وهو والشيخان والنسائي عن عائشة، ومسلم عن أبي هريرة: «لعن الله تعالى اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»...».

ج- عدم التعليق:

ومن الأمثلة على ذلك نقله عنه إعراب **{تخوف}** في قوله تعالى: **{أَوْ يَأْخُذَهُم عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُم لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ}** [النحل:٤٧].

قال الآلوسي [(٢)]: «وقال الخفاجي: «الظاهر أنه حال من المفعول»».

---

(١) الآلوسي ، المصدر السابق (٢٣٧/١٥) . وانظر الحاشية (٨٧/٦) . وانظر أمثلة أخرى على مخالفته للشهاب: روح المعاني (١٥٥/١ و ١٧٧/١٥ و ٣٥/٢٢).

(٢) الآلوسي، المصدر السابق (١٤٢/١٤) . وانظر الحاشية (٣٣٥/٥). وانظر أمثلة أخرى على نقله لكلاب الشهاب دون تعليق: روح المعاني (٢٢٩/١٤ و ٤١/١٨ و ١٣٥/٢٥).

ثالثاً: أثر الشهاب في القونوي:

ينقل القونوي عن الشهاب، ولكن من الصعب ملاحظة أثر الشهاب في «حاشية القونوي على البيضاوي» لأن نقله عنه يكون بدون عزو.

ومن النماذج التي ينقل فيها القونوي عن الشهاب دون أن يعزو إليه ما جاء في مقدمة «حاشيته» من تعريف بالبيضاوي ومكانته العلمية ومصنفاته ووفاته. قال القونوي [(١)]: «وكان الشيخ المؤلف نور الله تعالى مضجعه إماماً في فقه الشافعي والتفسير والأصلين والعربية والمنطق نظاراً زاهداً متعبداً. ومن مصنفاته هذا التفسير الشريف، وهو أجلها وأدقها».

وينقل القونوي عن الشهاب كلامه عن إضافة الفاتحة إلى الكتاب في (سورة فاتحة الكتاب). يقول القونوي [(٢)]: «وقال بعض أرباب الحواشي: وذُهِبَ إلى أنها بيانية أيضاً؛ ولذلك تراهم يجعلون (شجر الأراك) من الإضافة اللامية تارة، ومن البيانية أخرى». فبعض أرباب الحواشي هنا هو الشهاب.

وهكذا نرى أن النصوص التي أثبتناها هنا قد وردت في «حاشية الشهاب»، وأن القونوي قد نقل دون أن يشير إلى صاحبه، وهذا دليل على اعتماد القونوي على الشهاب في «حاشيته» [(٣)].

رابعاً: أثر الشهاب في العظيم آبادي:

نقل العظيم آبادي الكثير من أقوال الشهاب في كتابه «عون المعبود»، من ذلك توجيهه

---

(١) القونوي، حاشية القونوي على البيضاوي (٢٤/١). وانظر الحاشية (٣/١-٤).

(٢) القونوي، المصدر السابق (٤٧/١). وانظر الحاشية (١٩/١).

(٣) انظر أمثلة أخرى على نقل القونوي عن الشهاب: القونوي، حاشية القونوي على البيضاوي (٢٩٤/١) وقال بعد أن نقل كلامه: «كذا نقله البعض عن العلماء»، و(٣٠٥/١) حيث نقل كلامه ليرد عليه، وعبارته: «فظهر ضعف ما قيل من أنه ...».

لقراءة: {وُقِّتَتْ} في قوله تعالى: {وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ} [المرسلات:١١]. قال العظيم آبادي [١]: «قال البيضاوي: «وقرأ أبو عمرو: {وُقِّتَتْ} على الأصل». قال الشهاب: «قوله: (على الأصل) لأن الهمزة مبدلة من الواو المضمومة، وهو أمر مطرد كما بين في محله»».

خامساً: أثر الشهاب في العجلوني:

كان العجلوني ينقل عن الشهاب تخريجه لبعض الأحاديث وشرحه لها، ومن ذلك الأثر الذي ذكره في «كشف الخفاء» وهو: كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك خصلتان: سرف ومخيلة، قال العجلوني [٢]: «هذا من كلام ابن عباس –كما قال البيضاوي– وغيره. وقال الخفاجي في «حواشيه»: «حديث صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة وغيره. وقوله: (كل ما شئت، والبس ما شئت) أي: مما هو حلال، وهذا لا ينافي ما ذكره الثعالبي وغيره من الأدباء أنه ينبغي للإنسان أن يأكل ما يشتهي، ويلبس ما يشتهيه الناس، كما قيل:

نصيحة نصيحة   قالت بها الأكياس
كل ما اشتهيت والبسن   ما تشتهيه الناس

فإنه لترك مالم يعتد بين الناس، وهذه الإباحة كل ما اعتادوه»».

سادساً: أثر الشهاب في صديق حسن خان:

نقل صديق حسن خان عن الشهاب في كتابيه «فتح البيان» و «أبجد العلوم»، واستشهد بآرائه في مواضع متعددة من هذين الكتابين:

ومن أمثلة نقله عنه في تفسيره «فتح البيان» ما ذكره أثناء كلامه على (وراء) في قوله

---

(١) العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق، عون المعبود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط٢، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م، (٢/ ٦١). وانظر الحاشية (٢٩٧/٨). وانظر أمثلة أخرى: عون المعبود (٣٠٣/٣ و ٢٠/١١).

(٢) العجلوني، إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م، (٢/ ١٥٣). وانظر الحاشية (١٦٤/٤) . وانظر أمثلة أخرى: كشف الخفاء(٢٨٠/٢، ٥٢٦).

تعالى: **{وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ}** [البقرة: ٩١]. حيث نقل الشهاب كلام الآمدي في معنى (وراء)، فجاء صديق حسن خان ونقل كلام الآمدي وتعليق الشهاب عليه.

قال رحمه الله [١]: «قال الآمدي: «وراء ليست من الأضداد، إنما هو من المواراة والاستتار، فما استتر عنك فهو وراء: خلفاً كان أو قداماً، إذا لم تره، ولم تشاهده، فأما إذا رأيته فلا يكون وراءك، ومنه قوله تعالى: **{وَكَانَ وَرَاءَهُم مَلِكٌ}** [الكهف: ٧٩] أي أنه كان أمامهم، وصح ذلك لأنهم لم يعاينوه ولم يشاهدوه» انتهى. قال الخفاجي: «وهذا لا ينافي قول البيضاوي: (ولذلك عُدَّ من الأضداد) لأن معناه أنه لما أطلق على خلف وقدام وهما ضدان عُدَّ ضداً تسمحاً على عادة أهل اللغة، وإن كان موضوعاً لمعنى شامل لهما؛ لأنه مصدر بمعنى الستر فيهما لكنه قد يستعمل بمعنى الساتر، وقد يستعمل بمعنى المستور؛ ولذا قال في «القاموس»: هو من الأضداد أولاً، وقيل: إنه مضاف إلى الفاعل مطلقاً؛ لأن الرجل يواري ما خلفه على من هو قدامه، وما قدامه على من هو خلفه»»».

وأما مثال نقله عن الشهاب في «أبجد العلوم» فهو نقل خلاصة كلام الشهاب في طبقات الشعراء وبيان أي الطبقات يستدل بشعرهم [٢].

سابعاً: أثر الشهاب في ابن عاشور:

من التفاسير التي اعتمدها ابن عاشور«عناية القاضي وكفاية الراضي»، فقد صدّر ابن عاشور «تفسيره» بالحديث عن أهم مصادره من كتب التفسير، وذكر من ضمن مصادره

---

(١) القنوجي، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، (١/١٥٩-١٦٠). وانظر الحاشية (٢/٢٠٤). وانظر أمثلة أخرى: فتح البيان (١/٩٩ و ٧/١٣٠).

(٢) انظر: القنوجي، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني، أبجد العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م ، (٢/٣٤٣-٣٤٤). وانظر الحاشية (١/٤٠٦-٤٠٧). وانظر ص من هذه الرسالة . وانظر أمثلة أخرى: أبجد العلوم (١/٤٤٥).

«حاشية الشهاب» [١].

ومن أمثلة نقله عن الشهاب: ما قاله عند كلامه عن مذاهب العلماء في تعريف الإيمان. قال -رحمه الله-[٢]: «القول الثاني: أن الإيمان هو الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان بالشهادتين... ونسبه الخفاجي[٣] إلى محققي الأشاعرة».

وبعد هذا العرض الموجز لأثر الشهاب فيمن جاء بعده من المفسرين والعلماء لا بد أن أشير إلى أن أثره لم يقتصر على هؤلاء، بل تعداه إلى غيرهم، فكثير من المعاصرين قد نقلوا عن الشهاب بعض آرائه وأقواله في «حاشيته»، ومنهم الدكتور فريد النكلاوي الذي خدم «حاشية الشهاب» ونشر الكثير من آرائه البيانية في كتابه «البيان عند الشهاب الخفاجي»، ونقل عنه كثيراً في كتابه «المسائل البلاغية في كتاب الصاحبي لابن فارس» [٤]، وكذلك الأستاذ هاشم محمد هاشم في «الالتفات في حاشية الشهاب»، والدكتور جمال أبو حسان في رسالته التي قدمها لنيل درجة الماجستير في التفسير «تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير) دراسة منهجية ونقدية» [٥].

ومن الباحثين الذين خدموا مصنفات الشهاب بشكل عام، و«حاشيته» بشكل خاص، الأستاذ حاتم القضاة في رسالته التي قدمها لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة مؤتة، وهي بعنوان: «الشهاب الخفاجي نحوياً» فجزاه الله خيراً، وأحيل إلى كلامه عن أثر الشهاب في بعض المحدثين كعباس حسن ومحمد الخضر حسين ويوهان فك والدكتور عبد الفتاح الحموز، فقد أطال وأجاد وأفاد، وأورد كثيراً من النصوص التي تدل على تأثرهم

---

(١) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، (٧/١).

(٢) ابن عاشور، المصدر السابق (٢/ ٢٦٧). وانظر: أبو حسان، جمال محمود أحمد، تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير) دراسة منهجية ونقدية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩١ م، ص ١٩٩ . وانظر أمثلة أخرى: التحرير والتنوير (٢/ ٢٦٢) .

(٣) انظر: الحاشية (١/ ٢١٢) .

(٤) انظر: النكلاوي، فريد، المسائل البلاغية في كتاب الصاحبي لابن فارس، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٦، ٢٢ ، ٤٩، ٨٨، ١٠٤، ١١٣، ١٢٧، وغيرها.

(٥) انظر: أبو حسان، تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير) دراسة منهجية ونقدية، ص ١٦٢، ١٦٧، ١٧٩، ١٨٧، وغيرها.

بالشهاب ونقلهم عنه في كتبهم[١].

المبحث الثالث

مزايا «الحاشية»

لا يخفي على من يطالع «حاشية الشهاب» ما لها من مزايا ومحاسن جمة، ومن هذه المزايا:

أولاً: بروز شخصية الباحث: فقد أبرز الشهاب من خلال «حاشيته» استقلال شخصيته العلمية، فلم يكن مقلداً لغيره من العلماء دون بينة، بل كان يعرض مختلف الأقوال ويعطيها حقها من البحث، ثم يتعقبها بالنقد موافقاً تارةً، ومخالفاً تارةً أخرى، فظهرت قدراته الفائقة على اعتراض الرأي ومناقشته، مع التجرد والموضوعية، ومن عباراته في الحاشية في ذم التقليد: «فإياك من الوقوف في حضيض التقليد» [٢]، و«فنعم الكلام كلام أبي تمام (كم ترك الأول للآخر) ولعمري إن في زوايا الأفكار خبايا، وفي أبكار الخواطر سبايا، لكن قد تقاصرت الهمم، ونكصت العزائم، فصار قصارى الآخر أن يتبع الأول [٣]»، و «فعليك بالنظر السديد، إذا صعدت من صعيد التقليد» [٤].

ثانيًا: عدم التعصب لمذهب أو لطائفة أو لعالم: يقول الشهاب [٥]: «ونحن ننظر لما قيل، لا لمن قال». وتظهر هذه الصفة واضحة في بعض ترجيحاته الفقهية، فرغم أنه على

---

(١) انظر: القضاة، الشهاب الخفاجي نحوياً ص ٢٠١-٢٢١.

(٢) انظر: الحاشية (٣٦/١).

(٣) انظر: المصدر السابق (٤٩/١).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٣٠/١).

(٥) انظر: المصدر السابق (٣٢٥/١).

مذهب أبي حنيفة، إلا أنه خالفه في بعض ما ذهب إليه ورجح رأي غيره [١]. وقد ذكرنا أثناء كلامنا عن منهج الشهاب في القضايا النحوية ميله إلى المذهب البصري، إلا أن ذلك لم يمنعه من مخالفته في بعض المسائل وترجيح رأي الكوفيين [٢].

ثالثًا: سعة ثقافته وكثرة اطلاعه: القارئ «لحاشية الشهاب» يتبين كيف استطاع أن يستخرج من آيات القرآن ما فيها من قضايا تتعلق بالعقيدة والفقه واللغة والنحو والبلاغة والطب والفلك وغير ذلك من الأمور التي يمكن استنباطها من الآية، فتنوعت موضوعات «الحاشية» حتى غدت كتباً عديدة في كتاب واحد.

رابعًا: تعدد مصادره وكثرة مشاربه: القارئ لبضع صفحات من «الحاشية» يلحظ وفرة المصادر التي اعتمدها الشهاب وتنوعها، والتي مكنته من الإحاطة بمعظم جوانب الموضوعات التي عرض لها، مع القوة في عرضها، وأتاحت له الوقوف على أقوال وآراء العلماء في المسائل المختلفة.

خامسًا: حاشية الشهاب ضرورية لفهم عبارة البيضاوي وإزالة الغموض عنها: ذكر الشهاب في مقدمة «حاشيته» أن هدفه من كتابتها هو شرح «تفسير البيضاوي»، وقد خصصت فصلاً لبيان منهج الشهاب في ذلك، ويمكننا القول إن الشهاب قد حقق الهدف الذي سعى إليه.

سادسًا: حفظ فقرات من كتب قديمة تعد الآن في حكم المفقودة: فالمطلع على مصادر الشهاب في «حاشيته» يرى وجود بعض المصنفات المفقودة أو غير المطبوعة، مثل: «تفسير الكواشي»، و«شرح التسهيل» لأبي حيان، و «حواشي الرضي والجامي» للشهاب، و «حاشية الطيبي على الكشاف» وغيرها.

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/١٥٠و ٢/٣٢٥ و ٦/٣٥٤).

(٢) انظر ص ١٧٨ من هذه الرسالة.

سابعًا: اهتمامه بالمأثور: فقد عُنِيَ الشهاب بالأحاديث والآثار في «حاشيته»، فتوقف عند أحاديث «البيضاوي» شارحاً أو مخرجاً أو مضيفاً أحاديث وآثار أخرى يقتضيها المقام أو مستشهداً بأحاديث لتفسير آية أو تحقيق مسألة لغوية أو نحوية أو فقهية أو عقدية أو غير ذلك.

ثامنًا: ثقابة فهمه في علوم العربية: من لغة ونحو وصرف وبلاغة، كما يظهر من عنايته بمسائلها، وكشف نكاتها، والاستطراد في بيانها وتوضيحها.

تاسعًا: اهتمامه باللطائف التفسيرية والنكات المفيدة التي تومئ إليها الآيات القرآنية: مثل اشتمال الفاتحة على جميع المعاني القرآنية (١)، وسبب تخصيص الهدى بالمتقين في قوله تعالى: **{ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلمُتَّقِينَ}** [البقرة:٢] (٢)، واشتقاق كلمة (السبت) والكلام عن أسماء الأيام عند العرب (٣)، وسبب تقديم هارون على موسى في قوله تعالى: **{فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى}** [طه: ٧٠] (٤)، والفرق بين: (لا سبيل عليه) و (لا سبيل إليه) (٥)، ولطيفة مأخوذة من قوله تعالى: **{مِنْ أَوَّلِ يَوم}** [التوبة: ١٠٨] (٦)، والعلاقة بين قصة أصحاب الكهف وقصة أصحاب الغار (٧)، ومسألة: هل كان النبي × يحسن الخط ولا يكتب ويحسن الشعر ولا يقوله (٨)، ولطيفة مأخوذة من عدد سورة المنافقون مع قوله تعالى **{وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا}** [المنافقون:١١] (٩).

عاشرًا: حسه الأدبي المرهف، سواء في فهمه للأساليب الأدبية وتذوقها، أو في قدرته

---

(١) انظر: الحاشية (٢٢/١).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٩٦/١)

(٣) انظر: المصدر السابق (١٧٤/٢)

(٤) انظر: المصدر السابق (٢٠٥/٤)

(٥) انظر: المصدر السابق (٣٥٥/٤)

(٦) انظر: المصدر السابق (٣٦٤/٤)

(٧) انظر: المصدر السابق (٨٩/٦)

(٨) انظر: المصدر السابق (١٠٥/٧)

(٩) انظر: المصدر السابق (٢٠١/٨)

على صياغة الكلام بأسلوب أدبي بليغ، د شته للقضايا العلمية الدقيقة.

المبحث الرابع

المآخذ عليها

من خلال دراستي «للحاشية» وجدت بعض المآخذ التي يمكن أن تؤخذ على الشهاب، وهي لا تقلل من شأن «الحاشية» وصاحبها، ولا تغض من مكانته العلمية، وهذه المآخذ هي:

أولاً: قوة النقد وسلاطة اللسان: فكثيرًا ما يكون نقده للآراء قاسيًا، كقوله: «كلام مموّه مختل من وجوه...»[١]، و«وسخافته تغني عن رده»[٢]، و«ما أطال فيه من التصلف، مع أنه ظاهر التكلف، غير صحيح في نفسه»[٣]، و«هذه مغالطة باردة»[٤].

ثانيًا: اعتداده بنفسه مما لا يليق بمثله من العلماء: حتى قال فيه ابن معصوم[٥]: «إلا أنه كان كثير الإعجاب بنفسه، ساحبًا ذيل الفخر والكبرياء على أبناء جنسه، وما لابن آدم والفخار، وهو مخلوق من صلصال كالفخار».

ويظهر اعتداد الشهاب بنفسه وإعجابه بها في ناحيتين:

١- كثيرًا ما كان الشهاب يفتخر بنفسه بعد تحقيقه مسألة من المسائل، كما أنه كثيرًا ما يشيد بكتابه بأنه تفرد بكثير من دقائق المسائل[٦]، والأمثلة على ذلك قوله: «وقد حررنا هذا

---

(١) انظر: الحاشية (١/ ٦٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/ ١١٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/ ٤٨).

(٤) انظر: المصدر السابق (٧/ ١٧٦).

(٥) ابن معصوم، سلافة العصر ص ٤٢٠.

(٦) النكلاوي، البيان عند الشهاب الخفاجي (١/ ١٤).

المبحث بما لا مزيد عليه، فليكن على ذكر منك»[١]، و«وهذا من المنن الإلهية والفوائد التي لا يعثر بها نظرك في غير هذا الكتاب»[٢] و«هذا تحقيق مراد المصنف رحمه الله بما لا يحتاج إلى غيره»[٣] وغيرها.

٢- محاولته الظهور بمظهر المحيط بمختلف الآراء، حتى لا يتهم بالغفلة أو قلة الاطلاع[٤]، فكثيرًا ما كان يذكر قولاً لعالم -أو يشير إليه- أو يبحث مسألة من المسائل وهو يرى عدم أهميتها، ولكنه يذكرها ليبين أنه على علم بها ومن الأمثلة على ذلك قوله: «وإنما أطلنا الكلام هنا لكثرة ما فيه من القيل والقال، فربما ظُنَّ أنا لم نحط بما قالوه خبرًا»[٥]، و«وهذا كله تطويل بلا طائل، أوردناه لئلا يتوهم من يراه غفلتنا عنه»[٦]، و«بقي هنا كلام في «شرح الكشاف» للطيبي رأينا تركه أهم من ذكره»[٧].

ثالثًا: التعقيد اللفظي وصعوبة الأسلوب: فأسلوب الشهاب يفقد في بعض العبارات السلاسة والسهولة، ولكن مع التمعن ينجلي ما فيه من نكت ولطائف[٨].

رابعًا: الغموض الذي يكتنف بعض إحالاته إلى المصادر، والميل إلى الإلغاز والإبهام في النقل، ومن ذلك قوله: «كما في بعض الحواشي»[٩]، و«قال بعض علماء العصر»[١٠]

---

(١) انظر: الحاشية (١/ ١٠٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ٨٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (٤/ ٢٥٦).

(٤) انظر: القضاة، الشهاب الخفاجي نحويًا ص ١١٧.

(٥) انظر: الحاشية (١/ ٦٢).

(٦) انظر: المصدر السابق (١/ ٧١)

(٧) انظر: المصدر السابق (٢/ ١٠٤).

(٨) زمامة، معجم تفاسير القرآن الكريم، ص ٢٨٩ .

(٩) انظر: المصدر السابق (١/ ٥).

(١٠) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٦).

و«وقد قرره شراح المفتاح»[١]، و«وفي بعض كتب اللغة»[٢] مما يؤدي إلى صعوبة تحديد المصدر الذي نقل عنه الشهاب.

خامسًا: مع حرص الشهاب على توثيق مادته العلمية بنسبة المعلومات إلى مصادرها، إلا أن **كثيرًا من نقولاته جاءت غير موثقة**، حيث نقل عن بعض المصادر دون إشارة إليها جريًا على عادة العلماء المتقدمين، وكان يكتفي بأن يقول: «وقيل»[٣] أو «وأما ما قيل عليه»[٤]، أو «وقد ساقه بعضهم»[٥]، ويكثر الشهاب من إيراد هذه العبارات الغامضة ويصعب معرفة صاحب هذا القول.

سادسًا: عند عزوه للمصادر كثيرًا ما يكتفي بذكر المؤلف دون ذكر المصدر، وهذا يشكل صعوبة على الباحث إذا ما أراد معرفة المصدر لتوثيق المعلومة، ويزداد الأمر صعوبة كلما ازدادت مؤلفات ذلك المؤلف، أو عندما يذكر لقبه فقط.

سابعًا: عدم الإشارة إلى انتهاء النقل -أحيانًا-: وبالتالي تداخل كثير من النصوص التي ينقلها الشهاب بعضها ببعض من جهة، وتداخلها برأي الشهاب من جهة أخرى، حتى إنه يصعب -في كثير من الأحيان- تمييز رأي الشهاب عن رأي غيره[٦].

ثامنًا: كثرة الإحالات: فكثيرًا ما كان يتناول مسألة ما بإيجاز، ثم يشير إلى أنه قد تناول هذه المسألة في موضع آخر ويحيل إليه، ومما يؤخذ على الشهاب في هذا الأمر أنه غالبًا ما يحيل دون أن يذكر الموضع المحال إليه، فيحيل إلى ما سبق أو إلى ما سيأتي دون تحديد؛

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/٩٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/ ١١٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/ ٥٩).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/ ٥٨).

(٥) انظر: المصدر السابق (١/ ١٧٩).

(٦) انظر: المصدر السابق (١/ ٦٣ و٢/ ٤٣ و٥/ ٢٣٥ و٦/ ١٥٥ و٨/ ٤٠٧).

مما يتعب القارئ في البحث عن هذه الإحالات.

تاسعًا: من المآخذ على منهجه في التفسير بالمأثور: أنه كثيرًا ما كان يستشهد بالحديث دون بيان درجته من الصحة أو الضعف، وتصحيح بعض الأحاديث الضعيفة، والاعتماد على أقوال العلماء في الحكم على الحديث، وقد أدى هذا إلى ذكر أقوال متناقضة في الحكم على بعض الأحاديث بدون ترجيح أي منها.

عاشرًا: التوسع والاستطراد في بحث كثير من المسائل خاصة إذا كانت القضية نحوية أو بلاغية، فكان الشهاب يطيل البحث، ويكثر من النقل، وبالتالي يتشتت القارئ ويجد صعوبة في الإحاطة بجوانب الموضوع.

الخاتمة

«الشهاب الخفاجي ومنهجه في التفسير» دراسة لحياة علم من أعلام التفسير في القرن الحادي عشر الهجري، وهو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، وحاشيته على «تفسير البيضاوي» المسماة: «عناية القاضي وكفاية الراضي».

ومن خلال دراستي للشهاب الخفاجي ومنهجه في «عناية القاضي وكفاية الراضي» توصلت إلى ما يلي:

أولاً: أعطت هذه الدراسة تعريفًا بالإمام البيضاوي، وبتفسيره «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» ومنهجه فيه، وما أثاره هذا التفسير من نشاط علمي كالحواشي والتعليقات وكتب التخريج والمختصرات التي عملت عليه.

ثانيًا: بينت هذه الدراسة من خلال دراسة عصر الشهاب –رغم الاضطراب السياسي الذي ساد فيه – أن حياة علمية غنية وخصبة كانت موجودة، وترفض بشدة وصفها بالانحطاط والتدهور بل ولا حتى بالجمود.

ثالثًا: كشفت هذه الدراسة عن جوانب مهمة من حياة الشهاب، فعرفت به من حيث: اسمه ونسبه ولقبه، وولادته ونشأته وطلبه للعلم، وشيوخه، وتلاميذه، ورحلاته لطلب العلم، وتوليه القضاء وعزله عنه، ووفاته، وأقوال العلماء فيه.

رابعًا: أحصت هذه الدراسة مصنفات الشهاب، وعرفت –بشكل مجمل – بمضمون تلك المؤلفات، وبينت المطبوع منها والمخطوط، وأشارت إلى مؤلفات نسبت إليه وقد أوردها بنصها ضمن كتابه «ريحانة الألبا» وليست مؤلفات مستقلة، وتحقيق عدم صحة نسبة بعض الكتب إليه، واكتشاف كتب أخرى لم يشر إليها الباحثون.

خامسًا: عرفت هذه الدراسة «بحاشية الشهاب» – بشكل عام – من حيث: اسمها، وتاريخ الانتهاء من كتابتها، والباعث على تأليفها، وتحقيق نسبتها إلى الشهاب، والجهود السابقة في خدمتها.

سادسًا: تناولت هذه الدارسة طريقة الشهاب في «حاشيته»، ومنهجه في بحث المسائل وتحقيقها وتباين مواقفه في معالجة القضايا: فهو يطيل دراسته لبعض المسائل خاصة اللغوية والنحوية والبيانية، وهو إلى جاني ذلك يجتزئ أحيانًا فيلم إلمامًا أويحيل إلى مواضع أخرى من «الحاشية» أو إلى مصادر أخرى، وبينت أيضًا ما لثقافة الشهاب الأدبية من أثر فيما كتب، وأبرز الجوانب التتي ظهر فيها ذلك.

سابعًا: قدمت هذه الدراسة إحصاءً لأهم المصادر التي استقى منها الشهاب معلوماته، وأفاد منها في «حاشيته»، وبينت منهجه في ذكرها، وفي النقل منها، وموقفه مما ينقل.

ثامنًا: فصلت هذه الدراسة منهج الشهاب في شرح كلام البيضاوي، فهو يشرح مجمله، ويَحُلُّ مُعْضِلَه، ويوضح مشكله، ويفسر عويصه، ويستخرج لطائفه، ويدافع عنه أو يعترض عليه، ويقارن كلامه بكلام غيره من العلماء.

تاسعًا: كشفت هذه الدراسة عن تكامل منهج الشهاب في التفسير، فهو يستند أساسًا على المأثور، ويرى عدم جواز التفسير بالرأي مع وجود المأثور، ولكن هذا لا يمنع من النظر والاستنباط واستخراج ما في الآية من نكات، فتكامل التفسير بالمأثور مع التفسير بالمعقول.

عاشرًا: أظهرت هذه الدراسة عناية الشهاب بعلوم العربية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وشواهد شعرية، فقد أدرك الشهاب ما لهذه العلوم من أهمية في فهم كتاب الله، ومن هنا كان اهتمامه بالعربية، حتى أصبح من الممكن تصنيف هذا الكتاب ضمن الاتجاه اللغوي البياني في التفسير.

حادي عشر: قدمت هذه الدراسة تقويمًا «للحاشية»، وعملت بالتالي مقارنة بين الشهاب

والبيضاوي باعتبار أن «الحاشية» هي شرح «لأنوار التنزيل»، وخلصت إلى أن الشهاب قد تأثر بالبيضاوي وانتصر له في مواضع كثيرة من «حاشيته»، غير أنه لم يكن موقفه موقف الناقل المتأثر دائمًا، بل كانت له شخصيته المستقلة، فهو يخالفه أحيانًا، ويستدرك عليه في أحيان أخرى، وأعطت هذه الدراسة أيضًا فكرة موجزة عن القيمة العلمية «للحاشية»، انطلاقًا مما تتضمنه من جوانب متميزة بوأتها مكانة بارزة من بين حواشي البيضاوي خاصة، وجهود المفسرين عامة، وكان الختام ببيان بعض مزاياها والمآخذ عليها ملتزمًا الموضوعية والتجرد ما أمكن.

وبناءً على ذلك أقول: إن «حاشية الشهاب» ذات قيمة كبيرة، أضافت جديدًا إلى المكتبة الإسلامية، وقد أَثْرَتْ «تفسير البيضاوي»، فهي – بحق – خير ما يمكن أن يُضَمَّ إلى «أنوار التنزيل» – بعد تحقيقها التحقيق العلمي المناسب – لفهمه الفهم الصحيح، واستخراج كنوزه ودرره، واستنباط إشاراته الخفية التي لا يتفطن لها إلا أهل العلم والاطلاع.

وختامًا فقد شاء المولى عز وجل أن تكون رسالتي عن الشهاب الخفاجي ومنهجه في التفسير، ولا أزعم لنفسي الإحاطة بجميع مباحث الدراسة، ولا الإلمام بكل ما يقتضيه البحث، لكنني لم أُقَصِّر في بحث ودراسة ما أعتقده جديرًا بذلك، فإن وفقت في شيء من ذلك فلله الفضل وله الحمد، وإن قصّرت فحسبي أنني حاولت وبذلت وسعي في تقديم الشهاب إلى الباحثين والدارسين، عسى أن يكون هذا التقديم باعثًا على دراسة جوانب أخرى من تراثه الغني، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

– الآلوسي، شهاب الدين محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ت.

– أبو حسان، جمال محمود أحمد، (١٩٩١ م) **تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير) دراسة منهجية ونقدية** رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية.

– أبو حيان، محمد بن يوسف، (١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م) **البحر المحيط**، ط٢، دار الفكر، بيروت، لبنان.

– أرسلان، الأمير شكيب، (١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م) **تاريخ الدولة العثمانية**، ط١، جمع أصوله وحققه وعلق عليه: حسن السماحي سويدان، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، دار التربية، دمشق – بيروت.

– الألباني، محمد ناصر الدين، (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م) **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة**، ط٢، مكتبة المعارف، الرياض.

– الألباني، محمد ناصر الدين، **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، المكتب الإسلامي.

– الإدنه وي، أحمد بن محمد، (١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م) **طبقات المفسرين**، ط١، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

– الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، (١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م) **طبقات الشافعية**، دار الكتب العلمية.

– ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، (١٤١٩ هـ – ١٩٨٨ م) **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ط١، تحقيق كامل عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

– ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م) **الموضوعات**، ط١، تحقيق: نور الدين بن شكري بن علي بويا جيلار، مكتبة اضواء السلف.

– ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، (١٩٧٩ م) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط٢، دار المسيرة، بيروت.

– ابن الغزي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م) **ديوان الإسلام**، ط١ ، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية.

– ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (١٤١٤ هـ – ١٩٩٤). **بدائع الفوائد**، ط١، تحقيق أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

– ابن المنير، ناصر الدين أحمد بن محمد، (١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م) **الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال** (مطبوع بهامش الكشاف)، ط٢، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

– ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م) **مقدمة في أصول التفسير**، ط٢، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

– ابن جني، أبو الفتح عثمان، (١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م) **الخصائص**، ط١، تحقيق عبدالحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

– ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، **المجروحين**، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، د.ت.

– ابن حجر، أحمد بن علي، (١٣٥٤ هـ) **الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف** (المطبوع في آخر الكشاف)، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة.

– ابن حنبل، أحمد بن محمد، (١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م) **المسند**، ط١، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

– ابن عاشور، محمد الطاهر، (١٩٨٤ م) **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس.

– ابن عاشور، محمد الفاضل، (١٩٩٨ م) **التفسير ورجاله**، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

– ابن عدي، عبد الله بن عدي، (١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م) **الكامل في ضعفاء الرجال**، ط٣، تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت.

– ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، (١٩٧٧ م) **البداية والنهاية**، ط٢، مكتبة المعارف، بيروت.

– ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، (١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م) **تفسير القرآن العظيم**، ط ٢، دار الحديث.

- ابن معصوم، علي صدر الدين المدني، (١٣٢٤ - ١٩٠٥ هـ) **سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر**، مكتبة محمد أمين الخانجي، مصر.

- ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف، (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ط١، تحقيق حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) **صحيح البخاري**، ط١، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبدالباقي وقصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.

- بروكلمان، كارل، (١٩٤٨ م) **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ط١، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين.

- البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م) **البحر الزخار (مسند البزار)، ط١**، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة والمنورة.

- البستاني، بطرس، **دائرة المعارف**، دار المعرفة، بيروت، لبنان د.ت.

- البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين البابان، (١٣٦٤هـ- ١٩٤٥م) **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، طبع وكالة المعارف.

- البغدادي، عبد القادر بن عمر، (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م) **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، ط٣، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) **معالم التنزيل**، ط٤، تحقيق محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة.

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) **جامع الترمذي**، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، دار الفكر.

- التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) **المطول**، ط١، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الجرجاني، عبد القاهر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) **دلائل الإعجاز**، ط٢، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م) **أحكام القرآن**، ط١، تحقيق عبدالسلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار الفكر، بيروت.

- الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، **المستدرك على الصحيحين**، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، د. ت.

- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م) **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، ط١، دار القلم، دمشق.

- الخطيب القزويني، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن، (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) **الإيضاح في علوم البلاغة**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر، (١٩٩٧ م) **شرح درة الغواص**، تحقيق ميسون عبد السلام نجيب، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، دمشق.

- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، دار صادر، د. ت.

- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، (١٩٦٧ م) **ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا**، ط١، تحقيق عبد الفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، **نسيم الرياض في شرح القاضي عياض**، دار الكتب العربي، د . ت.

- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد، (١٢٨٤ هـ - ١٨٦٧ م) **طراز المجالس**، المطبعة الوهبية، القاهرة.

- خفاجي، محمد عبد المنعم، (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) **الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد حتى العصر الحديث**، ط١، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- الخولي، أمين، (١٩٦١ م) **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**، ط١، دار المعرفة.

– **دائرة المعارف الإسلامية**، تعريب أحمد الشنتناوي ومحمد ثابت الفندي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، مصر، ١٩٣٣ – ١٩٧٥م.

– الداودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، **طبقات المفسرين**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان د.ت.

– الدهان، شوقي، (١٩٨٩ م) **منهج البيضاوي في تفسير القرآن الكريم** (رسالة ماجستير) جامعة عين شمس.

– الديلمي، أبو شجاع شيرويه بن شهردار، (١٩٨٧ م) **فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب**، ط١، تحقيق فواز زمرلي ومحمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي.

– الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، (١٩٩٥ م) **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ط١، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت.

– الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

– ذياب، شاهر فارس حسين، (٢٠٠١ م) **أثر العقيدة الأشعرية في التوجيه النحوي واللغوي لنصوص القرآن والسنة**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الأردنية.

– الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، **معجم مفردات ألفاظ القرآن** تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

– الزحيلي، محمد، (١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م) **القاضي البيضاوي**، ط٢، دار القلم، دمشق.

– الزرقاني، محمد عبد العظيم، (١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م) **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

– الزركشي، محمد بن عبد الله، (١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م) **البرهان في علوم القرآن**، ط١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.

– الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط١٠، ١٩٩٢م.

– زمامة، عبد القادر وآخرون، (١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م) **معجم تفاسير القرآن الكريم**، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو).

– الزمخشري، محمود بن عمر، (١٣٤١ هـ) **أساس البلاغة**، تحقيق عبدالرحيم محمود، دار الكتب المصرية.

– الزمخشري، محمود بن عمر، (١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م) **الكشاف**، ط٢، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

– السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي، (١٣٨٣ هـ – ١٩٦٤ م) **طبقات الشافعية الكبرى**، ط١، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي وشركاه.

– السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د. ت.

– السخاوي، علم الدين علي بن محمد، (١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م) **الوسيلة إلى كشف العقيلة**، ط ٢، تحقيق مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد، الرياض.

– السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد، (١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م) **مفتاح العلوم**، ط١، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

– السيد الشريف، علي بن محمد الجرجاني، **حاشية السيد الشريف على الكشاف** (مطبوع بهامش الكشاف)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

– السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م) **الإتقان في علوم القرآن**، ط١، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق – بيروت.

– السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م) **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ط٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر.

– السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، (١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م) **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ط١، تحقيق نجدت نجيب، دار إحياء التراث العربي.

– السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، (٢٠٠٣ م) **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار**، تحقيق صبحي قصاب، رسالة ماجستير، جامعة البعث، حمص.

– الشافعي، محمد بن إدريس، (١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م) **المسند**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

– شيخ زاده محي الدين محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي، (١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م) **حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي**، ط١، تحقيق محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الصباغ، ليلى، (١٩٨١ هـ - ١٩٨٢ م) **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دمشق.

- الصباغ، ليلى، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) **من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول: محمد الأمين المحبي المؤرخ وكتابه خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ط١، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الطحان، محمود، (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) **تيسير مصطلح الحديث**، ط٨، مكتبة المعارف، الرياض.

- عباس، فضل حسن، (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) **البلاغة فنونها وأفنانها - علم البيان والبديع**، ط١، دار الفرقان، عمان، الأردن.

- عباس، فضل حسن، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) **البلاغة فنونها وأفنانها - علم المعاني**، ط٤، دار الفرقان، عمان، الأردن.

- عبد الجبار عبد الرحمن، (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) **ذخائر التراث العربي الإسلامي: دليل ببلوغرافي للمخطوطات العربية المطبوعة حتى عام ١٩٨٠م**، ط١، بغداد.

- عبد الحميد ، محسن، (١٩٦٨ م) **الآلوسي مفسراً**، ط١، مطبعة المعارف، بغداد.

- العجلوني، إسماعيل بن محمد، (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) **كشف الخفاء**، ط٤، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م) **الفروق في اللغة**، ط١، تحقيق جمال عبد الغني مدغمش، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق، (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) **عون المعبود**، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الغزي، نجم الدين محمد بن محمد، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، دار الفكر.

- غلاييني، مصطفى، (١٤١٢ هـ - ١٩٩١م) **جامع الدروس العربية**، ط٢٥، المكتبة العصرية، بيرت - صيدا.

- الفخر الرازي، محمد بن عمر، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) **التفسير الكبير**، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، تحقيق عبد الفتاح شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة د. ت.

- الفيومي، أحمد بن محمد، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، وزارة المعارف العمومية، مصر، ط٤، ١٩٢١ م.

- القاصح، أبو البقاء علي بن عثمان بن محمد، (١٣٦٨هـ - ١٩٤٩ م) **شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد على عقيلة أتراب القصائد**، ط١، تحقيق عبدالفتاح القاضي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

- القضاة، أمين، الهزايمة، محمد، (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) **محاضرات في التاريخ الإسلامي**، ط ٣، دار عمار.

- القضاة، حاتم، (١٩٩٧ م) **الشهاب الخفاجي نحويًا**، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الكرك.

- القنوجي، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني، (١٣٧٨ هـ - ١٩٧٨ م) **أبجد العلوم**، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- القنوجي، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني، (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ط١، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، (٢٠٠١ م) **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي**، ط١، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية.

- كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- كحالة، عمر رضا، (١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م) **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، المكتبة الهاشمية، دمشق.

- اللكنوي، عبد الحي اللكنوي، (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، تحقيق أحمد الزعبي، دار الارقم، بيروت.

- المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م) **الفهرس الشامل للتراث الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه.**

– المحبي، محمد الأمين، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، مكتبة الخياط، بيروت د.ت.

– المحبي، محمد الأمين، (١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م) **نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة**، ط١، تحقيق عبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية.

– المزي، أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن، (١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م) **تهذيب الكمال**، ط ١، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت.

– مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، (١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م) **صحيح مسلم**، ط١، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.

– المشني، مصطفى إبراهيم، (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م) **مدرسة التفسير في الأندلس**، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

– مطلوب، أحمد، (١٩٩٦ م) **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت.

– المناوي، زين الدين عبد الرؤوف، (١٤٠٩ هـ) **الفتح السماوي بتخريج أحاديث البيضاوي**، ط١، تحقيق أحمد مجتبى بن نذير عالم السلفي، دار العاصمة، الرياض.

– موسى باشا، عمر، (١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م) **تاريخ الأدب العربي (العصر العثماني)**، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق.

– النكلاوي، فريد، (١٩٨١ م) **البيان عند الشهاب الخفاجي في كتابه عناية القاضي وكفاية الراضي**، مطبة الأمانة، القاهرة.

– النكلاوي، فريد، (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م) **المسائل البلاغية في كتاب الصاحبي لابن فارس**، مطبعة الأمانة، القاهرة.

– نويهض، عادل، (١٩٨٣ م) **معجم المفسرين**، ط١، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.

– هاشم، هاشم محمد، (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م) **الالتفات في حاشية الشهاب**، مطبعة الأمانة، القاهرة.

– يوسف إليان سركيس، (١٩٢٨ م) **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، مكتبة يوسف إليان سركيس وأولاده، القاهرة.